

125

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

قامت وزارة المعارف بطبعه وقررت تدريس في المدارس الثانوية

1987

المطالعة الثانوية

الجزء الأول



تأليف

جميل احمد بوسليمان

محسن أحمد باروم

احمد الرفاعي هنين

احمد عبدالله براهيم

الطبعة الثالثة

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

يوزع مجاناً
وأية نسخة تباع تُعتبر مسروقة

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

قامت وزارة المعارف بطبعه وقررت تدريس في المدارس الثانوية

المطالعة الثانوية

لجزء الأول

تأليف

جميل احمد بوسليمان

محسن احمد باروم

احمد الزقايحي حسين

احمد عبدالله براهيم

الطبعة الثالثة

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦

يوزع مجاناً
وأية نسخة تباع تُعتبر مسروقة

59996

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله على آلائه وتوفيقه لنا القيام بتأليف كتاب «المطالعة الثانوية» لأبنائنا طلاب المرحلة الثانوية لنسد به فراغاً طالما شعر به المدرسون ، ونقضي حاجة ملحة كثيراً ما استبدت بنفوسنا و نفوس زملائنا المرين ... تلك حاجة طلابنا الى كتب تشتق موضوعاتها من واقع البيئة المحلية وتستمد أمثلتها وأفكارها من روح الحياة الاجتماعية والفكرية في قلب جزيرة العرب الى حد كبير ، ولكنها تمتد نطاقها بعد ذلك الى دائرة الوطن العربي الكبير لتصور وحدة الشعور وقوة روابط الفكر والعاطفة بين أقطاره المتعددة حتى ينشأ الطالب في هذا الطور الهام من أطوار نموه الانساني وهو مزود بألوان من المعرفة وضروب من الأفكار والخبرات الخصبة التي تصقل نفسه وترهف ملكات عقله وتنمي احساسه الخبير والحق والفضيلة في طوايا روحه وتفتح له في نهاية الأمر نوافذ واسعة يطل منها على جوانب كثيرة في دنيا الثقافة المعاصرة .

وقد حاولنا جهد الطاقة ان يكون كتابنا هذا محققاً لما يرجوه المدرس والطالب فيه على حد سواء حتى يجدا فيه زاد الفكر و متعة النفس وأشواق الروح وترويض العقل على إساعة ألوان القراءة الجيدة المفيدة التي تدفعه في نهاية الأمر الى استشراف دائم وتطلع قوي الى حياة انسانية أفضل . فان حققنا ذلك كان ما نرجوه وان كانت الأخرى فقد بذلنا أقصى الجهد وقدمنا أحسن ما نستطيعه من انتاج .

والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير .

المؤلفون

من القرآن الكريم

قال تعالى من سورة الشورى :

(٢٦) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ
يُنزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ وَبَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي
يُنزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ
الْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ
فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُمْ
مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
(٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ
يُسْكِنِ الْريِّحَ فَيُظِلِّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ
لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ
كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ
(٣٥) فَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ

نسخة مجانية

يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ
(٢٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى
بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٢٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ
يَنْتَصِرُونَ (٢٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ
فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلِمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ
ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ (٤٢) وَلِمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
(٤٣) وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الْأَذَلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُمْ
مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ
لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ
(٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا

الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ
سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ
لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ
يَشَاءُ عَقِيبًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ
إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِهِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ
مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ
أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ
نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .
(سورة الشورى)

التفسير

الآية	الكلمة	معناها
٢٧	لبغوا	لطفوا وتجبروا . أو لتظالموا
٢٧	بقدر	بتقدير محكم
٢٨	قنطوا	يئسوا من نزوله

فرق ونشر	بث	۲۹
بفائتين من العذاب	بمعجزين	۳۱
السفن الجارية	الجوار	۳۲
كالجبال . أو القصور	كالاعلام	۳۲
ثوابت	فيظللن رواكد	۳۳
يهلكهن بالريح العاصفة	يوقهن	۳۴
مهرب من العذاب	محيص	۳۵
ما عظم قبحه من الذنوب	الفواحش	۳۷
يتشاورون فيه	أمرهم شورى	۳۸
نالهم الظلم	أصابهم البغي	۳۹
ينتقمون	ينتصرون	۳۹
يفسدون	يبغون	۴۲
خاضعين متضائلين	خاشعين	۴۵
بتحريك ضعيف لأجفانهم	من طرف خفي	۴۵
انكار ينجيكم	نكير	۴۷
بطر لاجلها	فرح بها	۴۸
قرآناً أو رحمة	روحاً	۵۲
الشرائع التي لا تعلم إلا بالوحي	الايان	۵۲

القراءة وكيف نستفيد منها

أمامك يا بني - قصتان - احدهما في التصوف وهي هندية والاخرى في المنطق وهي انجليزية .

فأما القصة الصوفية فهي ان « بلاشاه » احد اولياء « بنجاب » ارسله ابوه - وهو طفل الى الكتاب ، فكتب له المعلم « أ » و « ب » وأمره ان يحفظهما ويكتبهما ، فوقف بلاشاه عند الالف لا يحسن تعلمها ولا كتابتها والاطفال الذين دخلوا معه الكتاب ساروا شوطاً بعيداً فأتموا حروف الهجاء الى الباء وانتقلوا الى ما بعدها وصاحبنا واقف عند الالف لا يتعداها ومرت اسابيع على هذه الحال والموقف لم يتغير وأخيراً ضاق به المعلم ذرعاً وأخذه وذهب به الى ابيه وقال : ان ابنك ناقص العقل غير قابل للتعلم ولست بمستطيع تعليمه .

فحاول أبوه أن يعالج هذا النقص وعرضه على معلمين آخرين ليتحرك من الألف الى الباء فما أمكن وحز هذا في نفس الطفل وأحس أنه حمل ثقل على والديه وانها يثسا من نجاحه ففر الى غابة وأقام فيها وذهنه مشغول بمظهر الالف ونكبتة بها فأدرك ان الالف تظهر له في الحشيشة النابتة في الغابة في جذع الشجرة في كل فرع من فروعها في كل ورقة من أوراقها في الجدول الذي يشق الارض في جسمه منتصباً في الجبل الضخم يشرف على الوادي في جسم الحيوان ممدوداً في كل شيء فليس الا الالف ، والعالم كله وحده هو الف او جملة الفات وهو متشابه التركيب او هو واحد التركيب اليست الالف في أصلها نقطة ثم بنيت عليها نقط فكانت الالف ، فالعالم كله نقطة تكونت منها الفات وهو اذا كتبها فانه عندما

نسخة مجانية

يلمس القلم الورقة ترسم نقطة ثم بامتداد القلم يكرر النقطة فتكون الفاء
ثم تعدد الاشكال وتختلف الاوضاع والأصل واحد والجوهر واحد وقد
يطغى الشكل على الاصل فلا تلتفت اليه النفس البلهاء ولكن اذا دقق
نظره وطهر فكره عرف وحدة الاصل ووحدة الخالق ثم هذا العالم مكون
من الفات والالف مجموعة نقط والنقطة صفر والصفير لا شيء وليست
الالفات الا مظاهر تساوي اصفاراً وتخفي وراءها خالقها كما يخفي وراء
الالف كاتبها فلا شيء إلا الخالق ولا شيء الا الله .

فرح الطفل بفهم درس الالف وتذكر فضل المعلم عليه لانه هو الذي
علمه ولم يكن يفهم فطرده من الكتاب لجهله فنزل من الغابة الى المدينة
وذهب الى المعلم وقبل يده وقال له : لقد تعلمت درس الالف وفهمته
فهل تتفضل وتعلمني الدرس الذي يليه .

ضحك المعلم من سخافته وأراد ان يمتحنه فسأله ان يقرأ الالف ويكتبها
فقرأها وكتبها وشرح للمعلم ما فهم منها فدهش المعلم وحرار عقله مما سمع
وقال للطفل : يا بني اولى بك ان تكون انت معلمي وقد تعلمت من
حرف الالف ما لم اتعلمه انا من كل دروسي وقد استفدت ما لم يستفده كل
اطفال الكتاب ومعلميهم من الالف ولا من الباء ولا من كل الحروف
متفرقة أو مجموعة . فأخذ بلاشاه يعني :

« ايها المعلم جنبني علمك فلست في حاجة الا الى الالف لقد اثقلت
عقلك بعلمك واثقلت بيتك بكتبك وضاعت المعرفة بين كثرة العلم وكثرة
الكتب فجنبني طريقتك . أي معلمي قد يكون الفرق بين الحق والباطل
شعرة وقد يخفي الحق عن الانظار نسيج مهلهل وربما كانت الالف مفتاح
الكنز . قالت لي روعي : اني راغبة في المعرفة الحقبة فعلمنيها ان استطعت .
قلت الف . قالت : ذاك يكفيني فالانسان اذا تفتحت نفسه وصدق نظره
كفاه حرف واحد . »

هذه هي القصة الصوفية واما القصة المنطقية فهي ان شاباً قص على سيدة برناجه في يومه فقال :

اني اذا استيقظت صباحاً أقرأ « اجرومية » اللغة البرتغالية في اثناء حلقي ذقني ثم اقرأ ساعة في اللغة الاسبانية قبل افطاري فاذا افطرت تردت بين القراءة والكتابة الى الغداء .

واستمر يقص عليها كيف يقضي نهاره وجزءاً من ليله بين قراءة وكتابة واكل وحديث والعباب رياضية الى ان ينام وهكذا دواليك .

انصت السيدة الى حديث الشاب حتى اتمه وصمتت برهة ثم قالت :
هذا كله حسن يا صديقي ولكن قل لي متى تفكر ؟
وكان صمت وكانت حيرة في الجواب .

كلتا القصتين ترمي الى غرض واحد وهو التقليل من قيمة القراءة الكثيرة من غير تفكير ورفع قيمة التفكير ولو في الدرس القليل .
ما اكثر ما نقرأ وما اقل ما نفكر وقد رأينا أن التفكير في الالف انتج اكثر الف مرة ما ينتج من حفظ حروف الهجاء كلها ومركباتها من غير تفكير . لقد حدثوا عن « ديموقريطس » الفيلسوف اليوناني انه قلع عينيه لئلا يشغله النظر عن التفكير وحدثوا حديثاً اخف فظاعة من هذا عن « فيثاغورس » انه كان يقضي ليله في التفكير العميق في احداث يومه ولسنا نتطلب هذا ولا ذاك ولكننا نتطلب تفكيراً يعادل القراءة وتأملاً يوازن النظر .

القراءة جمع ازهار والتفكير تأليف طاقة .

القراءة جمع خرزات والتفكير نظمها في عقد .

بل القراءة جمع ازهار وحشائش وضم حجر كريم الى حجر غير كريم والتفكير اختيار الصالح واختيار المناسب واستبعاد الفاسد واستبعاد غير المناسب .

القراءة ضم عقيم الى عقيم والتفكير قدرة على الاستيلاء حتى من العقيم .

نسخة مجانية

قراءة الكتاب وحفظه زيادة نسخة مطبوعة منه والتفكير نفخ الروح في الصورة ورد الحياة الى الميت .

كثرة القارئ في الامة زيادة مكتبة جامعة فيها وعقل مفكر واحد باعث الروح ونور الظلام وحافظ الهمم وهادي الطريق .

كما ان في الكتاب كاتباً مقلداً وكاتباً منشئاً وكاتباً ناقلاً وكاتباً مبتكراً كذلك في القراء قارئ ناقل وقارئ ناقد وقارئ مستقبل لا قط وقارئ مبتكر منشيء .

القارئ المنشيء هو الذي يقرأ الصفحة او الجملة فيولدها ويشعر انه تفتحت له منها آفاق للتفكير كأنه يطل منها على العالم يدرك وجوه الشبه بين الافكار ووجوه الخلاف يدرك وجوه الفروق الدقيقة بين ما يظنه الناس متشابهاً ووجوه الشبه الدقيقة فيما يظنه الناس متخالفاً .

القارئ الصادق يأبى ان يجعل عقله مستودعاً للأشياء المتناقضة ثم يتركها كما هي متناقضة انما يعمل فكره ليكون مما في عقله وحدة متجانسة بعد ان يطرد منه ما لا ينسجم مع هذه الوحدة يصف افكاره في نظام كما يصف التاجر اللبق سلعته ونستبعد منها الزيف كما يستبعد التاجر الامين .

القارئ الناقد هو الذي اذا قرأ فهم فاذا فهم قوّم فاذا قوّم احتفظ بالصحيح واستبعد الزائف فاذا احتفظ بالصحيح فكر في العلاقة بينه وبين ما سبق له ادخاره في ذهنه ثم كون من ذلك كله وحدة متجانسة ينظر من خلالها الى العالم ويصدر بها حكمة على الاشياء .

ما أشقه من عمل ولذلك لم يستطع في كل امة الا الابطال .
أدرك هذا بلاشاه وأدرك تبعة المعلومات يحصلها وعظم الواجبات للفكرة تحل في عقله فلم يرض ان يحمل عبئاً غير عبء الالف .

وأدركت هذه السيدة فارتاعت من كثرة ما يلتهم صديقها من غير هضم وارشدته في لطف الى ان خير ما أكل ما هضم .

ألست معي في ان القصتين طريفتان ؟

القرآن

جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق اليه الريبة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نشأته وأميته مثلاً للخلق الكامل ، وتواترت اخبار الامم كافة على انه جاء بكتاب انزل عليه وان ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ في صدور من عنى بحفظه من المسلمين الى اليوم .

كتاب حوى من اخبار الامم الماضية ما فيه معتبر للاجيال الحاضرة والمستقبله نقب على الصحيح منها وغادر الاباطيل التي الحقها الاوهام بها ونبه على وجوه العبرة فيها .

حكى عن الانبياء ما شاء الله ان يقص علينا من سيرهم وما كان بينهم وبين اممهم وبرأهم مما رماهم به أهل دينهم المعتقدين برسالاتهم .
وشرع للناس احكاماً تنطبق على مصالحهم وظهرت الفائدة في العمل بها والمحافظة عليها وقام بها العدل وانتظم بها شمل الجماعة ما كانت عند حد ما قرره ، ثم عظمت المصرة في اهمالها والانحراف عنها او البعد بها عن الروح الذي اودعته ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية كما يتبين للناظر في شرائع الامم .

ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب تخشع لها القلوب وتهش لاستقبالها العقول وتنصرف وراءها الهمم انصرافها في السبيل الأمم^(١) .

نزل القرآن في عصر اتفق الرواة وتواترت الاخبار على انه أرقى الاعصار عند العرب بياناً وأغزرها مادة في الفصاحة وانه الممتاز بين جميع ما تقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطاب وانفس ما كانت العرب

والسبق الى اصابة مكان الوجدان من القلوب ومقر الاذعان من العقول
وتفانيهم في المفاخرة بذلك مما لا يحتاج الى الاطالة في بيانه .

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبي صلى
الله عليه وسلم والتاسم الوسائل قريبا وبعيدها لابطال دعواه وتكذيبه
في الاخبار عن الله واتيانهم في ذلك على مبلغ استطاعتهم . وكان فيهم
الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته والامراء الذين يدعوم السلطان
الى مناوآته والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعتهم
وقد اشتد جميع اولئك في مقاومته وانها لولا بقواهم عليه استكباراً عن
الخصوع له تمسكا بما كانوا عليه من اديان آباءهم وحمية لعقائدهم
وعقائد اسلافهم وهو مع ذلك يخطيء آراءهم ويسفه احلامهم ويحتقر
اصنامهم ويدعومهم الى ما لا تعهده ايامهم ولم تخفق لمثله اعلامهم ولا
حجة له بين يدي ذلك كله الا تحديهم بالاتيان بمثل أقصر سورة من
ذلك الكتاب أو بعشر سور من مثله وكان في استطاعتهم ان يجمعوا
اليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاءوا ليأتوا بشيء من مثل ما اتى
به ليبتلوا الحجة ويفحموا صاحب الدعوة .

جاءنا الخبر المتواتر انه مع طول زمن التحدي ولجاج القوم في التعدي
اصيبوا بالمعجز ورجعوا بالخيبة وحققت للكتاب العزيز الكلمة العليا على
كل كلام وقضى حكمه العلي على جميع الاحكام ، اليس في ظهور مثل
هذا الكتاب على لسان أمي أعظم معجزة وادل برهان على انه ليس من
صنع البشر وانما هو النور المنبعث عن شمس العلم الالهي والحكم الصادر
عن المقام الرباني على لسان الرسول الامي صلوات الله وسلامه عليه .

ومما يثبت ان القرآن كلام الله ما جاء في تحدي العرب به واكتفائه
في الرجوع عن دعواه بأن يأتوا بسورة من مثله مع سعة البلاد العربية
ووفرة سكانها وتباعد اطرافها وانتشار دعوته على لسان الوافدين الى مكة

من جميع ارجائها ومع انه لم يسبق له صلى الله عليه وسلم السياحة في نواحيها والتعرف برجالها وقصور العلم البشري عادة عن الاحاطة بما اودع في قوى امة عظيمة كالامة العربية فهذا القضاء الحاتم منه بأنهم لن يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثل ما تحداهم به ليس قضاء بشرياً ومن الصعب بل من المتعذر ان يصدر عن عاقل التزام كالذي التزمه وشرط كالذي شرطه على نفسه لغلبة الظن عند من له شيء من العقل ان الارض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته وانما ذلك هو الله المتكلم والعليم الخبير هو الناطق على لسانه وقد احاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول ما استنهضهم له وبلوغ ما حثهم عليه .

فثبت بهذه المعجزة العظمى وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي الذي لا يعرض عليه التغيير ولا يتناوله التبديل ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله الى خلقه فيجب التصديق برسالته والاعتقاد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه والاخذ بكل ما ثبت عنه من هدى وسنة متبعة وقد جاء في الكتاب انه خاتم الانبياء فوجب علينا الايمان بذلك كذلك.

محمد عبده

الإذاعة

تجتاح المملكة هذه السنوات نهضة عارمة عمت جميع الميادين وشملت كافة المجالات .

وانه لما يثلج القلب ويملأ النفس بهجة وسعادة ان تصل هذه البلاد الناشئة في ظرف سنوات قلائل من التطور ما لم يصل إليه غيرها في سنين عديدة ومن أبرز مظاهر هذا التطور الاذاعة التي تنقل للعالم من اجواء



وزارة الاعلام بجدة

البطحاء طيوب الايمان وعطور أدب الصحراء في همسات مخضلة الجرس
بأنفاس قداسة البيت العتيق .

وللاذاعة السعودية قصة كبيرة رغم فتوتها وضآلة عمرها السعيد فهي لا تعنى بالملايين السبعة التي تقيم في المملكة اكثر مما تعنى بملايين المسلمين المنتشرين في مشارق الارض ومغاربها والذين يدأبون على الانصات في صمت خاشع لمواقيت الاذان المنقول اليهم من المسجد الحرام .

وليس نقل الاذان الا بعض الشيء مما تقوم به الاذاعة . فهي تنقل اليهم موائد الفكر الحي من ادب القرآن وشعر الصحراء وتصوف رجالات العلم واشياء قيمة من البحوث الصحيحة التي ينجاب عنها سر عظمة هذه المملكة الفتية التي كانت وليدة اسطورة من اساطير البطولة في القرن العشرين .

استطاعت الاذاعة ان تكشف النقاب عن حقائق دفينه لا يربطها بالمستمع البعيد الا خرافات وتكهنات عن هذا البلد الطيب الخصب وبرامجها غنية كاديمها سخية كأخلاق القيمين عليها وفيها من شائق الادب في شعره ونثره قلائد وغلائل . فيها القصة المترجمة والموضوعة والبحث العلمي والاجتماعي وفيها الالوان المختلفة من آداب الغرب والتعميليات والملح والطرائف والابخار والتعليق عليها وفيها الخطب الدينية والارشادات الادبية وفيها الموسيقى الهادئة المترنة التي ترتفع بالاحاسيس الى ذروة التأمل الرزين .

وقد بدأت الاذاعة حياتها السعيدة منذ عام ١٣٦٨ هـ وأرسلت صوتها مدوي الجرس من دارها الانيقة الرافلة بأبهى حلة هندسية فريدة التنظيم رائعة الرواء مجهزة بأحدث آلات تكيف الجو .

وهذه الدار الحاملة على ضفاف البحر الاحمر المفتوحة الاهداب على مراب الصحراء العريضة المناكب تقع على هضبة جنوب غربي جعدة البلد المتحضر السائر قدماً الى المدينة الحديثة في العمران والاجتماع .

وكان ذلك وليد ايماء ملكية كريمة اهابت بالمسؤولين عن الاذاعة ان يكرسوا جهودهم للنهوض بها .

وكانت الاذاعة ، فكانت الخطوة التقدمية الكبرى ثم سارت القافلة في طريق النهوض بهذا المشروع فاختر لها ادباء عرفوا بالفهم والذوق والمعرفة اعطاهما كل منهم ما وسعه من نفسه وإيمانه وجهده حتى اصبحت ذات رصيد ضخيم من الاعجاب في صدور المستمعين اليها من كل حدب وصوب .
ويجب ان لا نقف بالقارىء العزيز عند هذا الحد من الايضاح فلعله يتساءل عن نجاح هذه الاذاعة في اداء رسالتها كقوله هل هذه الاذاعة مستمعون ؟

حادثة جرت أمامي وتجري كل اسبوع في (غرف) الادارة فقد جاء اكثر من مرة المسؤول عن رسائل المستمع يطالب المدير بتعيين مساعد له لان لا يستطيع استيعاب الرسائل التي تفد عليه من مختلف الاقطار وفيها المشجع والمستفهم وطالب زيادة فترات الارسال والناقد .

وفي هذا اكبر دليل على تمشي الاذاعة مع رسالة الاداء التي وجدت لها . فلها مستمعون في كل قطر وهي تذيع باللغة العربية والباكستانية وغيرها من لغات العالم وفي رمضان سنة ۱۳۸۴ انشئت اذاعة جديدة في الرياض عاصمة المملكة لتحمل الاذاعتان من هذه البلاد رسالة الخير والمحبة والسلام . رسالة الاسلام وسيصبح لهما رصيد ضخم في اوروبا كما ان لهما اكبر رصيد في الدول العربية والآسيوية .

سعيد فياض

« باختصار وتعديل »

النهضة الصناعية

تتجاوب في انحاء المملكة العربية السعودية اليوم اصداء نهضة صناعية واسعة النطاق تبشر بالخير العميم وبالمستقبل الصناعي المرموق الذي ينتظر المملكة وهي بالرغم من حداثتها فقد استطاعت ان تخطو في هذا السبيل خطوات موفقة ذلك لان الحكومة تولي الصناعة الكثير من عطفها وتشجعها وتبذل في هذا السبيل الكثير من الجهد والتضحيات فمن اعفاء آلات ولوازم البناء من رسوم الجمارك الى منح الاراضي لاقامة المصانع بالمجان الى كثير من التسهيلات والمساعدات الاخرى وكثيراً ما يشرف جلالة حفلات افتتاح المصانع والمشروعات ذات الصبغة الصناعية تشجيعاً لاصحابها .

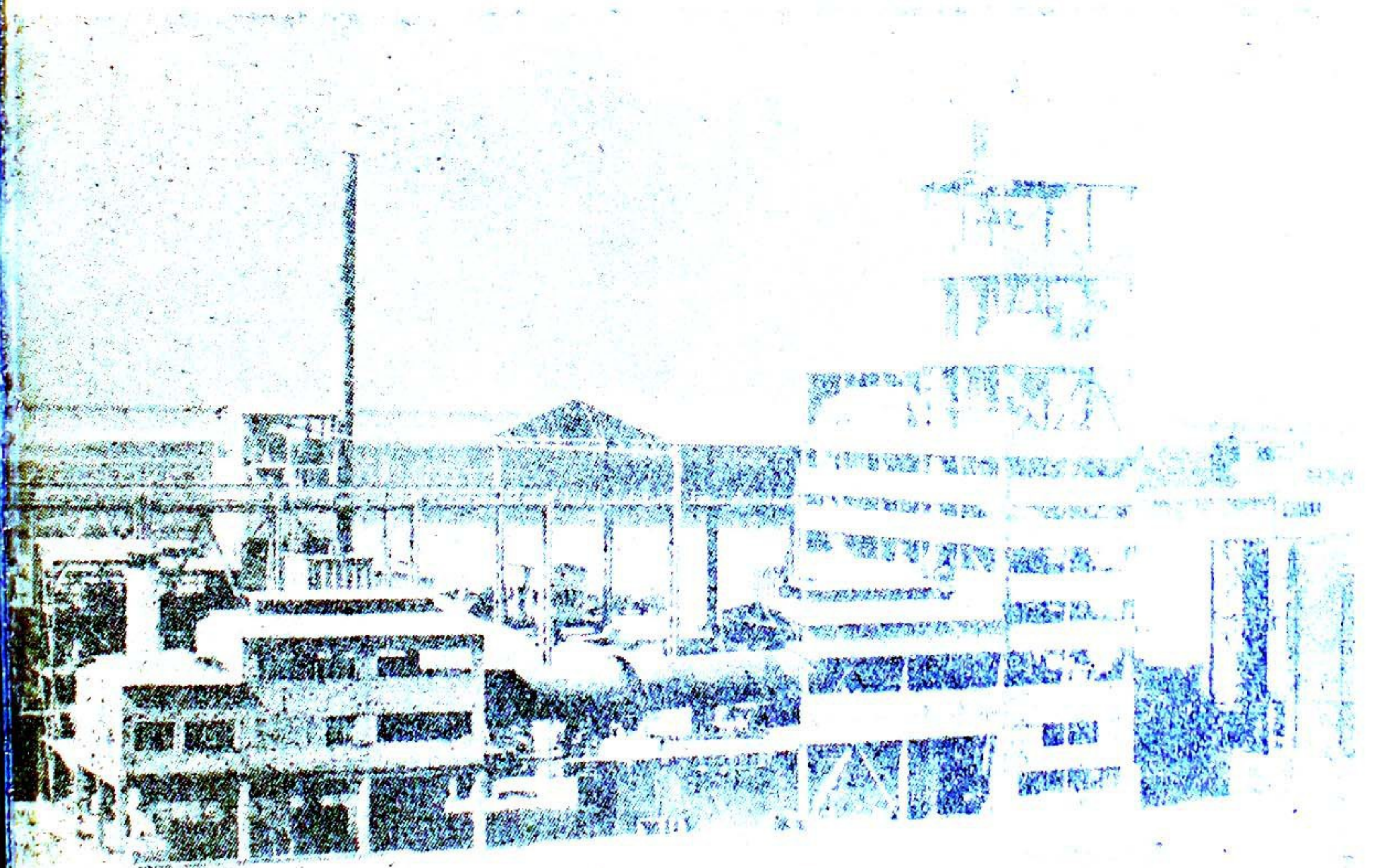
كما ان وزارة المعارف تقوم بدور كبير في تصنيع البلاد عن طريق نشر الوعي الصناعي بين الطلاب وافتتاح المدارس الصناعية في كبريات المدن بالمملكة حيث استقدمت لها نخبة ممتازة من المدرسين المتخصصين في مختلف فروع الصناعة وزودتها بأحدث المعدات والاجهزة اللازمة .

وبدأت المدارس الصناعية تؤتي أكلها وتخرج في كل عام افواجا تبعت الحكومة بكثير منهم على نفقتها لإكمال دراستهم في اوروبا وأمريكا ليعودوا بعد تخرجهم صناعاً مهرة يسهمون بدورهم في تصنيع البلاد .

وكان من الطبيعي ان تزدهر الصناعة في المملكة وتتجاوب مع كل هذه الظروف المشجعة فتأسست مصانع عديدة تنبئ عن امل كبير في مستقبل عظيم وأصبح اتجاه الوعي بين الشباب وذوي الثروات من الاغنياء

نسخة مجانية

هو انشاء المصانع التي تسد حاجات البلاد وتحفظ ثرواتها ، وكما ان الحكومة من جانبها تقوم بأكبر قسط في حركة التصنيع فليها الان عديد من المصانع ذات الاهمية الكبرى . وقد انشأت الحكومة عدداً وافراً من محطات القوى الكهربائية في مختلف جهات البلاد لتساعد الصناعة على السير بخطى حثيثة مضمونة وفي الوقت ذاته استقدمت خبراء من الخارج للبحث في



مصنع الاسمنت في جدة

مقدرات المملكة الصناعية ووضعت نتائج أبحاثهم تحت تصرف الشركات الخاصة وقد دارت بعض هذه الأبحاث حول استخدام الغاز الطبيعي وتحضير الأسمدة وإنتاج الاسمنت ومصايد الأسماك وغير ذلك واستعانت بعض

الشركات بالتقارير المقدمة اليها فأستت على هديها بعض الصناعات الكبرى .
وفي المملكة الآن صناعة يدوية وصناعة حديثة (آلية) .
فمن الصناعات اليدوية صياغة الذهب وصناعة الفخار وقطع الاحجار
والزخرفة والنقش وصناعة الاسلحة والتروس والسروج ومواد البناء
والخوص (السعف) الذي ينسج منه الحصير والزكائب وصناعة الاوعية
المعدنية وصناعة التطريز واستخراج الزيوت واستخراج اللؤلؤ وصناعته
واستخراج اليسر والمرجان وصناعة المسابح منها ومن العظم وخشب الشجر
وهي صناعة دقيقة جدا وتباع منها كميات كبيرة للحجاج الزائرين ذلك
لما تمتاز به من فن جميل وروعة في الصنعة .

ولا زالت هذه الصناعات اليدوية تتطور بسرعة فائقة كتطور الحياة
في المملكة وازدهارها على ان هناك صناعتين يدويتين لها قيمتها وأهميتها
بالنسبة للمملكة وهما النسيج وبناء السفن فالعرب يجيدون النسيج اجادة
تامة فهم يجيكون من شعر الماشية (الصوف) ما يسد حاجتهم فهناك
الانسجة الخشنة الثقيلة التي تصنع للخيام والزكائب التي توضع على الجبال
وصناعة البسط والمفارش والسجادات الصوفية وكذلك المعاطف التي
تشبه (البطانيات) والتي تعرف عند العرب بالبيدي (اما المشالج) اللباس
الرسمي فصناعتها بلغت من الدقة ما اذهل كل مشاهد لها لما فيها من
دقة النسيج بحيث لا يمكن باي حال ان تقوم بها الآلات الحديثة وهي
تصنع على انواع كثيرة في شتى انحاء المملكة والاحساء اكثرها انتاجاً .
اما بناء السفن وصناعتها فهي كذلك صناعة هامة في معظم مواليء
البحر الاحمر ومواردها الاولية من الخشب المقطوع من الاشجار الموجودة
في الجبال الداخلية بالمملكة وهي صناعة متقنة عرف بها العرب من
قديم الزمن ولا زالوا الى اليوم . وفي المملكة ترسانة انشئت حديثاً

نسخة مجانية

لصناعة الطرادات الصغيرة وقد اخرجت الطراد المسمى (أحد) .
هذا وقد تم انشاء كثير من المصانع لمختلف المصنوعات التي تحتاج اليها
البلاد في وثبتها الحديثة ونهضتها العظيمة في ظل حامي البلاد وراعيا
جلالة الملك المحبوب . نذكر منها مصانع الاسلحة والذخيرة ومصانع
الصابون ودباغة الجلود ومصانع مواد البناء وما تستلزمه النهضة العمرانية
في مختلف نواحيها وانا لننظر الى الغد القريب بعين اليمن والتفاؤل
والاستبشار .

59996

فلسطين والضمير الانساني

لفلسطين أهمية بالغة في نظر الفلسطينيين لانها وطنهم وفي نظر العرب لانها قلب البلاد العربية وفي نظر المسلمين لان فيها كثيراً من مقدساتهم كما انها موضع تقديس أهل الكتاب جميعاً من مسيحيين ويهود وفوق ذلك كله فان موقعها الجغرافي له خطورته فهي تطل على البحر المتوسط وتتاخم بلداناً كثيرة في آسيا وافريقية ، اذا سيطر عليها شعب من غير جنس ابناء البلاد هدد السلم في المنطقة كلها فما بالك اذا امتلكها شعب يعادي كل من حوله ، شعب أتى فاتحاً متحدياً وطرد اصحاب البلاد من أرضهم التي فيها مقدساتهم وأموالهم وبيوتهم وقبور آبائهم واجدادهم .
انها لو صمة تلتخ جبين الانسانية وتهز الشعور والضمير المسلمين ، وفضيحة لا تليق بحضارة العصر ومدنية القرن العشرين ان تتواطأ بعض الحكومات على طرد شعب متجانس من موطن آباءه واجداده ليحل محله انا من شذاز الارض مختلفو المذاهب والاجناس واللغات والثقافات والعادات والتقاليد والامزجة وسيسجل التاريخ هذا الجرم الفاحش الذي يرتد بالجنس البشري الى أحط تصرفات الهمج في ظل قانون القاب وان افزع الجرائم التي يسجلها التاريخ ليست اعتداء فرد على فرد او استبداد قبيلة بقبيلة او اخضاع شعب لشعب وانما هي طرد أمة آمنة من موطنها دفعة واحدة ونهب مالها وتقتيل أفرادها رجالا ونساء وأطفالا وتشريد من بقي منهم وهو ما وقع في هذا العصر الذي يسمونه عصر النور .
قامت في هذا القرن وما قبله حروب استدل المنتصرون فيها الامم المهزومة فجردوها من اسلحتها وفرضوا عليها تعويضات باهظة او محتملة

نسخة مجانية

والكنهم لم يطردوا المهزومين من ديارهم ولم يفرضوا ، عليهم فقدان أوطانهم وانتهى امر المهزومين بأن قاسوا آلام الهزيمة زمناً ما ، وبقوا في اوطانهم يعملون ويكدون حتى التأمت جراحهم وعادوا كما كانوا أمماً لها طابعها وكرامتها وقوتها تعيش في أرضها حرة بعد ان عوقبت عقاب الهزيمة المؤقت ، ولم نسمع قط ان أمة ذات حضارة وتاريخ تعاقب بلا جريرة بالطرد والتشريد والفقر والحرمان والذل والمهانة والتعرض للأمراض الفتاكة وتترك هائلة على وجهها تطلب الغوث ولا مغيث والعون ولا معين وقد فرض عليها الانحلال والفتن . هذا هو وضع فلسطين وهذا هو حظها في الحياة ونصيبها من مدنية القرن العشرين !!

لييك يا ارض الجزيرة

هذه الجزيرة العربية ، او شبه الجزيرة ، هذه الارض التي شع منها
قوس الهدى والرشاد وانبعثت منها اشراقه السؤدد والفلاح ، هي التي
نزل فيها الوحي الالهي ، فانبتق نوره المبين في هدى الكتاب ووضح
التنزيل الحكيم ، وبزغت رسالة سيد البشر والكائنات فاضاءت العالم بضياء
الهدى والرشاد وجاءت احاديثه الشريفه الكريمة الجامعة مشرق حكمة
غالية رفيعة ، انتظمت حياة البشر في خصوصياتهم وعمومياتهم ، لترعاها
الى الطريق السوي وترشدها الى مدارج الفلاح والنجاح .

هذه الجزيرة العربية ، التي شع منها كل ذلك ، جديرة بان تكون
موضع التقدير والاكرام والتبجيل ، وان من فيها من سدنة تلك الثقافات
العالية ، ورعاة ذلك التراث التالد الخالد هم سلالة اولئك الذين نهضوا
بحمل المشاعل الاولى للهداية والرشاد وهم ابناء المجاهدين الذين دلفوا
منها الى اقطار العالم في مختلف جهاته النائية وامصاره المترامية لاداء رسالة
حبيبة الى النفوس هي رسالة الحق والهدى ، رسالة العلم والثقافة ، رسالة
المعرفة ، بل رسالة الانسانية والاخاء والسلام .

فلنستمع الى شاعر عربي معاصر ، يذكر هذه الجزيرة بالخير والثناء ،
ويذكر ما لها من تاريخ مجيد في حياة العروبة الخالدة ، انه شاعر الجزيرة
ينهض من قلب الجزيرة للذود عنها والدعوة اليها ، وتمجيد بطولة ابنائها
الاشاوس ، استمع اليه اذ يقول :

لمن المضارب في ظلال الوادي ريانة الجنبات بالوراد
الله اكبر تلك امة يعرب نفرت من الاغوار والانجاد

نسخة مجانية

والبيض متلعة من الاغساد
بالله ، والتاريخ ، والاجساد
ما شئت من شجوي ومن انشادي
باق على الحداث والآباد
وحملت فيك سخائم الاضداد
وكأنك المحراب ... للعباد
فسمعت صوت الحارث بن عباد
اهلي ، وانت بلادهم ، وبلادي
شلاء تؤثر موطن الميلاد
وهوى تغلغل في صميم فؤادي
فوق الرمال العفر وهي وسادي
وسكينة الارواح في الاجساد
للعيش فيك بشاشة الاعياد
وتفجر العرفان منك لصاد
فمضت تزلزل شامخ الأطواد
كانت تعد مرابض الآساد
متلبين لغارة وطراد
ورأيت كيف عزائم الاججاد
نهب يراوحه الردى ويفادي
تحت السيوف ولا الحمام العادي
ولهان ضم حفيظة ووداد
فيهم لسان دم بذكرك شاد
بالأمس غير ملة برقاد !!
لموت غير مسخر بقياد

طوت المراحل والاسنة شرع
ومشت على الاسلات مشية واثق
لبيك يا ارض الجزيرة واسمعي
لك في دمي حق الوفاء ، وانه
فنهضت مطلعاً بما جشمتني
ووقفت بين يديك اطرق خاشعاً
ورميت دونك بالدليل مسدداً
انا لا افرق بين اهلك ... انهم
ولقد برئت اليك من وطنية
فلكل ربع من ربوعك حرمة
كم ضجعة بالقاع في غسق الدجى
ادركت اذ ادركتها معنى الكرى
ولشدها انطوت العصور وما انطوت
فشمرت بالفجر المبين لمدلج
أمنت بالهمم التي احببتها
وتخطفتم شم الحصون وانها
ولقد شهدت بذك يوم تشمروا
فعلت كيف يثور من طلب العلا
فجريحهم ... وأسيرهم ، كقتيلهم
وهم الاباء ، فما تلين قناتهم
شهداء مجدك في ثراك يضمهم
متدفق من كل موقع طعنة
سهرت عليك جراحهم كعيونهم
ولقد تطوع كهلهم وغلامهم

وثبت بهم في نقع كل كريمة
ومن اشترى استقلاله بدمائه
الملك فيك ، وفي بنيك ، وانه
وامانة التاريخ في اعناقهم
فاذا انبروا للمجد فهو سبيلهم
تعس العداة فما يفرق شملهم
ظلموا وما علموا بان وراءهم
اجل هذه الصرخة المدوية للعرب ، من قلب جزيرة العرب بلسان
شاعر الجزيرة وشاعر العرب انه الفقيه المرحوم الشيخ فؤاد الخطيب الذي
كان سفيراً لهذه البلاد في افغانستان ، ولقد صدق شاعرنا كل الصدق
فقد قال :

تعس العداة فما يفرق شملهم متفرق الاسماء والآحاد

ابن تيمية

ما رأيت عالماً حارب في كل ميدان وتلقى الضربات من كل معسكر وجمع أسباب السيطرة والتفوق في الفقه والكلام والتفسير كما وقع ذلك لابن تيمية وهو تلميذ احمد ابن حنبل بحق في الصبر على المحنة والاصرار على الرأي مهما كلفه ذلك من ثمن .

فقد اختلف ابن تيمية مع رجال عصره جميعاً الفقهاء والفلاسفة والصوفية وحاربههم جميعاً ورموه عن قوس واحدة بالزندقة والمروق وصمد ابن تيمية ولم يتزعزع ولم يرهبه السجن ولم يفت في عضده كان يدخل اليه ليخرج أشد صلابة وقوة ولا يلبث ان يعاود حملته من جديد ودعوته من جديد .

وفي خلال اربعة عشر عاماً من سنة ٦٩٨ الى سنة ٧١٢ هـ ابن تيمية ميادين العلم في مصر والشام ووقف للنصيرية والباطنية والروافض بالمرصاد .

ولد بعد سقوط بغداد فكانما كان مولده نذيراً بهذه الحياة المليئة بالكفاح والصراع فقد عاش في ذلك الجو الذي اخذ التتار فيه يحطمون المقدرات الاسلامية بعد ان أطفأوا منار الخلافة في بغداد فأحس هو المعنى البعيد الذي توحى به هذه الاحداث ذلك هو ضعف المسلمين عن فهم دينهم وعجزهم عن التمسك به وتصدع جبهتهم الموحدة .

هذه الفترة العصبية اخرجت مولوداً قوياً في الحق فكان ابن تيمية حاداً قوياً العارضة غاية في الجرأة .

دعا ابن تيمية الى العودة بالاسلام لبساطته الاولى بعد ان هاله ذلك

التمزق في الجبهة الاسلامية .

زوايا الصوفية ورباطاتهم وخوانقهم منتشرة في كل مكان وآراءهم المشوهة المضطربة تبلبل الافكار وقد اخرجت الاسلام من بساطته الى تعقيدات الحلول ووحدة الوجود .

وفرق الرفاعية في دمشق وحلب والجيلانية في العراق والشاذلية في مصر كلها تسيطر على الرأي العام وعلى الامراء .
وكانت هذه الفرق تتصارع فيما بينها ثم تتصارع مع الفقهاء والفقهاء يتصارعون فيما بينهم لصراع بين الحنابلة والأشاعرة وبين الفقهاء والمتكلمين وبين المتكلمين والصوفية .

ووقف ابن تيمية بين هذه الفرق جميعاً ليدعو الى السنة الصحيحة ولم يدخل الميدان الا وقد احاط بالثقافات المتعددة في مختلف هذه الميادين وألم بفنون الحديث وحفظ المتون وعرف الرجال جرحهم وتعديلاتهم واعانه على ذلك حافظه واعية وذاكرة قوية وذكاء مفرط صدق في وصفه ابن دقيق العيد حيث قال : رأيت رجلاً جمع العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع منها ما يريد .

وكان ذا عقلية مرتبة يورد في جلسة واحدة او خطبة واحدة العدييد من السير والاحاديث والحكم التي ينتظمها موضوع واحد .
وقد وصف ابن تيمية بأنه كان مهيباً ابيض اللون اسود شعر الرأس واللحية ربعة في الرجال بعيد ما بين المنكبين جمهوري الصوت فصيحاً واسع العينين كأنها لسانان ناطقان .

ومضى ابن تيمية يناهض البدعة في العقائد والاحكام والعبادات ويكافح مبادئ الحلولية في التصوف واستنكر تقديس الموتى والاولياء وانكر على المعتزلة مسائل الصفات وانكر على الفقهاء غلق باب الاجتهاد والوقوف

عند قيود المذاهب الاربعة لا يتخطونها وانكر على الفلاسفة اغرابهم
ومغالطتهم وبعدهم عن بساطة الاسلام .

ولم يقف عند هذا بل اتجه الى الناحية الايجابية فخرج على مذهب
الاشعري في الاصول ومذاهب الائمة الاربعة في الفروع .

وحارب خرافات الاحمدية بدخول النار وغيرها وأفتى في الطلاق بأن
الطلاق الثلاث من غير تحلل رجعة تقع طلقة واحدة .

وبهذا فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ويقول : ان نصوص الشريعة
الاسلامية وافية بحاجات الناس ويقول قول الامام احمد لا تقلدني ولا تقلد
مالكا ولا الشافعي وتعلم كما تعلمنا . وبدأ حملاته على الصوفية بان وجه
اليهم كتباً يطلب اليهم البعد عن مسايرة عقائد الحلول والاتحاد مبيناً لهم
خطورها على الاسلام وأنها بدعة لم تأت في كتاب .

وقد ارسل الصوفية هذه الكتب الى شيخهم نصر المنبجي الذي كان
محبباً الى ارباب الدولة في القاهرة فاستعانوا بالولاة ان يقدم الشيخ الى
القاهرة وادخلوا في روع الامير ركن الدين الجاشنكر ان ابن تيمية خطر
على الدولة وقالوا له انه لو ارخى له العنان لأخرج الماليك من الحكم
كما فعل ابن تومرت في المغرب فعمدت له مجالس المناظرة في دمشق
ناظره فيها صفى الدين الهندي والزملكاني وكانت الغلبة لابن تيمية .

ثم استدعي الى مصر وأثاروا عليه حملة واسعة قادها العلماء الذين
جمعت بينهم الاهواء .

وقد حكم عليه بأن يلقي في الجب معلقاً بحبل ويبقى فيه عاماً ونصف
عام ثم خرج منه وما ازداد الا اصراراً على رأيه وثباتاً على عقيدته ثم
حكم عليه بالسجن مرة اخرى بحبس القضاة ثم اعتقل في برج الاسكندرية
ثمانية شهور .

وعاد الى دمشق بعد غيبة سبع سنين عنها وسرعان ما دبرت له

المؤامرات وانتهزت فرصة افتائه بما لا يعجب السلطان فحكم عليه بالسجن في قلعة دمشق خمسة اشهر .

وكان طبيعياً ان يلقى ابن تيمية هذه الحملات وان يظل موضع الحقد من السلاطين والحكومات والعلماء ولكن ابن تيمية كان صلب العود . لقد واصل حملاته قوية جبارة يصدر فيها عن عمق اطلاع وسعة فهم واصالة في قيادة المساجلات .

وفي كل مرة من المرات التي عقدت له مجالس المحاكمة وكانت خمس مرات كان يخرج منتصراً وعوقب بالسجن مرات فكان يدأب فيه على تعليم العامة وتثقيفهم في اصول الدين ويعكف على كتاباته ومطالعاته حتى انه وضع تفسيره للقرآن في ثلاثة اجزاء وهو في قبه مظلم رطب تحت الارض .

وسجن مرة في برج قضى فيه شهر رمضان فلما جاءت ليلة العيد انزل الى الجب وكان يعاود عرض آرائه واعلانها للناس مرة فمرة حتى يغرسها في عقولهم فإذا لقي الاضطهاد والعنف انطوى حتى تسكن الفتنة ثم يعاود الكرة فيذيع آراءه مرة اخرى فتقوم عليه الثورة .

ولا شك كان للاحقاد التي يضرها العلماء نحو ابن تيمية لبروز عبقريته وشهرته وعلمه ابعث الاثر في تأجيج نار الفتنة والنقمة عليه . ولم تكن آراؤه تنقل على حقيقتها بل كانت تحرف وتؤول وتفسر وتدس عليه اقوال ليست له .

وفي المرحلة الأخيرة من حياته امضى في سجنه أكثر من ثلاث سنوات وجرى من اوراقه وكتبه وظل في محبسه حتى توفي في ٢١ ذي القعدة (٧٢٨) هـ .

ولم تكن حياة ابن تيمية صفواً بل كانت حافلة بالمتاعب ، ففي الفترات التي كان يخرج فيها من سجنه كانت العامة تلاحقه بالأذى بل نسخة مجانية

ان بعض العلماء تربصوا به مع بعض الفوغاء وانتهزوا فرصة مروره بأحد
الأمكنة الخيالية من العمران وضربوه ضرباً مبرحاً وظل يحتمل ذلك صابراً
محتسباً وظلت ابواب بيبرس مقفلة في وجهه وكان سلاطين المماليك يخشون
نفوذه ويعملون على تحطيمه .

وبالرغم من هذا الاضطهاد فانه لم ينس واجبه عندما هاجم التتار
حدود الشام فقد ركب فرسه ومضى يحث الناس على الجهاد وشهد موقعة
شقحب وكان عاملاً هاماً من عوامل انتصار المسلمين على التتار فيها .

ومضى ابن تيمية يحث الناس على الجهاد يحرصهم ويدعوهم الى الشهادة
في سبيل الدفاع عن الوطن والحرية .

وقد عرف بالشجاعة البالغة وثبات الجنان والبراعة في ركوب الخيل
والطعن وكان لسانه اللبقي يدفع عن النفوس الهلع وينشر الشجاعة والحمية
في صفوف المحاربين .

ورقف في هذه المعارك موقف الموت فكان قدوة للناس الذين كانوا
يتدافعون تحت اللواء يقتلون ويُقتلون .

ولم يقف أمر ابن تيمية عند هذا الحد بل انه ذهب الى الامراء
والسلاطين في مصر يشجعهم على الجهاد في سبيل الله ويحثهم على ارسال
الكتائب لتقاوم الغارة .

وعاد ابن تيمية من حرب الى حرب . عاد ليحارب القرامطة والباطنية
الذين كانوا عوناً لكل عدو وثغرة لمن أراد ان ينفذ الى ارض المسلمين .

كان ابن تيمية نسيج وحده في الخلق من ذلك الصنف الذي لا يؤمن
بالمباقة ولا السياسة ولا المجاملة في سبيل الحق الذي يعتقد بل يقول كل
ما عنده دون ان يبالي إن أغضب الناس او الحكام او العلماء . وقد ازعج
خصومه وبتد منهم فكانوا يبحثون له عن لفظ او كلمة يتخذونها
ذريعة لاتهمه .

وقد عرف باعراضه عن طلب الرياسات ولم يقبل ان يكون ظلاً
لأمير او سلطان بل انه ظل طوال حياته يرفض اعطياتهم .
ولما جاءت القناطير المقنطرة من الذهب والفضة في اواخر عمره انفقها
جميعها دون ان يبقي منها شيئاً .
وقد الف في سجنه صفوة كتبه وفتاواه واحكامه في تفسير القرآن
وشهدت سجونه بحارة الديلم بالقاهرة وفي البرج المطبق في الاسكندرية
وفي سجن القلعة في دمشق هذه الصفحات الخالدة من العلم .
ولا شك ان ابن تيمية كان رجلاً انساناً ممتازاً ، كان عاملاً قوي
الحجة وفارساً يصول كأعظم المجاهدين لا يؤمن بأساليب السياسة في العلم
ولا يتوانى عن قول الحق دون مواربة .
فلما مات شيعه الناس زمراً وحضر دفنه مائة الف رجل وخمس عشرة
الف امرأة فيما ترويه الاثار وكسر العامة أعواد نعشه ودفن في مقابر الصوفية .

انور الجندي

التسامح وعلو الهمة

روى صاحب^(١) ثمرات الاوراق قال :

لما افضت^(٢) الخلافة الى بني العباس اختفت رجال بني امية ومنهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وكان ابراهيم رجلاً عالماً عاملاً ادبياً كاملاً ، وهو في سن الشببية فأخذوا له اماناً من السفاح فقال له يوماً حدثني عما مر بك في اختفائك ، قال ، كنت يا امير المؤمنين مختفياً بالحيرة^(٣) في منزل شارع على الصحراء فبينما انما على ظهر البيت اذ نظرت الى اعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت انها تريدني فخرجت من الدار متنكراً حتى اتيت الكوفة ولا اعرف احداً اختفي عنده فبقيت في حيرة فاذا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فاذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه واتباعه فقال من انت ؟ وما حاجتك ؟ فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فأدخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه ، وكنت عنده في ذلك على ما احبه من مطعم ومشرب وملبس ، لا يسألني عن شيء من حالي الا انه يركب في كل يوم ركبه فقلت له يوماً اراك تدمن الركوب ففيم ذلك ؟ قال ابراهيم بن سليمان قتل ابي صبرا^(٤) وقد بلغني انه مختف فأنا اطلبه لادرك منه ثأري فكثرت والله تعجبي وقلت القدر ساقني الى حتفي في منزل من يطلب دمي

(١) تقي الدين ابو بكر بن حجة الحموي الشاعر الكاتب خدم في دواوين الانشاء بالشام ومصر وله عدة تصانيف وتوفي عام ٨٣٧ هـ . (٢) افضت : انتهت . (٣) الحيرة مدينة على الفرات كانت حاضرة دولة المناذرة خلفاء كسرى في الجاهلية على العرب وبنيت بقربها الكوفة في صدر الاسلام ثم خربت الحيرة بعد زمن . (٤) صبرا : قتله وهو محبوس مكتوف لا يستطيع أن يدفع عن نفسه .

وكرهت الحياة ، فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه فاخبرني فعلمت ان
الخبر صحيح وانا الذي قتلت اياه فقلت له ، يا هذا قد وجب علي
حقتك ، ومن حقتك ان ادلك على خصمك واقرب اليك الخطوة قال وما
ذاك ؟ قلت انا ابراهيم بن سليمان قاتل ابيك فخذ بئارك فقال اني احسبك
رجلاً قد مضه (١) الاختفاء ، فأحب الموت فقلت لا والله ولكن اقول
لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا ، فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت
عيناه وأطرق ملياً (٢) ثم قال ، اما انت فستلقى ابي عند حكم عدل
فياخذ بئاره ، وأما انا فغير مخفر (٣) ذمتي فاخرج عني فلست آمن عليك
من نفسي ، وأعطاني الف دينار فلم آخذها وانصرفت عنه ، فهذا اكرم
رجل رأيت بعد أمير المؤمنين .

(١) مضه : أوجعه وأحزن قلبه .

(٢) ملياً : الملى الزمن الطويل اي اطرق رأسه وفكر طويلاً .

(٣) مخفر : أي غير ناقض عهدي وتأميني لك .

الإيمان بالقضاء والقدر

قال صاحب (١) كتاب عجائب الهند :

من طريف الاخبار ما حدث به بعض اصحابنا قال ، ركبت سفينة من الابل (٢) اريد بينونة (٣) فأخذتنا الرياح والامواج وزاد الأمر علينا حتى نزعنا ثيابنا ولم يكن عندنا شك انا تالفون ، وكان في السفينة امرأة معها صبي وكانت ساكنة قبل ذلك ، فلما اشتد بنا الأمر اخذت ترقص الصبي وتضحك ولم يكن فينا فضل لمخاطبتها لأنها يئسنا من الحياة ، فلما صرنا في الشط وامنا الغرق قلت لها : يا هذه اما تتقين الله عز وجل ، انت ترين ما حل بنا من البلاء وانا قد يئسنا من الحياة وترقصين الصبي وتضحكين ، اما خفت الغرق كما خفنا ؟ فقالت ، لو سمعت حديثي لتعجبتم وما أنكرتم علي صبري وتهاوني بالغرق ، قلنا لها حديثنا فقالت : أنا امرأة من اهل الابل وكان لوالدي صديق من بنانية (٤) المراكب المختلفة من عمان الى البصرة وكان اذا ورد المركب الذي هو فيه من عمان نزل الينا واقام عندنا اياماً وأهدى الينا . واذا اراد الخروج فعلنا مثل ذلك واهدينا اليه ما يمكننا ، وكان رجلاً مستوراً فزوجني ابي به ، وما مضي غير ثلاث سنوات حتى توفي ابي فقال لي : قومي حتى املك الى عمان فإن لي بها والدة واهلاً ، فخرجت معه الى عمان وكنت مع اهلها مقدار أربع سنين وهو يختلف بين عمان والبصرة ،

(١) هو برزك بن شهر يار الناخداه الرامهرمزي من أهالي القرن الرابع عشر الهجري .

(٢) الابل : مرفأ بالبصرة (٣) بينونة : بلدة بالبحرين . (٤) بنانية : يظهر انهم

ملاحون ينسبون الى بنانة محلة بالبصرة . (٥) المترددة بين البلدين .

ثم توفي بعمان بعد ان ولدت هذا الصبي بخمسة أشهر ، فلما قضيت العدة لم يطب لي المقام بعمان لأن مقامي انما كان بسببه فقلت لوالدته وأهله اريد ان ارجع الى اهلي بالابلة فقالوا لي : ان اقمتم في بلدنا قاسمناك حياتنا ، فليس لنا في هذه الدنيا غير هذا الصبي وسألوني الاقامة بينهم فابيت ، فلما عزمتم على الخروج اشتريت للصبي سريراً وثيقاً من خيزران وجعلت فيه ثياباً كنت قد جمعتها لي وللصبي ، وذخيرة كنت ادخرتها وغطيت ذلك كله وأحكمته ، وجعلت الصبي فوقه وخرجت في مركب يريد البصرة ، فبينما نحن كذلك اذ اخذنا الحُب (١) فانكسر المركب نصف الليل وتفرقت الركاب والبنانية في البحر ، فلم ير احد منا صاحبه ، وتعلقت بلوح من الألواح فضبطته ولم أزل عليه الى نصف النهار من الغد حتى رأنا صاحب مركب مجتاز ، فجمع الركاب نحو عشر أنفس كنت انا احدهم وحملنا الى مركبه ونكسوا رؤوسنا حتى قذفنا الماء الذي شربناه في البحر ، وسقونا أدوية وعالجونا الى الغداة من الغد ، حتى رجعت نفوسنا الينا وانا قد نسيت ابني لما انا فيه وزال الفكر فيه عن قلبي ، فلما كان من الغد قال صاحب المركب وانا اسمع : انظروا هذه المرأة أها ابن ؟ فإن هذا الصبي الذي وجدناه يموت ؟ فقالوا لي : ألك لبن ؟ فتذكرت الصبي فقلت : قد كان لي لبن وما مر بي ما اعلم انه قد بقي منه شيء ، فقالوا ابصري هذا الصبي قبل ان يموت فجاءوني بالسرير وفيه الصبي بحاله ما فتحوه ولا أخذوا منه شيئاً فلما رأته وقعت على وجهي وصرخت وغشي علي ، فرشوا علي الماء وقالوا : ما أنت ؟ فأفقت بعد ساعة وأقبلت أبكي وأضم الصبي فقالوا يا هذه ما لك ؟ فقلت : هذا الصبي ابني فقام صاحب المركب الي وقال : هذا ابنك ؟

(١) الحُب : هياج البحر وتياره .

فأي شيء الذي تحته ؟ فأقبلت أعد عليهم ما تحته وجعلوا يخرجون شيئاً
بعد شيء كأنه إنما وضع الساعة فما منهم احد الا بكى بكاء عظيماً
وحمدوا الله وشكروا له .

فأنا التي غرقت في ذلك البحر وفرق بيني وبين ابني فجمع الله بيني
وبينه على تلك الصورة أخاف من هذه الرحلة ؟ ان كتب الله علي الغرق
لم ينفعني الحذر .

نوادير اشعب

هو اشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير ولد سنة تسع عن الهجرة ونشأ بالمدينة وكان من القراء حسن الصوت شديد الطمع حتى ضرب به المثل فقبيل (اطمع من اشعب) وله في ذلك نوادر وملح نورد لك طرقات منها .

قيل له ما بلغ من طمعك ؟ قال ما نظرت قط الى اثنين يتساران في جنازة الا قدرت ان الميت قد اوصى لي من ماله بشيء وما ادخل احد يده في كفه الا ظننت انه يعطيني شيئاً .

واجتمع عليه يوماً غلمان المدينة يعابثونه فقال لهم : ان في دار بني فلان عرساً فانطلقوا الى ثم فهو انفع لكم ، فانطلقوا وتركوه . فلما مضوا قال لعل الذي قلت من ذلك حق فمضى في اثرهم نحو الموضوع فلم يجد شيئاً .
وادب^(١) رجل من أهل المدينة نفرأ من خلانته الى مأدبة من حيتان فيبئنا هم يأكلون اذا استأذن اشعب فقال احدهم ، ان من شأن اشعب ان يعتمد الى اجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان في آنية بناحية ويأكل معنا الصغار ففعلوا واذن له ، فقال : ما رأيك في الحيتان ؟ قال والله ان لي عليها لجرداً شديداً وحنقاً^(٢) لان ابي مات في البحر وأكلته الحيتان فقالوا له : دونك فخذ بثأر ابيك فجلس ومد يده الى حوت منها صغير ووضع عند اذنه وقد نظر الى الانية ذات الحيتان الكبيرة فقال اتدرون ما يقول لي هذا الحوت ؟ قالوا : لا ، قال : يقول انه لم يحضر موت ابي ولم يدركه لان سنه تصغر عن ذلك ولكن قال لي عليك بتلك الكبار في

(١) أدبه كضرب دعاه الى طعامه . (٢) الحرد : الغضب والغليظ والحنق شدة الغيظ .

زاوية البيت فهي التي أدركت اباك وأكلته .
ودعاه بعض اخوانه الى طعام فقال : اخاف ان يحيي ثقبيل فقال له :
ليس معنا ثالث ، فمضى معه وحضر الطعام فاذا بذاق يدق الباب فقال :
ترى ان قد صرنا الى ما نكره قال : انه صديق وفيه عشر خصال ان
كرهت واحدة منهم لم آذن له ، قال : هات قال : اولها انه لا يأكل
ولا يشرب ، قال : التسع لك قل له يدخل .

(١) قصة العقاقير

عرف الناس المرض والام منذ عرفوا الحياة ومضت سنون واعوام وهم لا يعرفون لامراضهم دواء غير السحر والرقى (٢) والتعاويد (٣) . فلما تكشفت لهم الطبيعة عن الخواص الشافية في بعض النباتات والاعشاب اقبلوا عليها وصار العطار ملاذاً لكل من برح (٤) به المرض وعذبه الداء يجد في أعشابه ونباتاته ناجع الدواء ويتذوق من أمزجته ومساحيقه وخلصاته أكاسير (٥) الصحة والشفاء .

وانقلبت الغابات والسهول والأودية صيدليات طبيعية يستمد الناس من اعشابها وشجيراتهم وقشورها وجذورها وأوراقها وازهارها وثمارها وعصيرها وبذورهم ادوية لمختلف الأمراض والأدواء .

وتضافرت (٦) قوة الملاحظة مع الذكاء الفطري والتجربة المستمرة على اكساب العطارين الأوائل مقدرة التمييز بين الضار والنافع من النباتات مع الاحاطة بخواصها المسكنة او المسهلة او القابضة (٧) او الطاردة للديدان .

(١) العقاقير ما يتدواى به من النبات أو الدواء مطلقاً . (٢) الرقى ، م . الرقية وهي في زعم بعضهم ما يستعان به للحصول على امر بقوى تفوق القوى الطبيعية . (٣) التعاويد ، م . التعاويد وهي بمعنى الرقية تكتب وتعلق على الانسان لتقيه في زعمهم من الجنون والعين . (٤) برح به أتعبه وأجهدته وآذاه أذى شديداً ، يقال برح الله عنك أي كشف البرح أو الشدة ونفس عنك . (٥) الاكاسير ، م . الاكسير وهو ما يلقي على الفضة ونحوها فيحوله ذهباً وهذا من الخرافات وهي أيضاً بمعنى الدواء المركب من مادة او مواد عدة مذابة في الكحول ، والاكاسير هنا بمعنى الادوية . (٦) تضافرت تعاونت ؛ يقال تضافروا على الامر أي تعاونوا .

نسخة مجانية

(٧) القابضة التي تحدث امساكاً في المعدة .

وكان للمصريين القدماء نصيب كبير من هذه المعرفة ، منذ القرن الثلاثين قبل الميلاد وكذلك الاغارقة الذين ضربوا بسهم^(١) وافر في هذا الميدان ، فكان منهم علماء أمثال (فيثاغورس) و (ابوقراط) خلدت ذكراهم العصور والازمان .

ولما رحل (ديسكوريدس) الى مصر وغيرها من بلاد حوض البحر الابيض المتوسط ابان الدولة الرومانية اكتسب معرفة واسعة بكثير من النباتات والاعشاب واستطاع ان يضع مؤلفاً كبيراً وصف فيه اكثر من خمسة آلاف نبات طبي الى جانب كثير من العقاقير الحيوانية والمعدنية . واتى العرب فعرفوا مجموعة كبيرة اخرى من هذه النباتات واقاموا في بغداد اول صيدلية منظمة تمد الناس بالادوية والعقاقير .

وكان (ابن البيطار) اول عالم عربي ألم بخواص النباتات ووضع فيها كتابه (الجامع الكبير) الذي حوى وصفاً دقيقاً لألفين منها .

واعقبت المدرسة العربية مدرسة (ساليرنو) الايطالية ولكنها لم تضيف كثيراً الى ما كان معروفاً حينذاك من خواص النباتات حتى اذا ما اكتشفت امريكا عرف الناس كثيراً من النباتات التي لم يكونوا يعرفونها كالكينا وعرق الذهب والكوكا وغيرها .

ولم تلبث خطوات العلم ان تقدمت رويداً رويداً وأخذ علم الكيمياء يستوي وينضج وبدأ علماءه يبحثون في اسرار المادة وطبائع الاشياء وتفتحت ابواب المعامل والمختبرات لكل مجهول من المواد والنباتات تتلقاه في انابيب الاختبار والبواتق^(٢) والمعوجات رقم^(٣) بالبحث والتجريب . فتكشفت النباتات والمواد التي كان يتدواى بها الاقدمون عن جوهرها الفعالة المختبئة في

(١) السهم واحد النبل ، والسهم هنا بمعنى النصيب او الحظ ، وضربوا بسهم وافر في هذا الميدان ، اي كان لهم نصيب وافر في اكتشاف الادوية والعقاقير . (٢) البواتق ، م . البوتقة وهي الوعاء الذي تذاب فيه المعادن ؛ والبواتق هنا هي الدوارق الزجاجية التي تستعمل في المختبرات للتجارب الكيميائية . (٣) المعوجات . الانابيب الزجاجية المعوجة والمستعملة في المختبرات .

بعض اجزائها . وتتابع غزوات الكيمياءيين وتوالت انتصاراتهم واكتشافاتهم فاستخرجوا (المورفين) من الافيون و (الكوكايين) من اوراق الكوكا ، و (الاميتين) من عرق الذهب ، و (الديجيتالين) من اصبع العذراء ، (الكينين) من الكينا ، وغير ذلك من العقاقير التي تضافرت جهودهم على تنقيتها وتحسين طرق استخلاصها واستغلالها في القضاء على مسببات المرض وتسكين الآلام وتوفير الصحة والعافية لبني الانسان .

وتطور العلم تطوراً مكن الكيمياءيين من النجاح في صنع كثير من تلك العقاقير في المعامل والمختبرات والاستغناء عن استخلاصها من النباتات فتيسر بذلك تحضيرها بكميات كبيرة ونفقات قليلة .

ومضى العلماء والاطباء يواصلون بحوثهم وتجاربهم فكانت تلك العقاقير والمستحضرات الطبية المتعددة التي تستغل اليوم في الوقاية والعلاج ، تسهم بنصيب وافر في تخفيف آلام البشر ومقاومة الامراض .

وما زالت معامل البحث تضيف كل يوم جديداً وتروي طرفاً من سيرة ابطالها اولئك العباقرة من علماء الطب والصيدلية والكيمياء الذين وهبوا الانسانية المعذبة ارواحهم وعقولهم وخاضوا معركة الالم والمرض مستبسلين فكان لهم الفوز والنصر المبين وللانسانية الامن والسلام والخلاص من ربقة (١) الالام .

الدكتور محمود سلامة

(قصة العقاقير)

(١) الربقة : العروة في الحبل جمعها ربق ورباق وارباق ؛ يقال حل ربقته أي فرج عن كربتته ونقضوا الحبال واكلوا الرباق أن نقضوا العهد .

قصة يتيم

ان لهذا اليتيم قصة دامية ديجها من الدهر يراعة صناع ، وسطرتها بنانة مبينة ثم سواها للناس امثولة حية يرؤن فيها الامل كيف ينبل فيسمو بالنفس ، والألم كيف يثور فيتلغها ثم يهوي بها الى قرار سحيق ، والفرح كيف يفرج الفصون ويداعب القسما ، والحزن كيف يعبسها ويزيل نضارتها ، والامن كيف يملأ القلوب رضا والفؤاد محبة وثقة ، والخوف كيف يشيع السخط فيها ويغرس اليأس والقنوط ، والاستقرار كيف يجيب الى المرء الحياة فتزهو في ناظره كالعروس المجلوة ، والحيرة كيف تلون له الدنيا بلونها القاتم فيمقتها ويود لو يزايها .

تلك قصة امتلأت عظات وحكما وامثالاً تنطق بما في الزمان من مظاهر متقلبة ومشاهد متغيرة ينتفع بها كل لبيب اريب شعاره البدار قبل البوار والحذر قبل الخطر وكثيراً ما تكون في الحيلة النجاة وفي الكيس العواقب المرجاة .

ولد هذا الصبي فلقني من ابيه كنفاً رحباً وقلباً حديباً حانياً كان ميلاده امنية من اماني ابيه فلما وهب له خر لله ساجداً ورجا ان ينشئه تنشئة خلقية نافعة له وللوطن ودفع به الى ظئر ترعاه وتتعهد شؤونه وهياً له من وسائل الحياة السعيدة ما تقر له العين فمن مطاعم شهية الى مشارب هنية الى رياضة بدنية الى غير ذلك من وسائل الترف .

حتى اذا شب واستعد للتعلم الحقه أبوه بدور العلم فبدأ ذكاؤه والتمعت قريحته وأصبح بين اخوانه كالزهرة الفذة في الروضة العبة وكالوردة الندية في مشارق الربيع .

نسخة مجانية

وبينا كان في ينعم بمحبوحة من الترف وبلهنية من النعيم اذ لوى له
الدهر جيده وراش له سهماً من سهامه ففضى على ابيه بعد مرض لم
يمهله وداء لم يرحمه فترك فلذة كبده ومناط أمله نهياً للدهر يذبح عليه
بكللكه ويطؤه بمنسمة وهو لا يزال صغير السن رطب العود غض الاهداب
قليل التجربة ضيق الحيلة .

وآل أمره إلى احد أعمامه وكانت بينه وبين أبيه الفقيد حقوق دفينه
وخصومات اليمة قدمت عهودها لكنها ما تزال في قلب ذلك العم تومض
تحت رماد وتتنقد بغير زناد فقد كان ذا نفس خبيثة وضمير مدخول .

وما ان استولى على ثروة هذا الغلام المسكين حتى اهتز اهتزاز الفخور
بالنصر ومنى نفسه بالأخذ بثأره القديم من هذا اليتيم ليشفئها من داء بثه
فيها الحقد وممكن له الحسد والبغض ، وأخذ يحوط الأمر وينفذ الى غرضه
رويداً رويداً لتكون إساءته الى الطفل كداء السلال اذا دب في الاوصال .
فضمه إلى داره وخلطه بصغاره تظاهراً منه بأنه اتخذه ابناً له مقرباً
ليبصر شؤونه بعينه ويتفقد أموره بنفسه ويلبس كل ما يحتاج اليه فيهيئه
له ، ولكنه في الواقع ضمه اليه ليسيطر عليه ويرغمه على طاعته واخذ يبغض
اليه التعليم ويحبب اليه البطالة ويغريه بالكسل فاستجاب له الطفل وعاف
العمل ومل المدرسة وطفق ينقطع عنها الفينة بعد الفينة ويهمل في اداء
واجباته ويقصر في تحصيل دروسه واغراه بذلك اخوان سوء دسهم وصية
اليه فراودوه على الاهمال والتقصير ، فانقاد لهم عن طواعية وهو لا يدري
ما وراء الاكمة ولا يتنبه الى الشرك الذي نصب له .

وما هي الا فترة من الزمن حتى لفظته المدرسة وأصبح من رواد
الحارات والأزقة فساءت اخلاقه وخبثت نفسه .

هنا اخذ الوصي يعنفه ويؤنبه ويلقي في روعه انه ليس كفؤاً لعمل

نسخة مجازية

مفيد ولا اهلاً لمستقبل مجيد ويرميه بالغباوة وبلادة الطبع ويحول بينه وبين أبنائه لئلا تثقل إليهم عدواه فأصبح منبوذاً غريباً في دار هو صاحبها وطريداً في منزل هو مصدر خيره لا يجد من حوله من يحنو عليه أو يؤنس وحشته ، حتى أصبح يقضي ليله وحيداً ونهاره شريداً . واهملت شؤونه الخاصة فخشن طعامه وملح شرابه ورث ملبسه كلما عنت له حاجة وهم بطلبها من وصيه اقعده عن ذلك نفس مطبوعة على الالباء وقلب يعاف ذل الرجاء .

وهو بين هذا وذاك يقوى شبابه وينمو عقله فيتذكر أيامه ويتأمل حاضر آلامه ويسأل نفسه عما أصابه وكيف انحدر من العز والدعة الى الهوان والضيق فيتململ تملل السليم ويئن انين السقيم لضعف قدرته وعجز حيلته لا يعرف كيف يدفع عن نفسه سهام النوازل او يرد عنها عوادي الاحداث ، قد حلت الخطوب بساحته فملأها اقسى ما تملأ به ساحة ، وغير الزمان له طعم كأسه فاحتساها علفماً بعد ان كانت عسلاً وشهداً واخذ يسقيه بها فاذا جرع شرق واذا تنفس اختنق .

ومما اذهب نفسه حسرات ان كان يرى وصيه وابناءه يزدادون ترفاً ونعمة فتمتلىء نفوسهم كبراً وزهواً فأغرام ذلك باحتقاره فصعروا له خدودهم ، وثنوا اعطافهم والله يعلم انهم ينعمون بماله ويتمتعون بثرائه ويستأثرون بخيره لا يبالون رقيباً ولا يخشون حسيباً .

واذا حال الحول قدم الوصي الى ولاة الامر بياناً بحسابه كاذباً وزعم لهم انه عليه العين الساهرة واليد الرفيقة والصدر الحاني وانه انفق في سبيل رعايته ما انفق وهياً له من السعادة ما هياً .

وهكذا كان يزور امامهم كل شيء حسبما تمليه الذمة الخربة والقلب المتحجر الاصم والنفس التي استمرأت الحرام وارتكبت بذلك جملة آثام ويكفي واحد منها ان يعذبه الله به عذاباً شديداً .

ثم دار الفلك دورته واذا الشاب يبلغ سن الرشد ويناضل مناضلة
تتراوح بين اليأس والامل في سبيل الاستيلاء على الاثارة الباقية من تركته
واستنقاذها من براثن هذا الوحش الادمي ثم اذا هو يظفر بنصيبه ويحظى
بأمنيته واذا بتركته كالظلال الدارس والرسم الطامس فشمع عن ساعد
الجد وأخذ يجمع فتاتها ويحيي مواتها حتى دبت فيها حياة جديدة ونما
دخلها وكثر حرثها ونسلها وبارك الله فيها وعوضه عما فقد منها .
وبينا هو سعيد بحاضره يستعيد من ماضيه ذكرياته البائسة اذ تقدم
اليه ذلك الذي كان وصيه بالامس يستلهمه العون ويستجديه الغوث اذ
نفد ماله وفسد اطفاله وثقلت عليه وطأة مرض فأتك لم يستطع له علاجاً
وتفرق عنه خلان السوء وقرناء الشر وعبيد المال حتى اصبح من كل
شيء خاوي الوفاض بادي الانفاض وهنا تنبه في نفس الشاب كرم العنصر
وطيب المحتد وأصالة المنبت فلم يقابل السوء بالسوء بل عفا واصلح
وجزى بالسوء احساناً والتنكر خيراً وعرفاناً .

شجاعة وذكاء

روى صاحب كتاب «الفرج بعد الشدة» عن رجل كردي شجاع يعرف بأبي علي كان قد انحاز الى عمران بن شاهين الكردي - وهو فاتك يقود طائفة من اللصوص قد اشتهرت بقطع الطريق في جبال الكرد - قال: خرجنا مرة بالجبال في ايام موسم الحج ، وعددنا سبعون رجلاً من فارس وراجل ، فاعترضنا الحاج الخراسانية ، وكان لنا عين^(١) من القافلة ، فعاد وعرفنا ان في القافلة رجلاً من أهل شاس^(٢) وفرغانة معه اثنا عشر رجلاً وجارية في قبة^(٣) عليها حلي ثقيل ، فجعلنا أعيننا عليه ، حتى وثبنا وهو والجارية في عمارية^(٤) ، فقطعنا قطاره وكتفناه وادخلناه وما معه بين الجبال ، ووقفنا على ما معه وفرحنا بالغنيمة ، وكان للرجل برذون^(٥) اصفر يساوي مائتي درهم ، فلما رأنا نريد القفول^(٦) قال : يا فتيان ! هناكم الله بما أخذتم ، ولكنني رجل حاج بعيد الدار ، فلا تتعرضوا لسخط الله بمنعمي من الحج ، فأما المال فيذهب ويجيء ، وتعلمون أنه لا نجاة لي الا على هذا البرذون ، فاتركوه لي ، فليس بين ثمنه في الغنيمة التي أخذتموها ، فتشاورنا ، فقال شيخ مجرب : لا تردوه عليه ، واتركوه مكتوفاً هنا ، فان كان في اجله تاخير فسيقيض^(٧) الله له من يحل كتافه - فكنت فيمن عزم على هذا - وقال بعضنا ما مقدار دابة بمائتي درهم نمنعها رجلاً حاجاً ! وجعلوا يرققون قلوب الباقين ، حتى

(١) جاسوس . (٢) بلدة ببلاد ما وراء النهر ببلاد التركستان ، وفرغانة مدينة وكورة تسمى باسمها في هذه النواحي . (٣) الهودج . نوع من الهودج . (٤) فرس تركي . (٥) الرجوع . (٦) يقدر .

سمحنا بذلك فأطلقناه ، ولم ندع عليه الا ثوباً يستره ، فقال : يا فتيان انتم منتم علي ورددتم دابتي وأخشي اذا انا سرت أن يأخذها غيركم ، فأعطوني قوسي ونشابي أذب بها عن نفسي وفرسي ، فقلنا : لا نرد سلاحاً على أحد ، فقال بعضنا لبعض : وما مقدار قوس ثمنها درهمان ؟ وما نخشى من مثل هذا ؟ فأعطيناه قوسه ونشابهه ، وقلنا : انصرف ، فشكرنا ودعا لنا ، ومضى حتى غاب عن أعيننا ، فما كدنا نسير والجارية تبكي حتى كر الرجل راجعاً وقال : يا فتيان ! انا لكم ناصح ، فإنكم قد احسنتم الي ، ولا بد من مكافأتكم على احسانكم بنصيحتي لكم ، فقلنا : ما نصيحتك ؟ فقال : دعو ما في ايديكم ، وانصرفوا سالمين بانفسكم ولكم الفضل ، فانكم منتم على رجل واحد ، وأنا امن على سبعين رجلاً منكم . واذا به قد انقلبت عيناه في ام رأسه ، وخرج الزبد من اشداقه كالجلج الهائج ، فهزئنا به ، وضحكنا ، فاعاد علينا النصيحة فقال يا قوم ! قد مننت عليكم لا تجعلوا لي على ارواحكم سيلاً ، فزاد غيظنا منه ، فقصدناه وحملنا عليه ، فانحاز عنا ورمى خمس نشابات كانت بيده فقتل بها خمسة رجال وأخذ خمس نشابات اخرى وقال ان جماعتكم تموت على هذا ان لم تخلوا ما في ايديكم ، فلم نزل ندافعه ويقتل منا حتى قتل خمسين رجلاً وبقي معه بعض النشاب في جعبته ، ثم قتل منا جماعة آخرين فاضطرونا الى ان ترجلنا فحاز دوابنا وحده وساقها قليلاً ، ثم رجع وقال : من رمى بسلاحه فهو آمن ، ومن تمسك به فهو أبصر بنفسه ، فرمينا سلاحنا ، فقال : اذهبوا آمنين ، وأخذ جميع السلاح والدواب ، وفاتتنا الغنيمة والخيل والسلاح ، وكان ذلك سبب توبتي عن قطع الطريق انفة لما لحقني منه وأنا على ذلك الحال اليوم .

(صاحب كتاب الفرج بعد الشدة ، هو القاضي المحدث الاديب الشاعر المحاضر ابو علي المحسن بن ابي القاسم علي التنوخي توفي عام ٣٨٤ هـ بغداد) .

المطالعة الثانوية ١ - ث :

معن بن زائدة وأبو جعفر المنصور

قال مروان بن ابي حفصة :

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً وجعل فيه مالا^(١) فحدثني معن انه اضطر لشدة الطلب الى ان قام في الشمس حتى لوحث^(٢) وجهه وخففت عارضيه ولحيته ولبس جبة صوف غليظة وركب جملاً ليمضي به الى البادية فيقيم فيها . وكان قد ابلى^(٣) في حرب يزيد بن هبيرة بلاة حسناً غاظ المنصور وحمله على الجد في طلبه^(٤) .

قال : معن ، فلما خرجت من باب حرب تبعني انسان اسود متقلداً سيفاً حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فاناخه وقبض علي فقلت مالك ؟

قال : انت طالبة أمير المؤمنين . قلت : ومن أنا حتى يطلبني امير المؤمنين قال : معن بن زائدة قلت : يا هذا اتق الله وأين أنا من معن ؟ قال : دع هذا عنك فانا والله اعرف بك منك فقلت له : فان كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي يفني باضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي فخذهُ ولا تسفك دمي قال هاته :

فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء فان صدقتني اطلقتك فقلت . قل ، قال : ان الناس قد وصفوك بالجوود ؟ فاخبرني هل وهبت مالك كله ؟ قلت : لا ، قال : فثلثه قلت : لا حتى بلغ العشر فاستحيت فقلت اظن اني قد فعلت هذا فقال : ما اراك فعلته انا والله راجل ورزقي من ابي جعفر عشرون درهماً وهذا الجوهر

(١) جعل لمن يأتي به جائزة مالية . (٢) غيرته وشعفت وجهه أي جعلته أسمر اللون .

(٣) اظهر بأسه حتى بلاه الناس وخبروه . (٤) الشيء المطلوب .

قيمته آلاف الدنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور^(١) عنك بين الناس ولتعلم أن في الدنيا أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة .

ثم رمى بالعقد في حجري وخلي^(٢) خطام البعير وانصرف فقلت : يا هذا قد - والله - فضحتني ولسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته إليك فاني في غنى عنه . فضحك وقال أردت ان تكذبني في مقامي هذا والله لا أخذه ولا أخذ بمعرف ثمناً ابداً ومضى فوالله لقد طلبته بعد أن امنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً وكان الارض قد ابتلعتة .

وما زال معن مستتراً حتى كان يوم الهاشمية فلما وثب القوم على المنصور ، وكادوا يقتلونه وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل وذب القوم عنه .

ثم تقدم والمنصور راكب بغلة ولجامها بيد الربيع فقال له تنح^(٣) فاني احق باللجام منك في هذا الوقت واعظم فيه غناء فقال له المنصور صدق ادفعه اليه فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت هذه الحال فقال له المنصور من انت لله ابوك؟ قال طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة . قال : قد آمنك الله على نفسك ومالك ومثلك بصطنع^(٤)

ثم اخذه معه وخلع عليه وحباه وزينه ثم دعا به يوماً فقال له : اني وقد املكك لامر فكيف تكون فيه؟ قال كما يحب امير المؤمنين . قال : قد وليتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى ينقض حلف^(٥) ربيعة واليمن وابلع من ذلك ما يحب امير المؤمنين . فولاه اليمن وتوجه اليها فبسط السيف فيهم حتى اسرف^(٦) .

(١) المأثور الذي ينقله الخلف عن السلف ، (٢) ترك واطلق .

(٣) تنح . ابتعد . (٤) يخص بالتربية والتخريج وعمل المعروف . (٥) المخالفة

والمعامدة . (٦) جاوز الحد .

نسخة مجانية

قال مروان « وقدم معن بعد هذا فدخل على المنصور فقال بعد كلام طويل قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لفضب عليك . قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال إعطاؤك مروان بن أبي حفصة الف دينار لقوله فيك :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان
ان عد أيام الفعال^(١) فإنما^(٢) يومه يوم ندى^(٣) ويوم طعان^(٤)
فقال والله يا أمير المؤمنين ما أعطيته ما بلغك لهذا الشعر وإنما أعطيته لقوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته^(٥) وكنت وقاه من وقع كل مهند^(٦) وسان

فاستحيا المنصور وقال « أعطيته ما أعطيته لهذا القول ؟ »

قال نعم يا أمير المؤمنين والله لولا مخافة الشنعة^(٦) لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال وأبجته إياها .

فقال له المنصور « لله درك من اعرابي ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحرم » .

«١» الكرم والفعل الحسن أو يكون في الخير والشر . «٢» الكرم . «٣» التطاعن والتقاتل . «٤» الناحية والمراد الحمى . «٥» للسيف المصنوع من حديد الهند . «٦» الشناعة .

نجد

الشعر والتاريخ والمجد
وعلى ربها رفرف الخلد
في حجرها وصفا لها الورد
فرعته وهي لعقبر مهـد
هطل الحيا وتفجر الصلد
بقصيده الآرام والاسد
صغت الربا وتلفت الوهد
للشعر وهي رقيقة رود
العنبر المصور والرند
قلب المشوق فكاد ينقد
وتوهمته حليها الخود
رق العشي وراق يا نجد
واد فسيح الأفق ممتد
فصبا اليها السهل والنهد
فكأنه من وشيا برد
مصقولة فكأنها عقد
عصماء منها طالها ند
وازدانت الشرفات والعمد

نسخة مجانية

تلك الرياض وهذه نجد
ماضي العروبة في مفاخرها
وأرومة الفصحى وقد درجت
شب البيان العبقري بها
وعلى ثراها من مشارعه
كم اطلعت من شاعر هتفت
عصم اذا نهلان رجعها
يا نجد أين صباك ملهمة
مسكية النفحات ضمخها
والبرق حن لحنض وامضه
كم شامه اللهبان مدكرا
وشميم ذياك العرار وقد
وعلى ومال البيد لاح لنا
مشت الحضارة في جوانبه
وبدت حواشيه مطرزة
يجلو الرياض على ترائبه
شما بواذخ كلما نهضت
طلعت نجوم الكهرباء بها

زمرأ ينوء بحصرها العد
ان كان فيه لسائل رد
غزل الشباب يروح او يغدو
كم شد وهو الفارس الجلد
ليلاً ليوم الحشر يمتد
في انمد وامضه الوعد
من آخر او يأتي الوعد
صناجة يسري الدجى تحمد
يطويه في منفوحة الحد
في الجاهلية غصنه الملد
وبه تدفق نبك العد
ليل الخمول واطبق الرقد
والروض جف وصوح الورد
نور العقول فأبهم القصد
للبعث يطلقها فتى نجد
مثل الاذان امامها الفرد
صوت البشير ورفرف البند
وجنودها للوائه جند
والدين نعم العون والأيد
وبدعوة الاصلاح تشتد
اسس من الاخلاق ينهد
لم ينطفئ من روحه الوقد
لمضيع اخلاقه عود
والحر من شهواته عبد

وترى الموارق في طرائقها
قف سائل الظلل المحيل بها
ان الماهل في ملاعبها
وعلى عنيزة او بذى حسم
يا نابغي الليل كيف ترى
كم شاق قبلك ذو القروح به
ناما بليل ما لأوله
اغفى به الأعشى وكان بها
شدت أنامله على وتر
ايك البيان الحر منذ نما
ما زلت في الاسلام حلبته
حتى أظلك بعد منبهة
فالنبيع شح وغاض دافقه
والجهل اطفأ من خرافته
ثم انتبعت على مجلجلة
فسلي عينة كيف ردها
والدارعية كيف رن بها
درع حتمه حين لاذ بها
والمشرفية للهدى سند
تقوى السيوف الفاتحات به
والملك ما لم يستقل على
قد ينهض الشعب الجريح اذا
ويعود مرفوع اللواء وما
والعبد حر من تخلفه

قد أذن الفجر المضيء فلا
صبح العروبة لاح بعد دجى
فخذي مكانك في انتفاضته
قومي انهضي وابني ولا تهني
حيا صباح علاك مطلعته
وسقى ديارك غير مفسدها
يحجبك عن اضوائه سد
من ليلها وتبين الرشد
نهض الاسير وحطم القيد
كما يعود لأرضك المجد
وله الثناء الجم والحمد
غدق عميم السح يا نجد

حسن جاد

الادخار عند الحيوان

الادخار (١) غريزة شائعة عند كثير من الحيوانات فالثعلب يصطاد الاوز والدجاج وغيرها ويخبيء ما لا يأكله في مكان امين يعود اليه عندما يشعر بالجوع . والكلب الأليف الذي يعيش داخل المنازل ليس في حاجة إلى توفير الطعام ولكن غريزته الموروثة من اجداده تدفعه احياناً إلى أن يحمل قطعة من العظم ويدفنها في ارض الحديقة او في مكان آخر . والسنجاب وهو نوع من الحيوانات القراضة (٢) يجمع طول الخريف ثمار البلوط وانواع النوى (٣) ويدخرها في وكره ليتغذى بها اثناء الشتاء . وفي البلاد الواقعة بين المجر وآسيا يعيش نوع من الفيران له حاسة غريبة يعد بها نفسه إلى وقت الحاجة فهو يذهب الى الحقول ويقطع عيدان القمح بأسنانه القوية وينظف الحبوب من القشور ثم يحملها الى سراديب (٤) محفورة تحت الارض . ويستطيع الفأر الواحد ان يخزن نحو كيلتين من الحبوب ، وفي الشتاء يبحث الفلاحون عن مخازن هذه الفيران ويحملون ما ادخرته فيها إلى بيوتهم للانتفاع به .

ويوجد نوع آخر من الفيران يميل بطبيعته إلى أكل الجذور (٥) التي تتوافر فيها عناصر التغذية فيترقب نضجها ثم يذهب الى الحقول وينبش الأرض حول الجذر ويقتلعه من النبات وينظفه مما يعلق به من الشوائب (٦)

(١) ادخر الشيء خبأه لوقت الحاجة ؛ يدخر الفلاح في فصل الصيف مؤونة الشتاء .

(٢) القراضة . فصيلة من الحيوانات تقرض الاشياء منها الارنب والفأر ، والحيوانات القراضة لها ثنايا حادة قاطعه . (٣) النوى أو النوي ، م . النواة وهي بذرة التمر ونحوه .

(٤) سراديب ، م . سرداب وهو البناء تحت الارض يعيش الخلد في سراديب تنتهي إلى غرفة

متوسطة . (٥) الجذور . أصول النبات : تقرض دودة الخنفساء جذور النباتات وتلتفها .

(٦) الشوائب : العيوب والادناس .

ثم يحمله الى جحره ، وهو يمكنه ان يدخر نحو ٣٠ رطلاً من هذه الجذور .
وتشاهد غريزة الادخار عند النحل والنمل . وهناك نوع من النمل يتبع
في ادخاره طريقة يقف امامها العقل البشري حائراً مبهوتاً ، فهو يحمل
الحبوب الى مسكنه تحت الارض ، واذا تركت هناك في الرطوبة والدفء
مدة من الزمن فانها لا تلبث ان تنبت ولكنه يمنع استنباتها بوسيلة خفية
غير معروفة ويعوق نموها بدون ان تموت او يصيبها تلف^(١) وبعد مضي
بضعة اسابيع يسمح لها بالانبات فتتمو ويظهر لها جذر وساق صغيران ،
وهذا النمو يستلزم تحول جزء من النشاء والزلال في الحبوب الى مادة
حلوة سكرية وبعد ان يستمر النمو مدة من الزمن يقطع النمل السوق
والجذور ليمنع النمو ويحمل البذور خارج مسكنه ويعرضها للشمس
لتجف ثم يعود بها الى مخزنه وقد أصبحت مادة حلوة الطعم يتمتع بها
وقت الشتاء .

ويوجد نوع آخر من النمل يقطع أوراق النبات الى اجزاء صغيرة
مستديرة ، ويحملها الى بيته ويعالجها بطريقة لم يكشف سرها الى الآن ،
ويتركها في مكان رطب فتصبح مزرعة صالحة لنمو الفطريات^(٢) التي
يستعين بها النمل في غذائه .

ولعل في هذه الامثلة الرائعة التي تضربها الحيوانات والحشرات للانسان
ما يكفي لغرس فضيلة الادخار فيه فيوفر في يوم رخائه^(٣) ما ينفعه
في وقت عصيب^(٤) .

محمد فياض

(غرائز الحيوان)

«١» التلف الملاك ؛ هبت لوافح الريح على المزروعات فجفت واصابها التلف .

«٢» الفطريات . النباتات من نوع الفطر الكمأة التي تعيش على سطوح الخل هي من الفطريات

«٣» الرخاء . سعة العيش . «٤» الوقت العصيب وقت الشدة والضيق ؛ الصديق

الحقيقي هو الذي يبقى قرب صديقه في الوقت العصيب .
نسخة مجانية

بين الفصحى والعامية

هناك حملة مدبرة ضد اللغة العربية يقودها بعض الكتاب ويتخذون من صعوبة قواعدها وطرق تعليمها وسائل لمحاربتها ومحاربة المشايخين لها والقائمين على تعليمها ، ويزعمون انها في حاجة الى الاصلاح والتيسير حتى لقد بالغ بعضهم واجترأ الى الدعوة الى نبذها واستبدال العامية بها .
ومن واجبتنا ان ندافع عن الفصحى وآدابها وندفع عنها ما ترمى به ظلماً وان نعمل جاهدين في تبسيط قواعدها وتيسيرها للناشئين وان نحارب العامية وندعو الى نبذها وعدم اصطناعها اداة للتعبير ولا سيما في ميدان العلم والادب والفن وما الى ذلك .

والفصحى هي لغة القرآن الكريم وحديث الرسول وآداب العرب من لدن الجاهلية الى يومنا هذا ، وهي لغة معربة تجري في بناء مفرداتها وتركيب جملها وفق قواعد جهد علماءها في ضبطها والاستشهاد لها ونفي الزائف عنها ووضعوا لمتنها معجمات ضمت آلاف مؤلفة من كلماتها مع ضبطها وبيان معانيها .

ومدرسو هذه اللغة في شتى دور التعليم يقومون باداء رسالة مقدسة وهي تعليم القراءة والكتابة ومحو الامية وتبصير الناشئة بلغة وطنهم ولغة قرآنهم ودينهم ولغة الأدب العربي في شتى عصوره ومن ثم فهم خدمة الوطن والدين والادب . وما من اديب متعلم في هذه البلاد الا ويدين لمدرسي العربية بفضل تعليمه وتوجيهه واخراجه من ظلام الامية الى نور العلم والعرفان .

واللغة العامية هي اللغة التي لعبت بها الألسنة فحرفتها وافسدت اعرابها

وشوهت النطق بمفرداتها وادخلت فيها ما ليس منها وراج استعمالها في التخاطب بين الجماهير في شؤونهم اليومية .
وقد عاون على ذلك التحريف : فعل الزمن وسنة التحول وطبائع الشعوب التي تجري على سنن من التغير وشدة اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الى غير ذلك .

وكل لغة - باعتبارها ظاهرة اجتماعية - لا بد لها من هذا التحول والتغير والتفرغ طبقاً لناموس الكائنات الحية . ولا ريب ان العامية ضرب من هذا التحول اصاب اللغة الفصحى .

ولكن الشعوب العربية بعامة وعلمائها بخاصة عنوا باستبقاء الفصحى لغة للعلوم والآداب وما اليها ، وبذلك كتبت لها الحياة وظلت لغة دولية بين شتى امم العرب في حين تركوا العامية لغة للتخاطب اذ لا مجال الى كفاحها .

وحقاً كافح العلماء والحريصون على الفصحى لدرء خطر العامية لكن فعل الزمن وطبيعة الشعوب كانا أقوى من هذا الكفاح . ولم يكن هذا الحرص منهم الا خوفاً من استغلاق فهم الدين وآداب العرب وهما من أهم مقومات الشعوب العربية والاسلامية .

وبعد فنحن نسأل دعاة العامية عن مواطن الصعوبة في الفصحى أهى في المفردات ام في القواعد والاعراب ؟

ان كل لغة من اللغات الحية تعاني هذه الصعوبات نفسها ، واللغة العربية ذات آلاف مؤلفة من المفردات ومن بينها الألفاظ المشتركة ، هذا الى ان طرق الأداء فيها متعددة . فمن اليسير على الكاتب اذا اراد ان يبسط اللغة للناشئة ان يستخدم أعذب المفردات واوضح التراكيب مما ييسر له ايضاح المعاني في غير جهد ولا مشقة ، اما القواعد والاعراب فمن المستطاع الاقتصار عند التعليم على تلقين الناشئة أهم هذه القواعد والضروري

نسخة مجانية

من الوان الاعراب مما يعد لازماً لسلامة التعبير ، كما ان من المستطاع ان نتجنب المشكلات والقواعد القليلة الاستعمال ونترك هذا للمتخصصين . ونحب ان يفتن دعاة العامية الى ان كراهية الفصحى من الرواسب الاستعمارية التي كانت تهدف الى تقويض دعائم العالم الاسلامي والعربي . كما نحب ان نتساءل بعد هذا عن المصير اذا نبذنا الفصحى وأحللنا مكانها العامية هل سنعمل على دراستها وتدريسها في المدارس وتلقيها لناشئة المتعلمين ؟ ام سنكتفي بأنهم يتلقونها في منازلهم بين اهليهم وفي الشوارع والأزقة ومن المذيع ودور الخيالة وفي المعاملات ونحو ذلك ؟ . فإذا نحن عنيذا بتعليمها فلا بد من دراسة معجمها وقواعدها وطرق ادائها وتبصير الناشئة بكل اولئك في شيء من الدقة والاستيعاب لتصير لهم بذلك في مستقبلهم لغة قراءة وكتابة ولغة علم وأدب وفن وصناعة ولغة ثقافة وحينئذ نقع من جديد في المحذور الذي نبذنا الفصحى من اجله وهو نحوها وصرفها .. الخ وسنضيف عبئاً جديداً الى اعبائنا وهو الاضطلاع بدراسة لغة تعتبر الى الآن مجهولة القواعد والتصريف فضلاً عن انها لغة متقلبة لن تثبت على حال بينا الفصحى واضحة المعالم ثابتة القواعد .

وإذا كنا سندع امر العامية وهي حينذاك اللغة القومية بدون دراسات مدرسية وبدون تلقين الناشئة وبدون توقيف على طرق قراءتها وكتابتها ، حينئذ تكون الطامة الكبرى اذ يخيم الجهل بظله الثقيل على ناشئة الجيل وتصبح غير قادرة على قراءة ما يكتبه ويؤلفه جهابذة العامية ودعاتها من قصص وحكايات ونصبح في النهاية أمة بلا لغة .

وبعد فهل لنا ان نرجو في رفق هؤلاء الدعاة ان يتركوا العربية الفصحى تتعلمها ناشئة البلاد العربية ولو على اعتبار انها لغة أجنبية كالفرنسية والانجليزية ذات آداب قديمة وحديثة يجدر بهم تعلمها ؟ ؟ ؟ انا لنرجو ...

واجبنا تجاه المواهب والكفاءات

علينا كمجتمع بدأ يشعر بكيانه في الحياة ان نعرف واجباتنا نحو نشئنا الجديد ، فاذا تمنينا عليه ان يجاري لداته من شباب الأمم الناهضة فعلينا ان نعرف نوع الالتزامات التي تفرضها تلك الأمم على مجتمعاتها لندعم بها شبابها والوان التشجيع الذي تشحذ به عزائمه .

هناك بيوت تجارية ترصد في موازنتها ارقاماً عالية لتشجيع العاملين في حقول تعينها وشركات قوية تأخذ على عاتقها مساعدة من خاض ميادينها وتكلف صندوقها بما يتطلبه ذلك من نفقات ، وهناك من كبار الاغنياء من يعلن وقف جزء من أمواله على فكرة يدعو الى المسابقة فيها فلا عجب اذا تدافع الشباب في الميادين النافعة وتسابقوا .

فكر عامل في أحد مصانع الاقفال بفرنسا في طريقة تحبس المفتاح في قفله فلا يخرج الا بعد ان يقفله فعرض الامر على وكيل الشركة ومنحه اجازة لمدة اسبوع كامل يبحث فيه الفكرة في داره او في ورشة الشركة ووعدته اذا نجح بمكافأة تقدر بنصف ارباح الصنف لعام كامل . وقد نجح العامل وقرر مجلس ادارة الشركة منحه المكافأة التي وعده بها وكيل الشركة ، فلما تسلمها استطاع ان يؤسس بها محلاً صغيراً للاقفال وهو اليوم يربح من بضاعته اضعاف مرتبه الذي كان يتقاضاه من الشركة .

وتقدم شاب الى بعض المؤسسات الزراعية باقتراح يطلب فيه انتدابه الى أمريكا الجنوبية لدراسة بعض أعمال التلقيح فاصدرت المؤسسة موافقتها على انتدابه وظلت تنفق عليه عن سعة نحو سنتين ، وتكفلت بمن يعوله من أهله ، ولما عاد مما انتدب له كان قد اعد مذكرات مطولة عن مشاهداته

نسخة مجانية

في الجهة النائية التي سافر اليها ، واشترت الشركة منه مذكراته بثمن غال اغراه على استئناف رحلته وبيع ما يسجلها عنها للمؤسسات الزراعية التي تهتم بأبحاثه باثمان مرتفعة جعلته في عداد الاغنياء بعد ان كان لا يملك ثمن تذكرة الطائرة التي نقلته في رحلته الاولى .

وتكفلت كثير من المؤسسات الغنية بكثير من الرواد الذين غامروا في اعماق افريقيا وعلى شواطئها البعيدة وفي صقيع سيبيريا ورمال بلاد العرب الملتهبة ومجاهل استراليا ، فقضوا السنوات يجادلون الأهوال ويعانون من قسوة الحياة وقلة الماء ومهاجمة الوحوش ما يعانون في سبيل اكتشافاتهم ودراساتهم ما عنوا بدراسته من طبائع الارض والحيوان والجبال ومواطن المعادن والزيوت والثروة المائية التي تخفيها الاعماق .

ساعد المتمولون على كل هذه المعاناة ببذلهم السخي وأموالهم التي كانوا ينثرونها من غير حساب تشجيعاً للأيدي العاملة والشباب المغامر واصحاب الافكار الجريئة .

وما كان السخاء للسخاء وحده بقدر ما كان وسيلة الى العمل المنتج الذي يعوض اضعاف الاموال المبذولة ويعود على المشجعين بالارباح الجزيلة الوافرة

واذا اردنا ان ننصف المشجعين فعلينا الا ننسى ان اعمالهم في التشجيع لا تقتصر على ما يدر عليهم من الارباح فقط ، بل ان كثيراً منها كان يخدم العلم للعلم نفسه فهناك حفريات أثرية وجهود ادبية بحتة واعمال انسانية صرفة تجدد من يشجع على خدمتها بلا مقابل يعوض خسارتها . ومن هذا القبيل جائزة نوبل التي أوصى بها نوبل قبل وفاته لتقدم الى اقدر رجل انتج في علمه مبرزاً انتاجاً له شروطه الخاصة وهو لون من التشجيع له نظائر كثيرة في العالم ولا غرض له الا خدمة الانسانية .

فاذا ألفت المجتمعات هذا البذل السخي الذي يساعد على نماء الافكار

وصقل المواهب ويغري بشحن المزائم والمغامرة الى ابعد آفاق المجهول فانها ستظفر بملكات لا تدري كيف نضج استواؤها وكيف تهبأت للعمل المجدي النافع .

حدثني رجل من السودان قال كنت اعمل سنين طويلة كرئيس للخدم في بيت احد الانجليز في اسمره ، وكنت الاحظ انه ينفق عن سعة ولا يعرف قيمة المال الذي ينفقه فكان يتبادر الى ذهني انه من ورثة احد اللوردات الاغنياء وان ميراثه الضخم يصدق عليه هذا النعيم حتى علمت من طريق الصدفة انه نشأ اول ما نشأ فقيراً لا يملك ما يقيم اوده وقد اغرم بالتنقلات في الصحارى فشد رحاله الى الشرق وساح في بعض اطرافه ثم كتب الى بعض الجرائد في بلاده يصف مشاهداته فرحبت بما كتب وأرسلت اليه بعض المال الذي يساعده في مشاهداته .

ثم تسامعت به بعض المؤسسات العلمية فكلفته بالسفر الى الصحراء الغربية الكبرى ليدرس في آفاقها ما عن له دراسته فلم يتقاعس لحظة ، وشد رحاله الى حيث كلف وخاطر باجتيازها منفرداً لا يصحبه الا سلاحه الخفيف وصندوق جمع اليه ما استطاع من الزاد وراحلة اشترها واستأجر بائعها ليساعده على الرحلة المحفوفة بالأخطار .

وما ان انتهت تقاريره الاولى الى المؤسسة التي انتدبته حتى وافاه تفويض الى احد البنوك يخوله سحب المبالغ التي تلزم لنفقاته دون تحديد . فنشطت عزيمته وواصل خطواته وانفق عن سعة على حركاته ومع هذا فقد أبى أن يكلف التفويض المفتوح له الا ما اقتضته ضرورة العمل مما جعل المؤسسة ترضى عن تصرفاته وتبذل له المكافآت سخية .

وتسامعت مؤسسات غيرها بخبرته في امريكا وبعض بلاد اوروبا فانهاالت عليه التكاليف في شروط سخية وبذل فائض شجعه على مواصلة الحركة ، فهو اليوم لا يقيم في اسمره الا ليعد نفسه لرحلة جديدة في

نسخة مجانية

بلاد العرب او في افريقيا او يعبر المحيط الهندي الى اقاصي الشرق ،
ليجوس خلال الافاق المترامية في رحلة تطول أكثر من عام ولا تقل
بجال عن ثلاثة أشهر .

واقسم اني ما رأيت في حياتي جلدأ يكابد الاهوال التي يكابدها هذا
الابيض ، فهو يشارك البدو طعامهم الجاف ويصبر على مثل ما يثابرون عليه
من مواصلة المشي في مفاوز معطشة ، ثم هو لا يبالي بالقيظ مهما قسا
لهيبه ولا بالبرد مهما اشتد اواره ، وتراه عندما تضج احدى المفاوز
بأصوات الحيوان المفترس يخف في نشاط الى مسدسه ثم يتعقب الاصوات
حتى يسقط على مصادرها ولا يعود الى خيمته الا بعد ان يصبح برفاقه
من البدو المختبئين ان يساعده على نقل ما صاده من الحيوان .

قلت انها شجاعة هيأت التقدير السخي الذي يبذله مواطنوه .

فقال ولهذا فقد أثرى ثراء فاحشاً منقطع النظير وهو اليوم يملك في
بلاده مصانع للفضة تدر عليه ارباحاً طائلة ولكنه يأبى ان يستغني لهذا
الغني . ولا تزال الى اليوم تراه بعد ان اكتهل يواصله اسفاره في عزم
الشباب إلى آفاق متفرقة من الشرق لا ندري حقيقة أغراضه منها .
قلت انهم رجال فهموا من حقائق الحياة ما لم نعرف من ايجدياتها
الى اليوم .

والواقع اننا في حاجة الى من يفتح عيوننا على هذه الاسرار ، ويدفع
شبابنا الى العمل الدائم ويعلم اغنياءنا وأصحاب الاعمال الكبيرة فينا
كيف يستغلون نشاط الاقوياء منا ويغرونهم بالتشجيع الذي يحملهم على
مزاولة الصعاب ويدفعهم الى اقتحامها .

دعونا ننظم في خطواتنا الاولى فرقاً للكشافة من فتياننا ترود جبالنا
ومسالك ودياننا وتعرض فيها للحر والقر ومجادة الصعاب لتألف الحياة
الحشنة وتنشأ على حب المخاطرة .

ان في هذا ما يعدم في المستقبل للمغامرة في جميع ميادين الحياة ويؤهلهم للعمل الدائب في مختلف شؤونها . واذا استطعنا ان نغري بعضهم بالتنقل بين امصار العالم المتمدن ليتصلوا هناك بالوان الحياة المختلفة ويختلطوا بالعاملين في شتى حقولهم واستطعنا ان نزودهم بما يشجعهم على طول الاغتراب ، فإننا سنربح غير الجامعيين من رجال العلم شباباً له لونه الخاص وملكاته الخاصة في حقول عملية جديدة فاحزموا امركم ايها الاغنياء . ودعونا نمشي .

من كتاب « دعونا نمشي »

لأحمد السباعي

الحياة في قاع البحار

ربط البحر الممالك بعضها ببعض وقرب بينها وتوثقت العلاقات عبر الاسلاك البرقية تحت سطح الماء . وحدث يوماً أن قطع أحد هذه الاسلاك وهوى الى قاع ^(١) البحر وكان لهذا الحادث وقعه ^(٢) الاليم لما ترتب على هذا من خسارة فادحة مادية ومعنوية ، ولكن العلم أفاد من هذا كثيراً . فعندما رفع هذا السلك الذي وصل أحد طرفيه الى عمق ثلاثة آلاف وستمائة متر بعد ثلاث سنوات من الحادث وجد عليه سبعة عشر نوعاً من حيوانات القاع عالقة به . ولا بد ان هذا العدد الصغير كان يعيش على حيوانات اخرى . وهكذا فاز العلم بحقائق ثابتة وعرف الناس ان الاغوار ^(٣) السحيقة تزخر ^(٤) بالاحياء ولم تعد مقر الفناء كما كانوا يزعمون فشجع ذلك الحكومات والافراد على ارسال البعث العلمية للبحث . وقد تسامل عامة الناس عن الفائدة التي يمكن ان يجنيها المرء من كل هذه الابحاث ، فهؤلاء العامة يهمهم اولاً ان يعثروا على ما يملأ جيوبهم ويشبع بطونهم وقلما يهتمون بغير ذلك ، ولكنهم عرفوا ما اسدته هذه الابحاث للانسانية من خير كثير لما راحوا يتساءلون في جهل عن كل هذا . ويكفي ان نشير هنا الى كشف تاريخ (الانكليس) او شعبان السمك ، فقد كان هذا الحيوان الى وقت قصير لغزاً ^(٥) من الالغاز ولم يكن يعرف عنه انه يقطع آلاف الاميال في البحار ليتوالد حتى كشف

«١» القاع . قعر البحر ؛ جمعها قيعان . «٢» وقعه . أثره . «٣» الاغوار ، م . الغور . وهو القعر من كل شيء . يقال فلان بعيد الغور أي عميق الفكر متعمق النظر . «٤» زخر البحر . دلمى وعلا ؛ وزخرت القدر جاشت . «٥» اللغز . السر الغامض الذي يصعب حله .

الغطاء عن هذا السر .

وقد كان أهم هذه الابحاث دراسة البيئات المختلفة في البحار وموازنتها بدورة الحياة على الارض . والواقع ان اوجه الشبه في هاتين الدورتين واحدة فدورة الحياة في البحار وغيرها هي نفسها دورة الحياة على اليابسة . فالكائنات الحية تتنفس الاوكسجين من الماء وتخرج ثاني اكسيد الكربون الذي تأخذه النباتات بدورها . وتحت تأثير ضوء الشمس المنتشر في الماء الى ابعاد لا تتعدى بضع مئات من الامتار و كلوروفيل النبات وعوامل اخرى يستحيل هذا الغاز الى مواد كربوهيدراتية ، وينطلق الاكسجين ودورة الازوت في الماء كدورتها على الارض فالنباتات بعد موتها والفضلات والجثث تحلل كلها بواسطة البكتريا^(١) وتتحول الى املاح ازوتية يأخذها النبات . ومن ثم يتغذى الحيوان بها .

والبحر يعج^(٢) بأدق الكائنات التي لا ترى الا بالمجهر^(٣) كما يعج بذوات الاجسام الضخمة التي قد يبلغ طولها ثلاثين متراً ، وفيه نباتات وحيوانات طافية^(٤) رابضة في القاع وهذه تكون الغذاء للأسماك والحيوانات الاخرى .

الدكتور حسين فرج زين الدين - الدكتور موسى باسيلينوس

(مع الاسماك)

«١» البكتريا . جراثيم تحلل المواد العضوية . «٢» عج بالشيء . امتلأ به وزخر .

«٣» المجهر نظارة تكبر الاشياء الصغيرة . وتعرف بالمكروسكوب .

«٤» طافية : عائمة من سطح الماء .

الرفق بالخدم

ان الخدم هم المساعدون على الاعمال والمذلون لطرقها والمعاونون على انجازها ولولاهم لأرتج دون الناس باب من الرحمة كبير وانسد عنهم طريق من النعمة فسيح واضطروا الى مواصلة القيام والقعود ومداومة الاقبال والادبار والى القيام بأعمال كثيرة تشغلهم عن واجباتهم الهامة الاساسية . ومثل الخدم من الانسان مثل الجوارح من الجسد فهم اليد التي تنفع والساعد الذي يعين ونفعهم جزيل عظيم ، فينبغي للمرء ان يمجّد الله عز وجل على ما سخر له منهم وان يحوّطهم ويتفقدّم ويرفق بهم ولا يهملهم فانهم بشر يسهم من النصب واللغوب ومن السامة والفتور ما يس سائر البشر .

والخدم لا ينصحون بخدومهم ولا يخلصون لهم الا اذا تحققوا من انهم شركاء لهم في النعمة وانهم في مأمن من العزل والصراف .
ومن اجل هذا وجب ان تكون معاملتهم مبنية على أساس من العطف والرحمة بأن يكون العمل الذي يكلف به الخدم محدوداً وفي طاقتهم القيام به مع ارشادهم الى طريقة العمل المرضية وشكرهم عند الاحسان ونقدّم الاجر كاملاً في زمنه المحدود ، واعطائهم من حين الى آخر ما يتيسر زائداً على اجورهم تشجيعاً لهم على الاخلاص في العمل .

وتجب مؤاساتهم في الشدة وعيادتهم عند المرض ودعاء الطبيب لهم اذا ساءت حالهم ، وعلى الخدم ان يرشد خدمه الى مواقع الصواب وما ينبغي ان يتصفوا به وان يربيههم باللطف والحزم ولا يهينهم ببذاء الكلام وجاني اللفظ مما يحرج قلوبهم ويذل نفوسهم ، اذ ليس للسيد ان يتسلط على خادمه

بذلك لا شرعاً ولا عرفاً وعليه كذلك ان يسمح للخادم بساعة من النهار يتروح فيها ويتمتع بشؤونه وأن يجري عليه رزقاً يكفه عن التشوق لما قد يسرقه ويختلسه ، فان ما ينقصه السيد من مرتبه ربما اختلس من ماله وأن يزيد في أجره كلما رآه يزيد في صدق الخدمة وحسن المعاملة .

ومظاهر الرحمة بالضعفاء تختلف باختلاف هؤلاء الضعفاء وتتنوع اسباب ضعفهم وحاجتهم ، فمنهم الخدم وقد شرحنا ما يجب لهم قبل مخدومهم ، ومنهم الأجراء في البيوت والعملة المستأجرون لأغراض أخر وهؤلاء خصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِيفَ عَرَقُهُ » .

ومن الضعفاء : الاطفال الصغار سواء أكانوا أبناء المرء ام اجانب عنه وتجب عليه الرحمة بهم . ومن اجمل ما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ » .

ومن الضعفاء اليتيم والمسكين والبائس والفقير ويجب العطف عليهم والاشفاق بحالهم والرحمة بهم قال تعالى : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ .

وصفة القول انه يجب على الانسان ان يقوم للعجزة والضعفاء والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان بأوفر نصيب من المساعدة والرحمة والرافة والا يكون فظاً غليظ القلب قاسياً عليهم بل يكون رؤوفاً عطوفاً لين الجانب متواضعاً محباً الخير لهم قال صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا رَحِيمٌ » وقال : « خَابَ عَبْدٌ وَخَسِرَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً النَّبْشَرِ » وقال : اللَّهُمَّ أُمَّتِنِي مَسْكِينًا وَأَحْسِنِي مَسْكِينًا وَأَحْسِرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ ، تطيباً لقلوبهم وصيانة لهم من صولة الظالمين .

نسخة مجانية

وقد نبه الشارع الى الرحمة بالخدم فقال صلى الله عليه وسلم : « مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ فِي عَمَلِهِ فَهُوَ أَجْرٌ لَكَ فِي مَوَازِينِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال : « اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَطِيعُواهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَآكُسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلَا تَكَلَّفُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيقُونَ فَمَا أَحْبَبْتُمْ فَأَمْسِكُوا وَمَا كَرِهْتُمْ فَبَيِّعُوا وَلَا تَعْدُوا خَلْقَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ مَلَكَكُمْ إِيَّاهُمْ وَلَوْ شَاءَ لَمَلَكَهُمْ إِيَّاكُمْ » .

واغتاضت عائشة رضي الله عنها من خادم لها ثم رجعت الى نفسها فقالت : « لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء » تريد ان التقوى ومخافة الله وطاعته تحول بين المغتاض وشفاء غيظه ممن غاظه .

وقيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : « من قيس بن عاصم » قيل : فما بلغ من حلمه ؟ قال : بينما هو جالس في داره اذا اتته خادم له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات ، فدهشت الجارية وكادت تموت فرقا وخوفاً فقال : « ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق » فقال لها : انت حرة لا بأس عليك .

وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريتيه العشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت واراقتها على رأس سيدها ميمون فقال : يا جارية احرقيني قالت : يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى . قال : « وما قال الله تعالى ؟ » قالت قال : « وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ » قال : قد كظمت غيظي قالت : وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ قال : قد عفوت عنك قالت : زد فان الله تعالى يقول : وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ قال : انت حرة لوجه الله .

وعن المعرور بن سويعد قال : رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه

وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسأله عن ذلك فقال : اني ساببت غلاماً
فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
أَعْيَرْتَهُ بِأُمَّهِ ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ وُفِيكَ جَاهِلِيَّةٌ . ثم قال : إِنَّ
إِخْوَانَكُمْ خَوَالِكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ
أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمَهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ
وَلَا تُكَاثِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ
فَأَعْيِنُوهُمْ .

وهذه وصية قيمة رفعت من شأن الخدم الى درجة المخدمين والسادة .
فالخدم ومن في حكمهم اخوان في الدين والانسانية فيجب الرفق بهم
والاخذ بايديهم ومعاملتهم بالعدل والحسنى .

الذئب

العراك بين الانسان والذئب قديم جداً ، ولكن النصر لم يكتب فيه للانسان وقد انقرضت الحيوانات المفترسة من معظم البيئات المتمدية ما عدا الذئب ، فقد تحدى الوسائل التي حاربه بها الانسان ونجا من شرها ، وهو ما زال موجوداً الآن حيث كان منذ آلاف السنين . ويرجع الفضل في ذلك الى قسط من الذكاء وشجاعة فائقة وقدرة على ملاءمة معيشته وفقاً للبيئة التي يعيش فيها وهو يحتمل البرد القارس والحر القاطظ ، ولذا نراه في الأصقاع الباردة كما نراه في الأقاليم الحارة .

والذئب في حالته العادية يخشى الانسان ويفر منه ، ولكنه اذا كان جائعاً وحال الانسان بينه وبين فريسته هجم عليه وفتك به ، واذا لم يجد الذئب قنيصة سوى الانسان لم يتورع عن اقتراسه . وقد يسهل ان يتسلل الى القرى والبيوت ويختطف منها الاطفال .

وفي الصيف حيث يتوافر الغذاء يعيش الذئب منفرداً او مع أليفته وصغاره متنقلاً بين الغابات والمزارع متخذاً بيته في الكهوف او فجوات الصخور او تحت جذور الاشجار القديمة ، وفي هذا الفصل يحاول الانسان اصطیاده ولكنه قادر على اخفاء أثره بحيث يتعذر تتبعه والوصول الى مكانه ، واذا حفرت له مصيدة نظر إلى مكانها باحتقار وابتعد عنها ، واذا وضع في طريقه طعام مسموم تجنبه ولم يمسه .

وفي الشتاء حيث يندر الغذاء وتأوي بعض انواع الحيوان إلى بيته الشتوي ويقضي شهور البرد في سبات عميق لا يجد الذئب شيئاً يفتن به ، فيضطر للحصول على غذائه بأي وسيلة ممكنة ، وهو يدرك ان في

الاتحاد قوة ، فيصرخ صرخة مدوية يجمع بها حوله فريقاً من بني جنسه ، ويخرج في قطيع جائع شره والويل اذ ذاك للبيوت التي لم تتحصن منه ، وللانسان الذي يدفعه القدر في طريقه ، وللماشية والدراجن التي لم تهباً لها الحراسة الكافية .

ولقطيع الذئب تقاليد موروثه من اجلها يضحي الفرد بنفسه في مصلحة المجموع ، فالذئب عندما يكون وحيداً يغلب عليه الحرص ، ويتحاشى مهاجمة حيوان اكبر منه ، ولكنه وسط القطيع يخرج عن حرصه ، ويعرض نفسه للمهلك ، ولا يحجم عن افتراس حيوان أقوى منه وأكبر منه جسماً ، وقد تصيبه من جراء ذلك ضربة مميتة من قرن الحيوان او حافره ، ولكن هذا لا يؤثر في القطيع اذ يتصدى للعراك بعده فرد آخر ، وهكذا حتى تغلب الفريسة على أمرها ، وتصبح طعاماً سائغاً لسائر القطيع ، وليس للذئب مخالب أو انياب بارزة يفتك بها ، وهو لا يفترس إلا بأسنانه القوية يفرسها في جسم فريسته بجرأة وخفة ، وقد تقذف به بعيداً عنها مرة بعد اخرى ، ولكنه يعود كالقضاء المحتوم حتى يتغلب عليها .

وكثيراً ما تشاهد هذه القطعان في شمالي روسيا عندما يقبل الشتاء وتكسى الارض بالجليد ، ويكون لكل قطيع قائد وكشافة يسترشدون بحاسة الشم الى مواقع الفريسة ، ويوجهون القطيع نحوها وقد يلجأون الى مناورة حربية طريفة فيضعون انفسهم في مواقع ملائم بحيث تحمل الريح رائحتهم الى الفريسة ، فتتزعج وتفر بسرعة مبتعدة عن المكان الذي هبت منه الرائحة ، ولكنها لا تدري ان افراداً من القطيع قد كمنوا من قبل في طريقها ، واختبأوا فيه انتظاراً لمرورها والفتك بها .

ولقطيع الذئب قدرة لا مثيل لها على العدو البعيد المدى ، حقا ان الكلاب المدربة تستطيع اللحاق بالذئب في الاشواط القصيرة ، اما في

نسخة مجانية

السافات الطويلة فليس الذئب نظير في المثابرة على الجري وتحمل متاعبه ،
واقرب شبيه في هذه الصفة كلاب الاسكيمو التي تجر الزحافات على
الجليد ، وربما كان السبب في ذلك مشابهتها للذئب . ولا يستطيع اقوى
الخيول ان يفر من قطيع الذئاب لانها اذا ارادت تتبعه فهي لاحقة به لا
محالة ، وقد يجري القطيع في اثر قافلة تجرها جياد قوية فيدب الذعر في
رجالها ، ويفكون احد الخيول ويتركونه في طريق الذئاب لتفتسه وتتلهى
به ، وتتعطل عن الجري مدة من الزمن حتى تفلت القافلة وتنجو من
مطاردة القطيع لها ، ولكن هذا لا يجدي نفعاً لأنها تلتهم الضحية في
مدة قصيرة وتعود سيرتها الاولى في المطاردة فيضحون بجواد ثان وثالث ،
وهكذا حتى تصل القافلة الى مكان امين ، والا ادركها الموت بخيلها
ورجلها .

الاستاذ محمد محمد فياض

من كتابه « غرائب الحيوان »

المعنى السياسي في العيد

ما أشد حاجتنا نحن المسلمين الى ان نفهم اعيادنا فهماً جديداً ونتلقاها به ونأخذها من ناحيته فتجيء اياماً سعيدة عاملة تنبه فينا اوصافها القوية وتجدد نفوسنا بمعانيها ، لا كما تجيء الآن كالحة عاطلة ممسوحة من المعنى ، اكبر عملها تجديد الثياب وتحديد الفراغ وزيادة ابتسامه على النفاق .
فالعيد انما هو المعنى الذي يكون في اليوم لا اليوم نفسه وكما يفهم الناس هذا المعنى يتلقون هذا اليوم .

وكان العيد في الاسلام هو عيد الفكرة العابدة فأصبح عيد الفكر العابثة . وكانت عبادة الفكر جمعها الامة في ارادة واحدة على حقيقة عملية فأصبح عبث الفكر جمعها الامة على تقليد بغير حقيقة له مظهر المنفعة وليس له معناها .

كان العيد اثبات الامة وجودها الروحاني في اجمل معانيه فأصبح اثبات الامة وجودها الحيواني في اكثر معانيه ، وكان يوم استرواح القوة من جدها فعاد يوم استراحة الضعف من ذله وكان يوم المبدأ فرجع يوم المادة .

ليس العيد الا شعار هذه الامة بأن فيها قوة تغيير الايام لا اشعارها بأن الايام تتغير وليس العيد للامة الا يوماً تعرض فيه جمال نظامها الاجتماعي فيكون يوم الشعور الواحد في نفوس الجميع والكلمة الواحدة في السنة الجميع ، يوم الشعور بالقدرة على تغيير الايام لا القدرة على تغيير الثياب كأنما العيد استراحة الاسلحة يوماً في شعبها الحربي .

وليس العيد الا تعليم الامة كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يرجع

نسخة مجانية

البلد العظيم وكأنه لأهله دار واحدة يتحقق فيها الاخاء بمعناه العملي .
وتظهر فضيلة الاخلاص مستعلنة للجميع ، ويهدي الناس بعضهم الى بعض
هدايا القلوب المخلصة المحبة وكأنما العيد هو اطلاق روح الاسرة الواحدة
في الامة كلها .

وليس العيد الا اظهار الذاتية الجميلة للشعب مهزوزة من نشاط الحياة
ولا ذاتية للأمم الضعيفة ولا نشاط للأمم المستعبدة ، فالعيد صوت القوة
يهتف بالامة : (اخرجي يوم افراحك يوماً كأيام النصر) .

وليس العيد الا ابراز الكتلة الاجتماعية للامة متميزة بطابعها الشعبي
مفصولة من الاجانب لابسة من عمل ايديها معلنة بعيدها استقلالين في
وجودها وصناعتها ، ظاهرة بقوتين في ايمانها وطبيعتها مبتهجة بفرحين في
دورها واسواقها فكان العيد يوم يفرح فيه الشعب كله بخصائصه .

وليس العيد الا التقاء الكبار والصغار في معنى الفرح بالحياة الناجحة
المتقدمة في طريقها وترك الصغار يلقون درسهم الطبيعي في حماسة الفرح
والبهجة . ويعلمون كبارهم كيف توضع المعاني في بعض الالفاظ التي
فرغت عندهم من معانيها ويبصرونهم كيف ينبغي ان تعمل الصفات
الانسانية في الجموع عمل الحليف لحليفه لا عمل المنابذ لمنابذه . فالعيد
يوم تسلط العنصر الحي على نفسية الشعب .

وليس العيد الا تعليم الامة كيف توجه بقوتها حركة الزمن الى معنى
واحد كلما شاءت فقد وضع لها الدين هذه القواعد لتخرج عليها الأمثلة
فتجعل للوطن عيداً مالياً اقتصادياً تبتسم فيه الدراهم بعضها الى بعض ،
وتخترع للصناعة عيدها وتوجد للعلم عيد ، وتبتدع للفن مجالي زينته . وبالجملة
تنشئ لنفسها اياماً تعمل عمل القواد العسكريين في قيادة الشعب يقوده
كل يوم منها الى معنى من معاني النصر .

هذه المعاني السياسية القوية هي التي من اجلها فرض العيد ميراثاً

دهرياً في الاسلام ليستخرج اهل كل زمن معاني زمنهم فيضيفوا الى
المثال امثلة مما يبدعه نشاط الامة ويحققه خيالها وتقتضيه مصالحها .
وما احسب الجمعة قد فرضت على المسلمين عيداً اسبوعياً يشترط فيه
الخطيب والمنبر والمسجد والجامع الا تهيئة لذلك المعنى واعداداً له . ففي
كل سبعة ايام مسلمة يوم يجيء فيشعر الناس معنى القائد الحربي
للشعب كله .

الا ليت المنابر الاسلامية لا يخطب عليها الا رجال فيهم ارواح المدافع
لا رجال في ايديهم سيوف من خشب .

مصطفى صادق الرافعي

اول لقاء

كان أول لقائي اياها في رحاب الصحراء .
لم أكن قد تعرفت بها بعد وان كنت قد شاهدتها من قبل وعلمت
من اخبارها كل رائع طريف .

من ذا الذي لم يقع بصره عليها ؟
من ذا الذي لا يعجب بها ولا يشعر نحوها بفيض من الروعة والسحر؟
انها ملء الأعين ، ملء المسامع .
كلنا لها عاشق خاطب ود ولكننا على الرغم من ذلك نحاذر ونتحرز ،
لما نحس لها من تهيّب ورهبة .

ليست هي بالمطبعة الدالول فمصاحبته محفوفه بالمخاطر ، ولكنها مخاطر
شائقة تثير في النفس الجسارة والاقدام وتلهب بين الجوانح نزعة الغلبة
والظفر .

وان صداقتها لتكشف للمرء عوالم جديدة تزخر بألوان من الروائع .
وكان مني ان جرؤت فرغبت الى بعض ذويها في ان يهيه لي موعداً
احظي فيه منها بأول لقاء .

وكرت الايام لا تذليني طلبتي حتى سلوت عنها ، او تصنعت اني
سلوت ...

واسفر صبح يوم يحمل إلي بشرى اللقاء المذشود فانتظمني شعور هو
مزاج من خشية واغتباط .

وتأهبت لهذا اللقاء ما وسعني التأهب .

وكان الموعد رائعاً في مكانه وزمانه .
ساحة الصحراء الرحبة قبيل مطلع الفجر ...
يا له من لقاء عاطفي خلاب !
امضيت نهاري جيش الخاطر تلعب بي الهواجس كل ملعب .
فسخرت من نفسي :
فيم هذا كله ؟



طائرة نفثة

حقاً ان صداقتي بها لمغامرة اية مغامرة ، ولكن يجب على ان اقبل
على هذه المغامرة في جسارة وتشجع !
بلغت المكان في الموعد المضروب فالفيتها في الانتظار ، وما ان اخذها
بصري حتى عرّنتي رعشة تزايل امامها عتادي من قوة العزيمة ورباط
الجأش .
ومثلت على مقربة منها اواجهها وبني من الحيرة والرهبنة ما لم استطع
له دفعا .
لقد كانت قبالي تتألق في الفضاء الطلق كأنها الكوكب الوهاج في
ظلمة الليل
كانت في رداؤها الفضي تتوهج كأنما هي آلهة من آلهة الاساطير .

نسخة مجانية

وقفت اتوسمها خاشعاً تتنازعني مشاعر الشغف والاستحياء .
لا انا بقانع منها بتلك النظرة المجردة ولا انا بقادر على ان اخطو
اليها ابثها الشوق والحنين .

وقفت أتأملها ملياً احاول ان استشف من مرآها ما تنطوي عليه نفسها
من اسرار وما تكنه من اقدار .

كلما امعنت النظر فيها احسست قوة تجتذبني اليها ، قوة مغناطيسية تشع
من كيائها محيطه بي لا استطيع منها الفكاك .

ها هي ذي المغامرة قد بدأت واستبانتي بوادرها .

خيل إلي ان ابتسامه وضاحه تتخايل على ثغرها .

أهي ابتسامه انتصار ام هي ابتسامه اشفاق ام هي ابتسامه ازدراء ؟
وقع في روعي اني اسمع هممة منها .

أشرعت تتكلم ؟ ..

ارهفت السمع مهتاج الفؤاد وتجلى لي ان ثمة صوتاً ما اقربه شياً

بوسوسة الزهر يتضح اللطل .

كأنما سمعتها تقول :

حتى متى وقوفك ؟

واختلجت شفتاي اقول :

لست ادري !

- ألم ترغب في صداقتي ؟

- اني في هذه اللحظة أشد رغبة !

- اذن تقدم وكن جسوراً . ما فتىء الناس يذيعون عني ما ينفث

الرعب في القلوب وما زالوا يزعمون اني ارمي بهم في مهالك .

- ما احلاها من مهالك !

- اني مصطحبتك الى مجهول قصي ، قد لا تطيب به نفساً .

- حسي انك رائدتي اليه .. شد ما انا شيق الى اكتناه هذا المجهول
في صحبتك !
- اسرع اذن الي قبل ان يبدد الفجر متعة هذا اللقاء وتذيع أشعة
الشمس سر تلك المناجاة !
وبسطت ذراعيها الوضائتين لي فالفيتني مقبلاً عليها مرتبياً في حضنها
كما يقبل الفرخ على حضن امه يلتمس الدفء والحنان !
فطوقتني بذراعيها الفضيتين في ترفق وحنو ، وما هي الا ان أحسست
بها تعلق بي عن أديم الارض ، واذا بها تمضي بي سعداً تشق اجواز
الفضاء وهي تطلق في السماء دوي الظفر والانتصار .
ذلك كان اول لقاء بيني وبين صديقتي ... (الطائفة) في رحلتي
الاولى الى العالم الجديد .

محمود تيمور

الحضارة والشرق

الحضارة الاوروبية هي احياناً كرداء المساخر يجمع من الالوان كل متنافر .

ففي الوقت الذي تمنح فيه النساء حق الانتخاب تحرمهن حق التصرف في أموالهن وتجعلهن في حكم القاصر وتجعل الأزواج عليهن في أموالهن الأوصياء فكان المرأة في نظر الغرب تصلح لتدبير شؤون الدولة ولا تصلح لتدبير شؤون مالها ، وعلى هذا الاساس المتناقض منحت بعض الدول نساءها الحقوق السياسية مفتخرة مزهوة ، فدخلت نساؤها مجالس النواب وفي اقدمها اغلال الحرمان من حقوقهن المالية والشخصية .

ثم رفعت هذه الدول الصوت مجلجلاً في هيئة الأمم المتحدة وطالبت بمنح هذا الحق السياسي لكل النساء في بقية الشعوب .

يا للمهزلة ! لكان صوت المدفع هو الذي يتيح اليوم للغرب المسلح ان يطلق صوتاً سخيفاً في شؤون المجتمع يسميه صوت الحكمة والتقدم ؟ ولست أدري كيف استطاعت اوروبا « المتقدمة » ان تلبث القرون متخلفة عن الحضارة الاسلامية ؟

لو كان لدينا ممثل قوي الشخصية دمع الحججة في هذه الهيئات الدولية لصاح بهؤلاء القوم « الا ايها النوام ويحكم هبوا » الا تعرفون ان نساءنا المسلمات يملكن من حق التصرف في أموالهن ما تطمعون اليوم في الوصول اليه ؟ لكن مركب النقص في الشرق يخيل اليه دائماً ان الغرب لا يتأخر ولا يمكن ان يتأخر وما الغرب في حقيقة الامر الا متأخر جداً في كل

شؤون الروح والحكمة العليا .

وان من آيات تاخره ذلك الذي يسميه « الحق السياسي » ولقد نكب به شعوباً ويريد ان ينكب به البيوت والاسر . هذا الغرب الهازل المتناقض يمنح هذا الحق للفرد ولا يمنحه للامة ، ما من امة لها حق سياسي في تقرير مصيرها الا اذا كان في يدها مدفع ، وما من فرد انتفع بحقه السياسي في تقرير مصيره ولكنه قرر به مصائر من اشتروا او اختلسوا منه هذا الحق . ما كلمة (الحق السياسي) الا لعبة حمقاء من لعب الغرب شغلت بها الازهان دون ان يثبت لها نفع ، واذا رجع الغرب الى حكمة الشرق ورأى كيف فهم الاسلام الديمقراطية جنى من ذلك دروساً قد تصلح من فساده وتقبل من عثاره ...

نشرت ذلك منذ سنوات في كتابي (عصفور من الشرق) وقد ترجم الى لغات اجنبية ولكني ما جنيت من ذلك الا تهمة ألصقتها بي كاتب نشر بالانجليزية في لندن كتاباً عن مصر قال فيه عني « اني رجل رجعي » واستشهد بفقرات من كتابي المذكور . ادركت عندئذ ان الغرب غير راغب في ان يستلمهم من نور الشرق شيئاً وانه لا يزال يعم في الاعتقاد بان كل ما خرج عن حضارة الشرق توحش وان كل ما اتصل بجوهر الشرق رجعية .

لست ادري انسمي هذا الموقف من الغرب عمى ؟ ام نسميه تعصباً ؟ لطالما رمانا الغرب بالتعصب زوراً وبهتاناً وما من امة في الارض ابدت من التسامح والتساهل والحرية ونبتت من الجمود والقيود مثلما فعلت امة الشرق ازاء الحضارة الغربية .

فلقد فتحنا أعيننا عليها بضمائر نقية ، ونقبتنا فيها بحسن نية ، واخترنا ما اعتقدنا انه ينفعنا في حياتنا الحاضرة وما ينفي عنا شبهة التمسك بالبالى من المظاهر ، وذهبنا في ذلك احياناً أبعد مما ينبغي فما وجدنا باساً

نسخة مجانية

في ان ننقل عن الغرب كثيراً من الانظمة والقوالب والطرائق فهي اعراض مما يلحق المدنيات القائمة واثواب مما يغلف العصور المتجددة ولكن الذي ما كنا لنتهاون فيه قط هو الروح والجوهر... هنا ونقول للغرب قف وحذار ان تمس هذا الجانب من الشرق ومهما يكن من امر اتهامه لنا بالرجعية فنحن اقدم منه عهداً واكبر سناً. ونحن نعرف انه الآن في شبابه المضطرب ونشاطه المتقد لا يمكن ان يترث لبيحث عندنا عن معونة ولكن غداً عندما يعقده الكبر وتذله الهزيمة ويذهب عنه الغرور ربما وقف لحظة وتلفت حوله يلتمس الهداية فلن يجد له عندئذ من هادٍ غير الشرق مهبط الحكمة ومنبع النور.

توفيق الحكيم

التعاون

بعض الحيوان اقوى من بعض ومطالب الحياة في امة منه اربى (١) من امة . غير ان فطرة الله التي فطره عليها تقتضي ان تتضام ذوات الضعف منه لتستجمع من قواها قوة موحدة تدرأ عنها بطش القوي وان تتحاض (٢) ذوات المطالب الكثيرة منه ضروب العمل الذي يكفل حياتها . ولا جرم ان تشارك نوع من الحيوان في دفع الأذى ، وتقاسم آخر جلب الجدا (٣) هو تعاون فطري لا يقوم لهما عيش بدونه .

والانسان حيوان يجمع تدينك الخصلتين الضعف والحاجة ولكنه بتعاونه يبلغ الحسين القدرة والكفاية ، فإذا جانب فريق منه التعاون وآثر التواكل والتخاذل ، فقد ظلم نفسه وعادى جنسه وباء من الله بالخذلان ومن الناس بالحرمان والامتهان وتسفل عن رذال الحيوان ومن اظلم ممن يستفضل (٤) من الضعف اسراً (٥) ومن القل وفرأ ويتجاهل قوله تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » اذ ليس لتعارفنا ازواجاً وشعوباً وقبائل من ثمرة إلا تعاوننا وتناصرنا صوتاً لذوات انفسنا وبقيا على كيان جنسنا . فبالتعاون تنشأ اللفة والمودة والرحمة . ومن هذه الخلال الشريفة ينبعث روح التعاون والتناصر على تحصيل المودود وتنحية المكروه . وكلما اشتدت اواصر التعارف بين طائفة كان التعاون لهم ألزم وعليهم اوجب .

اذا فهمنا هذا علمنا وجوب تعاون الزوجين على اصلاح ذات بينهما ،

(١) انى وازيد . (٢) أي يأخذ كل منها حصة من العمل . (٣) الخير . (٤) يستبقي

ويستزيد . (٥) قوة .

نسخة مجانية

ووجوب تعاون كل شعب وقبيل على تمكينه في الارض وتثبيت اقدامه في ميدان التنازع الحيوي العظيم . فمن الزوجين تبت الأسرة ومن الأسر يتشعب الشعب والقبائل فاذا أردنا أن نعيش مستمكنين في الارض مستوفرين حاجتنا من متاع الحياة الدنيا فلا يقوم لنا بذلك الا التعاون اسرة وقبيلاً .

فليتعاون افراد الأسرة أصلاً وفرعاً على العمل من أجل هدوء بالها ورخاء عيشها وتأمين سربها (١) وتهوين صعب الحياة عليها .
وليقيم رب الأسرة بما يجب عليه لاسعاد زوجه وولده ومن بلغ عنده الكبر والعجز من والديه ورهطه فلا اكفل بعد العبادة لرضا الله تعالى ولا ادل على كرم النجار ونبالة الهمة وشرف النفس وطهارة العرق من العطف على قرينة الحياة وصونها عن الذلة والعوز ومن الشفقة على فلذات الاكباد وتنشئتهم على ادب وعلم وعافية ومن البر بالوالدين وتخفيف آلام الشيخوخة عليهما ومن المودة في القربى وتوثيق اواصرها بالحسنى .
ولا يكونن رب الأسرة كذلك الغافل الذي لا يعنيه من شأن اهله وولده ما يعنيه من شأن نفسه وخلصائه فيكون علة شقاء الاسرة وفساد اخلاقها وتشتت شملها ثم تنصب على رأسه معرفتها ومخازيها ويأخذ الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى .

ولتقم ربة البيت باسعاد كاسبها في نفسه وولده واهله فمن أولى من السيدة الكريمة بصيانة شرف بعلها واطاعة أمره وإدخال السرور على قلبه بحسن القيام على اولاده وتنسيق اثاث بيته وأداته وتهيئة ما تدعو اليه معيشة قطانه من مطعم ومشرب وملبس ومرقد . تلك هي الحرة التي تستأهل ان تدعى ريحانة المنزل وربة البيت اي المربية والقائمة بشؤون أهله ، اما تلك السليطة الرعناء التي لا تألو زوجها صخباً وحواراً وتعنته سؤالاً ولجاجاً وتبهظه

(١) متقلبها ومتصرفها .

نفقة وتكليفاً وتخرجه صلفاً وبذخاً وتحشد عليه البيت زائرات وصواحيبات وتنفق اثنى الساعات في رد الزيارات وتكفل تدبير منزلها الى المراضع والخادمت ثم هي بعد أعجز من أن تستقل بطهي لونها أو خيط ثوب فهي بأن تدعى شيطاناً مريداً وداءً وبيلاً أولى من أن تدعى ربحانة البيت وقررة أعين الأهل وبأن تدعى ضيفاً ثقيلاً وكلا بغيضاً من ان تدعى ربة المنزل .

وليقيم الاولاد بمعونة ابويهم على تربيتهم بحسن طاعتها والدأب على تحصيل العلوم والفنون والبر بها والنهوض بأمرهما عند عجزهما .

ثم ليقم اولو القربى بواجب المودة التي وصاهم الله بها غير مرة في كتابه العزيز ولا أجلى مظهراً لتلك المودة ولا ابين اثراً لفضلها من تعاون اولي القربى في سرائهم وضرائهم ومن تناصرهم عند حلول الازمات ونزول الملمات .

إذا قام اعضاء كل اسرة بما يجب عليهم من التعاون والتناصر وقطعوا اسباب الخلاف بينهم مما نراه مستحكماً مستعزراً^(١) بين كثير من البيوت والاسر في القرى والاقاليم فوهنت به قواهم وتفككت عرى عصبيتهم ودبت عقارب السعاية والنميمة بينهم وبينهم وتبددت ثروتهم وأصبح عقارهم رهناً للمصارف ونهباً بين المحامين وخبراء الدعاوى فأخربوا بيوتهم بأيديهم وغرسوا في اعقابهم الفاقة والتباغض والتحاقد والتحاسد وحب الانتقام باهلاك الحرث والنسل فلا عجب اذا حل محل كل اولئك التواد والتراحم وامتدت أروقة السعادة فوق رؤوسهم وخفقت اعلام الوثام على ربوعهم .

ثم اذا استشعر كل أهل بيت في بلدة فضيلة التعاون على البر والتقوى وتناهوا عن الاثم والعدوان فقد اهتبلوا العافية في الأهل والولد والمال وسلوا أيدي الدخلاء الذين يتصيدون أرزاقهم الخبيثة بمبائل المكر والفتنة

«١» قوياً مشتداً مستمكماً .

ويتربصون بكرام العشائر دوائر السوء واصبحوا وكأنهم اسرة واحدة .
وليست المملكة الفاضلة والشعب العزيز الجانب الا طائفة من المدائن
والقرى متآثرة في فضليات الصفات متوحدة المبادئ والغايات رعية وسلطاناً
فإذا بذلت الدولة جهدها في معونة الرعية واجمعت الرعية على معونة الدولة
ومعونة بعضها لبعض فليس لاعدائها عليها من سبيل .

اما معونة الدولة للرعية فهي تأدية الامانة التي ائتمنتها عليها والقيام بالوكالة
التي وكلتها اليها ووضع حقوق الوكالة في نصابها .

وذلك بتربيتها واعدادها لمكافحة الزمان ومنافسة الجيران بنشر العلم في
عامتها وخاصتها وتثقيف عقولها وتهذيب اخلاقها وعاداتها وتوفير الصحة
عليها وتأمينها على ارواحها وأعراضها وأموالها من الاشرار العائثين بالفساد
خلال ديارها والغزاة المغيرين عليها وتنمية ثروتها باخصاب ارضها واحداث
الصناعات النافعة بينها وترويج تجارتها وانصاف مظلومياها من ظالمهم
وبتنفيذ الشرائع والقوانين بالقسطاس المستقيم سالكة في كل اولئك سبيل
الاقتصاد في النلفة مدخرة من المال ما تعوزها اليه نواب الدهر من الاوبئة
والحروب والقحط .

واما معونة الرعية للدولة فهي تسهيل عملها عليها وملازمة الطاعة في
تنفيذ ما وكلته اليها .

وذلك بأن يبذل الاباء والامهات منها غاية جهدهم في حسن القيام
على تربية أبنائهم في المنزل وخارج المدرسة وصونهم عن السقوط في
حماة الرذيلة من الكذب والمهاترة والعناد ومشاحة غيرهم والتأدي في اللعب
والسخرية بالناس وبأن يقوم مياسيرها بنصيبهم في تهذيب محاوريجها وترقية
عقولهم واخلاقهم بنشر معاهد التعليم بينهم او مد الدولة بالمال والارضين
لانشائها وحبس الربيع والعقار على تشجيع النبغاء والاذكيا والمؤلفين
والمخترعين وانشاء ملاجىء للايتام والزمنى ودوراً للرضى وبأن يقوم

أرباب الزعامة والعصبية والنجدة والاقوال المسموعة بالضرب على ايدي
المفسدين من السراق والخراب ومطاردة الجناة وسوقهم إلى حراس العدالة
ومقت المذنبين وانشاء جماعات الحسبة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
سأل أحدهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لم اختلف عليك
الناس ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر؟ فقال : لأنها حكما مثلي وحكمت
مثلك . وقال عبد الملك بن مروان من خطبة له في أهل الكوفة : « ولا
تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين وأنتم لا تعملون أعمالهم » .

واما معونة الامة بعضها لبعض فباشترك الناهين منها في إسعادها وكلاءة
مادة رزقها عليها من الزراعة والصناعة والتجارة .

وذلك بأن يقوم نبهاء الزراع بالتجارب المفيدة في استجدادة الزرع
والدواب وإنشاء النقابات الزراعية لانتقاء البذر واستحضار السماد واقتراض
الأموال ونشر أفضل طرق الزراعة واستعمال أفضل آلات الحرث والحصد
والري .

وبأن يقوم أرباب رؤوس الاموال القليلة بتأليف الشركات الصناعية
والتجارية لتكوين رؤوس أموال عظيمة تقوم بجلائل الاعمال ولا يزعزعها
طفيف الخسارة .

اذا استمسكت كل امة حاكمها ومحكومها بعري التعاون ثم تعاونت
هي وغيرها على تذليل صعاب الحياة الدنيا وتبادلوا المنافع والغلات كانت
عاقبة ذلك سعادة الانسان ورفع الخصام واستتباب السلام وما ذلك على
الله بعزیز .

الخضر

لك الله يا موسى حين تفني جهودك فلا تدري اتوجهها الى فرعون
أم توجهها الى قومك بني اسرائيل أم توجهها الى قارون وأمثاله من
هؤلاء المفترين ام تجمع نفسك لتتجه الى ربك تستعينه وتستهديه في تأدية
رسالتك ونشر دينك؟ أم تتجه الى ربك تحمده على ان اكرمك حين
نصرك على عدوك .

ولكن أترى يا موسى أخذتك نشوة الانتصار وشعشعك اكرام الله
يوم وقفت تخطب وتعظ وتبين للناس معالم الدين وتفسر التوراة .
ويوم ان غمرت السامعين بروعة علمك وفصاحة بيانك حتى سألوك :
هل في الناس يا موسى من هو أعلم منك؟ وسرى في نفسك ما يسري في
طبيعة البشر وحسبت انك شيخ الانبياء وكليم الله وانك صهر شعيب
وانك ربيب القصور وانك مغرق فرعون وانك غالب السحرة وانك مفجر
الماء من الصخرة وانك فالق البحر وانك صاحب التوراة وانك تغترف
من بحر علم الله .

ولكن الله سبحانه أوحى اليك ان بحر علمك يا موسى قطرة من
بحر علم المقربين وان من عبادي عبداً صالحاً تلقاه عند مجمع بحر الروم
وبحر فارس فيما يلي الشرق وقد آتيناك من لدنا علماً .

وموسى الذي يرى انه المحظي عند ربه الاثير لديه دون انبيائه لا
بد ان يلقي هذا العبد الصالح ويرحل في طلبه ويسعى لصحبته ويلتمس
من علمه حتى لو أمضى حقبة أو حقبة من الزمان .

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ

أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) . وأوصى الفتى ان يأخذ غداهما حوتاً من حيتان البحر في مقطف او مكتل وسار الى الشرق ودائماً يرحل الى الشرق ويقتبس النور من الشرق . فالشرق منزل الوحي ومنبع الاديان ومسقط الرسالات وحقل الروحانيات .

وسارا حتى كدهما السير وأضناها الارتحال فناما على صخرة في ظل شجرة على شاطئ البحر ونزل المطر فبلل الحوت فصحا وقفز إلى البحر وهما لا يشعران

(فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيًا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) .

وتابعا السير حتى وقفا على البحرين وماذا هناك الا ان يرى قدرة ربنا سبحانه ويسرح في تأملاته ويسبح في صلواتها ويتيه في ملكوت رب العالمين .

(وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ وَأَجَاغٌ وَمِنْ كُلِّ تَلٍّ كَلِيلٌ وَتَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

ولعل لله حكمة في أن جعل موعد لقاءها عند مجمع البحرين حتى يشبع نفسه من تجيد الله في جلاله وحتى يغسل ما علق في نفسه من زهو في نسامة وحتى يعود الى العبد الصالح وقد خلاص من كل مظاهر الحياة الا من الماء وهو أصل الحياة .

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) .

(فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) .

(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا

نسخة مجانية

أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانَ أَنْ أَذْكَرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ
عَجَبًا .

وأنصت موسى الى نفسه وعجب من أمر الفتى والحوت وكيف يحيا
الحوت وهو في المكتمل ثم يقفز الى البحر فيعود الى الماء وكيف ينسى
الفتى هذا الحوت الكبير ولا يحس بالمكتمل وهو يحس ثقله وفيه حوت،
وخفة وزنه حين خلا من الحوت .

ويا ترى أيبكون الشيطان ابليس في أثري حتى وأنا في هذه الرحلة ؟
لعل سرّاً من اسرار الله في ذلك المكان الذي نمنا فيه على صخرة تحت
الشجرة ولعل موعدنا مع العبد الصالح هناك ولا ندري .

عد بنا يا فتى الى حيث كنا واياك ان نتيه في عودتنا فهامي ذي آثار
اقدامنا فلنقصصها حتى تهدينا الى الصخرة المباركة .

« فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا » .

وما كان العبد الصالح الا شيخاً نحيلاً طوى جسمه الناحل في ردايه
فجعل بعضه تحت رأسه وغطى جسمه ببعضه في هذا العراء الذي لا نهاية
له وفي هذه النومة الهادئة على شاطئ ماء لا حد له وفي هذه الوحدة
الموحشة التي لا مؤنس فيها الا الاغراق في بحر علم الله .

ومال عليه موسى فصحى الشيخ من هدأته وسلم موسى فسلم وعرفه بنفسه
فعرفه وعرض عليه ان يتلمذ عليه فتأبى عليه واستوسع علمه على
موسى وبين له ان بحر علم الظاهر لا يساوي قطرة من بحر علم الباطن .
وشرح له ان علمك يا موسى الذي زهت به نفسك تبتدىء به عند
مرحلة أعلى من احاطتك وطاقة أقوى من طاقتك واصبر اصبر مما تحسه
في نفسك .

قَالَ لَهُ مُوسَى : « هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعَلِّمَنِي بِمَا

عَلَّمْتَ رُشْدًا »

« قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا » .

وموسى في سبيل الله والوصول الى الله لا يفضب من الشيخ ولا ينفر من تهوينه ولا يياس من تصعبه ويبيدي استعداده وتلفه على علم جديد فوق ما كان يظن انه قد علم وأتم العلم .

ويقول : (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) .

ولأمر ما اشترط العبد الصالح على موسى ان يصبر ولا يتعجل .

أكان ذلك لما في طبيعة الانسان من اللهفة على استيضاح المبهم وتفسير المستغلق وحذر النفس وقلقها مما تكنه أستار الغيب تدفعها الى ذلك غريزة حب الاستطلاع .

فقد يرى الانسان ظاهرة من ظواهر الكون فلا يفهم فيسارع الى السؤال والاستفسار فان لم يجد من يسبقه بالتوضيح وضح لنفسه . ثم يحكم بما يحكم وهو لا يدري ان كان على هدى او كان في ضلال مبين . قال العبد الصالح : « فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا » .

فَانْطَلَقًا حَتَّى إِذَا رَكِبْنَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا » العبد الصالح . فتلفت موسى الى اصحاب السفينة والى استاذه الشيخ وعجب من فعله وركاب البحر يخافون الفرق ويرمون كل خرق في سفينتهم فما بال هذا الشيخ يعكس الآية ويخرق السفينة .

لا بد انه يود ان يفرق اهلها ويغرقنا معهم . وهذه الحياة لا يغامر بها انسان فهاذا بعد ان يفرقنا هذا الشيخ الذي عاهدني على ألا أتعجل وألا أسأل .

نسخة مجانية

فقال موسى يهمس في اذن استاذه وقد تخطى حدود المعاهدة التي عقدها عند الصخرة وقال له : « أَخْرَفْتَهَا لِتُفْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا » .

فاستدار الشيخ اليه في هدأة العالم يحنو على تلميذه يذكره بمعاهدته ويزجره على نقض عهده وقال له : « أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا » .

وخجل موسى واعتذر من فعله واعتل بنسيانه واستغفر من ذنبه وتوقع ان يحيق به شر من مخالفة هذا الشيخ الخطير . و « قال : لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا » .

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ « العبد الصالح . فانزعج موسى لهذه الجناية ؛ جناية قتل غلام جميل فاضر بريء لم يجرم ولم يسيء الى احد . وماذا يكون جزاؤنا من أهله ان أدركونا . واين هذه الجناية من دين موسى الذي يحرمها ويتوعد القاتلين بالقتل وبغضب الله .

ولم يستطع موسى صبراً على استاذه مهما كان يجله ويجامله . واستفهم استفهاماً إنكارياً : أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا » .

فاستدار الشيخ اليه في هدأة العلماء والحكماء حين لا يضيعون بتلاميذ متسرعين ، وذكره بمعاهدته وقال :

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا » .

وثاب موسى الى رشده وارتد الى عهده وحاسب نفسه وتذكر ان هذه هي الثانية وان الاولى لك والثانية محسوبة عليك .

وما هذا بالمنهج المرضي ولا الاسلوب المقبول ان تنقض العهود وان تنسى المواثيق . وما هذا بادب التلقي ولا هو بسلوك المريرين .

فلم يرضَ عن نفسه وتضائل بين يدي استاذِه وطيب خاطرِه وفرض
فرضاً جديداً وبنداً شديداً في بنود معاهدته وقال : « إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ
شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا .
فَانْطَلِقَا حَتَّى إِذَا أَتَيْتُمَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْتُمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا
أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا » .

فاشمازت نفس موسى من هذا الشح البادي على اهلها وهم ان يندد
بهم ويتنقصهم ويخذلهم كرامتهم .
ولكنه لم نفسه وكم فمه وكظم غيظه فهو منذ قريب قد أخرج نفسه
فضاقت دائرة الاعتذار عليه .

ثم سارا فوجدوا في هذه القرية جداراً مائلاً يريد ان ينقض فيقع
متهدماً . فاخذ العبد الصالح يقيمه ويدعمه ويسنده وقضى في ذلك وقتاً
وبذل جهداً واستحق على ذلك شكراً وأجرأ ولم يتقدم احد بأجر ولا بشكر .
ويضي الشيخ مطمئن النفس مرتاح الضمير ويعجب موسى وينفذ
صبره ولم تبق فيه طاقة ان يسكت على ما يرى من امر الشيخ وفعله
المعروف في قرية لا يستحق أهلها سلاماً ولا كلاماً ولا اهتماماً .

قال في أدب وتواضع ليس فيه عتاب ولا ملام لو شئت لاتخذت
عليه اجراً ولطالبت هؤلاء الناس يجزاء ما اسلفت من معروف .

فاستدار اليه الشيخ في حزم وعزم كمن ياخذ المخالف بمخالفته والمعاهد
بمعاهدته والفاعل باعترافه وقال : « هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ
سَأَنْبِئُكَ بِتَاوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا » .

اسمع يا موسى : « أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي
الْبَحْرِ فَارَدَّتْ أَنْ أُعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ
سَفِينَةٍ غَصْبًا .

وَأَمَّا الْفُلَّامُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا

نسخة مجانية

طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاتًا
وَأَقْرَبَ رُحْمًا .

« وَأَمَّا السُّجِدَّارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ .

« وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْرِيلٌ مَا لَمْ تَسْطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا .

فأين علمك الظاهر يا موسى من علم استاذك الباطن .

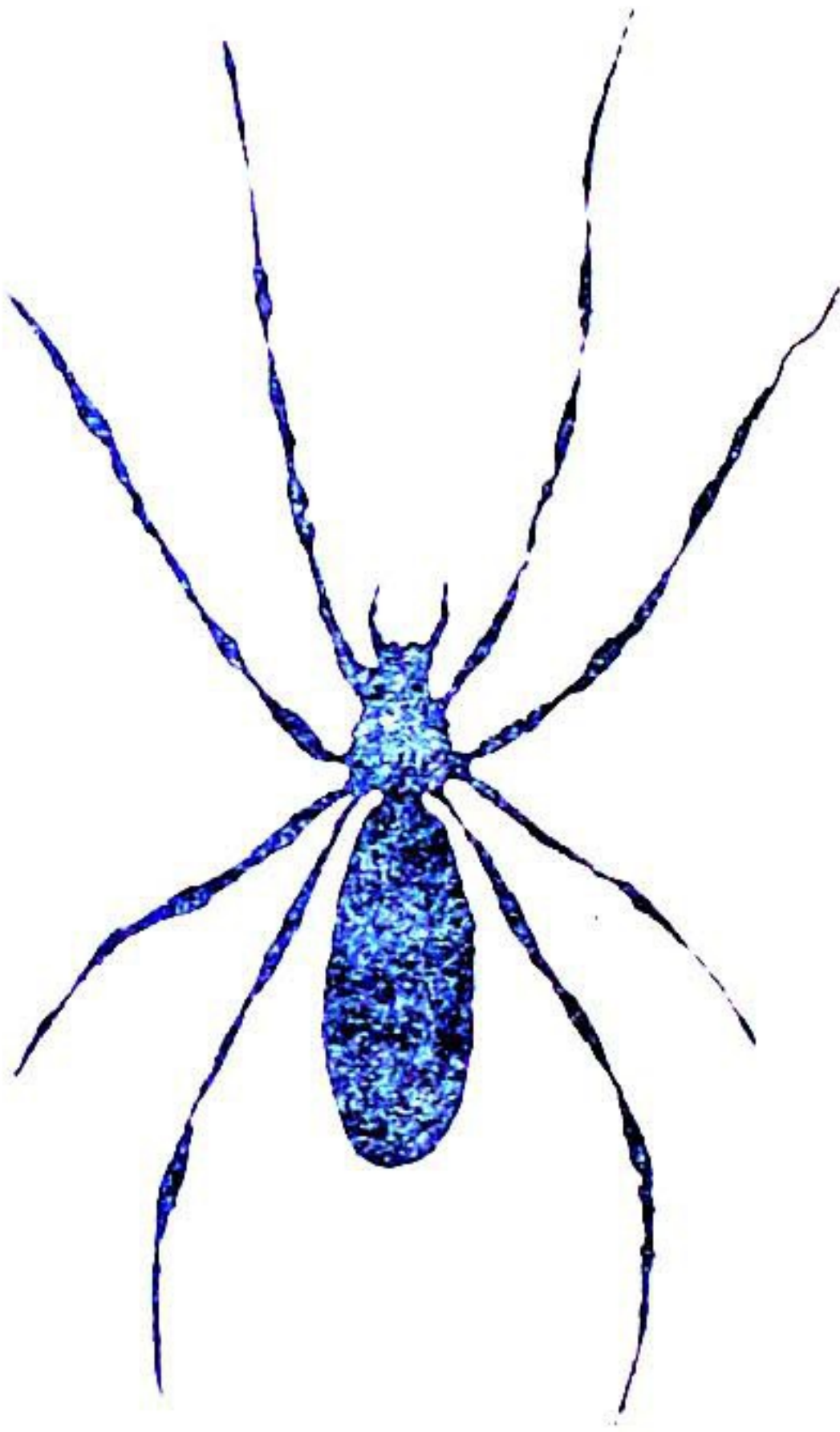
خذ من الخضر وابدأ من جديد فتعلم من المهد الى اللحد .

قال تعالى : « وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » .

محمود زهران

العنكبوت

حشرة صغيرة كشف العلم الحديث عن اهميتها بالنسبة للناس . وبيّن ان نفعها عظيم . فعلى وجودها يتوقف حياة « الملايين » من الناس . ولكي تدرك أهمية هذه الحشرة فعليك ان تعرف ان العناكب تعيش على الحشرات التي تقضي على محاصيلنا الزراعية . ولو قدر الله واختفت العناكب عن وجه الارض لمات معظم الناس من الجوع اذ ان الحشرات المبيدة للزروع ستأكل جميع محاصيلنا الزراعية .



العنكبوت

ويقول علماء الحشرات ان العناكب تأكل كل سنة ما يساوي وزن ثلاثة ملايين رجل ومن الصعب تصديق هذا لعدم معرفتنا بعدد العناكب الموجودة على سطح الارض . غير ان العلماء يقدرون عدد العناكب الموجودة في الفدان الواحد من الارض المعشوشبة بعدد يتراوح بين مليون وربع الى مليونين وربع من العناكب وقد قام بهذا الاحصاء عالم بريطاني وذلك بأخذ عينات من الارض في المناطق المختلفة .

والعناكب انواع متعددة قد تصل الى خمسين الف نوع ، منها بضعة

المطالعة الثانوية ١ - ث ٧

عشر نوعاً فقط من الانواع السامة وتعتبر مؤذية ، ومنها العقرب المعروف غير ان جميع العناكب لا تهاجم الانسان وثمة حقيقة اخرى عن العناكب وهي انها توجد في كل مكان ، فهي تعيش على ارتفاع الوف الاقدام على قمة جبل « افرست » ووجدت ايضاً داخل المناجم على عمق الفي قدم . وتعيش وسط الثلوج القطبية . وفي الجزائر الصخرية النائية ، وفي المناطق المجهولة ، وفي اعشاش الطيور بل وفي بيوت النحل أيضاً .

ومع ان العناكب حشرة برية الا ان بعضها يعيش تحت سطح الماء على سيقان النباتات المائية ، وذلك في فقاعة هواء . والعناكب تملأ البيوت وجدران المعامل وسطوح المنازل وبعضها يعيش في الصخور البحرية التي تفرها مياه المد . وتسكن في بيوت تبنيها من نسيجها .

وتتخذ العناكب لون المكان الذي تعيش فيه اذ تلونها بالبيئة التي تعيش فيها يساعدها على التخفي عن اعدائها . اما العناكب التي تعيش في المناطق الحارة ، فيكون لونها لامعاً .

وتتغذى العناكب على الحشرات فقط وهي لا تأكل النباتات أبداً . ولهذا فهي ليست ضارة بالنباتات مطلقاً .

وتختلف مصائد العنكبوت وتتنوع وهذه المصائد تقوم بنسجها العناكب لاصطياد فرائسها من الذباب والحشرات الاخرى فعندما تتعلق ذبابة بنسيج المصيدة تسرع العنكبوت الى التهام فريستها .

وتبتكر العناكب اساليب جديدة للصيد فمنها ما تبني قلعة تخفيها تحت نسيجها وتنتظر مثل قاطع الطريق حتى تمر بها حشرة سيئة الحظ فتتنقض عليها العنكبوت وتفترسها وبعض العناكب تتعلق بجبل من نسيجها وترسل طرفه على الاعشاب حتى تعلق به حشرة فيلتف الخيط على الحشرة وتقوم العنكبوت بالهجوم على الفريسة . وبعض العناكب تتخذ من ميزة التخفي

اسلوباً للصيد فتقبع في كأس زهرة وتبدو كجزء من تلك الزهرة فإذا ما جاءت فراشة إلى الزهرة برزت العنكبوت وهاجمت الفراشة وأكلتها وبعضها تحمل شبكتها بأطرافها الامامية وحينما ترى فريستها تقذف الشبكة عليها وتططأها .

ومعظم العناكب تأكل فريستها في مكان الصيد إلا أن بعضها يحمل فريسته على كتفيه عائداً إلى بيته .

وحجم العنكبوت صغير ، وأكبر نوع منه هو الموجود في المناطق الاستوائية إذ يبلغ طول العنكبوت ثلاث بوصات ونصف وطول اذرعها ثماني بوصات .

وخيوط العنكبوت واهية جداً ولكن إذا فتلت هذه الخيوط فليس هنا ما يضاهاها متانة وخفة . فان قوة خيوط العنكبوت تبلغ ثلاثة اضعاف قوة سلك من الحديد او بتعبير آخر لو صنعنا حبلاً من خيوط العنكبوت قطره بوصة واحدة لأمكن ان نرفع به ثقلاً يبلغ وزنه أربعة وسبعين طناً . ولا تقتصر خيوط العناكب على صنع المصائد بل هي ايضاً لبناء أعشاشها ووضع الشرائق فيها كما تبني منها بيوتها في الارض . او تطير في السماء . وتفرز العنكبوت هذه الخيوط من غدود تقع في مؤخرة جسمها . والعناكب لا ترى الاشياء البعيدة . وبعضها لا يرى مسافة تزيد عن البوصة غير انها ذات حساسية قوية جداً لدرجة انها تستطيع معرفة أي شيء تريد معرفته . فالأهداب التي تنتشر على اقدام العنكبوت تستطيع بواسطتها معرفة أي شيء يلمس خيوطها البعيدة المتطايرة في الهواء وتعرف فيما إذا كان هذا الشيء فريسة لذيذة أو عدواً كالزنبار مثلاً .

والزواج في دنيا العناكب غريب أيضاً فالأنثى منها تتزوج ذكراً يصفرها حجماً بمئات المرات . ومن المعروف ان الزوجة تأكل زوجها بعد الزواج وان كان هذا لا يحدث دائماً . وتضع العنكبوت ملايين

نسخة مجانية

من البيض وتخرج منه ملايين من العناكب ولولا هلاك كثير منها لأنت على الغذاء الموجود .

تنسج العنكبوت خيطاً تطلقه في الهواء متعلقة به فيرتفع مع تيارات الهواء الساخنة إلى طبقات الجو العليا . وقد تصل في ارتفاعها إلى خمسة عشر ألف قدم كما شهد ذلك احد الطيارين .

هذه هي العناكب التي لا نعيها أهمية تذكر والتي تغطي مساحات شاسعة من الارض وتوجد في كل مكان . ونستطيع ان نعطيها صفات كثيرة فهي مبيدة للحشرات . وهي مهندس قدير وجندي يتقن عمليات التخفي وغواص البحر ومكتشف للاجواء العليا وصياد ماهر . ومتسلق للجبال وحائك ماهر ونساج فنان . أوليست هذه اعجوبة في عالم الحشرات ؟

عبد الحلیم منتصر

ام عربية

مكة أرض الله المقدسة في حصار . الكعبة بيت الله الحرام يروح فيها الجند ويحيئون . ألوية هنا ورماح هناك أسلحة وآلات وجنود داخل المدينة قائدهم رجل في السبعين هو عبد الله بن الزبير خليفة الحجاز ، وجنود حول المدينة قائدهم شاب في الثلاثين هو الحجاج بن يوسف الثقفي . جو مكة كله هلع والتبايع وكأنما كل شيء يوحى الى أهلها ان استسلموا فالجرب ضرور والموت على الابواب .

ماجت مكة بكثرة الوافدين عليها ليؤدوا فريضة الحج ، ولكن جند الشام لم يترك مكانه ، وجند مكة لم يبرح محاصراً لا يستطيع خروجاً . لم يستطع الحجاج ولا جنده الطواف في البيت بل ظلوا محرمين مكانهم لا بسين الدروع فوق الاحرام . ولم يستطع ابن الزبير الخروج الى عرفة فنحر هديه في مكة .

هدأت الحركة في مكة بعض الشيء منذ رجع الحاجون الى اوطانهم ولكن نفوس أهلها في حركة ، واي حركة هلع وخوف وقلق . لقد طال بها الحصار وضافت نفوس أهلها فلا يستطيعون احتمال المزيد .

وبينا اليأس يحرق قلب الشيخ حرقاً اذ بعروة بن الزبير يناديه . ماذا يريد منه عروة ؟ عروة يناصر عبد الملك وهو في أمان من هذا الحصار وهذا الجند ماذا ينبغي عروة منه في ساعة اليأس هذه . عروة رسول أمل جديد جاء يعرض عليه الامان بشروط مرضية ، هم يعطونه كل ماله املاكه سلامته حرته التامة ، كل شيء الا الخلافة . وفي ساعة اليأس يرى اليأس بصيص النور ضياء ساطعاً وهاجماً ولكن السن أملت

نسخة مجانية

عليه التدبر فليترو قليلا وليستشر ولكن من يستشير ؟
في ركن من أركان بيت عبد الله بن الزبير قبعت عجوز في المائة من
سنها ، عجوز لها من تجارب الحياة ذخر ثمين ولها من الصحة ورجاحة
العقل رغم هرمها ما شهرت به ، ولكن لها فوق هذا كله منزلة في
نفس عبد الله لم يبلغها أحد ، هي امه هي اسماء بنت ابي بكر الصديق
فليستشرها هي .

واقترب الابن من أمه الواهية التي جثم الحزن الى قلبها طويلا لقد
فجعت حديثا في ابنها مصعب بعد ان ملأ ذكره الآفاق بعد ان استولى
على قطر من أهم الاقطار العربية وهو العراق بعد ان قاتل فقتل في
ميدان الجهاد كريما شريفا شهما شهيدا ولكن حزنها لم يشفع لها لدى
الدهر فما زال الدهر يلوح لها بين حين وآخر بسلب ابنها عبد الله أعز
أولادها واطيرهم ذكرا وأكثرهم جهادا ، دنا ابنها منها وسألها :

- كيف تجدينك يا أماه ؟

- اني لشاكية .

فقال لها وكأنه يحدث نفسه البائسة .

- ان في الموت راحة ، فأجابته :

- لعلك تتمنينه لي وما احب ان اموت حتى يأتي على أحد طرفيك

اما قتلت فاحتسبك واما ظفرت فقرت عيني بك .

صدمه جواب امه وكانما كان جوابا عما اتى يستشيرها فيه كيف

يسألها ؟ ولكنها لا تعرف عما عرضوه عليه شيئا وفي صوت متهدج

قال لها :

- أماه لقد خذاني الناس حتى ولدي واهلي ولم يبق معي الا اليسير

ومن ليس عنده اكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما اردت من الدنيا

فما رأيك ؟

وجاشت في صدر الام عواطف ونوازع شتى كلها تتزاحم فلا يتاح لاحدها فرصة التغلب او الظهور حنان شفقة خوف شجاعة حب لولدها حب لوطنها حب اربها وللحق ولرسول الحق ولتعاليم الحق ظلت كل هذه تتصارع في صدر العجوز صراعاً عنيفاً وظلت الام تعاني آلام هذا الصراع حيناً وآلام الهزيمة اكل عاطفة تهزم منها كل عاطفة جزء منها فصراعها يؤلمها وهزيمتها تكاد تقتلها .

ولكن حميتها العربية انتصرت أخيراً وتغلبت من كل هذه العواطف الخليقة باسماء بنت ابي بكر الصديق .

وفي صوت ملؤه اليقين قالت لوالدها :

انت أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه اصحابك ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد انت اهلكت نفسك ومن قتل معك كم خلودك في الدنيا؟ القتل احسن .

القتل احسن ولكن ماذا بعد القتل؟ ان يتورع الجبار من ارتكاب شيء لن يردعه دين ولن يردعه خلق فقال وكأنما الحقيقة تمثلت له قبل وقوعها .

- اماء اني اخاف ان قتلتني أهل الشام ان يثلموا بي فقالت له :

- الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله .

سرت روح الام الى ابنها فقشعت من صدره كل يأس وكل خوف وظلت كلماتها تتردد في نفسه كوجيب قلبه القتل احسن القتل حلت الشجاعة محل اليأس وحل جلال الحق محل الخوف من الموت والمثلة لم يعد يالم لشيء الا لتلك الشكلى التي ستفقدته بعد فقد اخيه بالامس .

اماه اني مقتول يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الامر لله ان ابنك لم يتعهد ايشار كفر ولا عمل بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر

نسخة مجانية

في امان ولم يتعهد ظلم مسلم او معاهد ولم يبلغني ظلم من عمالي فرضيت به بل انكرته ولم يكن شيء عندي آثر من رضى ربي ثم رفع رأسه الى السماء قائلاً :

- اللهم لا اقول هذا تزكية لنفسي ولكن اقوله تعزية لأمي حتى تسلو عني .

خيم الصمت على الام وولدها وقد أحسّت انها ستراه لآخر مرة كما أحس هو بذلك وترقرق الدمع حاراً ملتهباً في عين العجوز ، الدمع الذي ظل محتبساً من احوال الايام الاخيرة انفجر في هذا الموقع الذي يجبل عن كل دمع .

بدا ابنها يحس شيئاً من الاحجام بعد ان صمم على القتال والاستشهاد وخاف ان يستولي عليه هذا الشعور ان لم يسرع بتنفيذ ما صمم عليه ، وكان الام ما زالت بروحها تدفعه الى الاستشهاد كما حضته بقولها منذ قليل ، فأسرع نحو الباب بعد ان قبلها قائلاً :

- اماه لا تدعي الدعاء لي .

- لا أدعه لك أبداً ، وكأنها تريد ان تذكره فقالت :

- فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق .

خرج ابن الزبير من عند امه فاذا الفجر لاح والمؤذن يدعو الى الصلاة فليذهب الى المسجد اذن عسى ان يبعث الله الى القلب طمأنينة يجتاز بها قلاقل اليوم .

صلى ابن الزبير صلاة حارة ارسل بها الى ربه ما وسعه من الشكوى وما استطاع من الرجاء ، وأحس بأن نفحة من العالم الاعلى حلت في نفسه من جديد فلم يعد شيخاً ضعيفاً بل أصبح شاباً مندفعاً في ميدان الاستشهاد . ظل ابن الزبير بعد الصلاة في المسجد طويلاً ترن كلمات امه في اذنه حيناً ويصلي الى ربه حيناً آخر فيقول :

يا رب ان جنود الشام قد كثروا وھتکوا من حجاب البيت أستاراً
يا رب إني ضعيف الركن مضطهد فابعث إلي جنوداً منك أنصاراً
ثم حمل هو وأصحابه على الحجاج وجنوده حتى لقي مصرعه ، ثم
صلبه الحجاج .

وبعد ، فهذا موقف من مواقف أسماء بنت أبي بكر الصديق . وقفته
وقد قارب عمرها المائة . وقفته وقلبها مملوء حمية وشجاعة وعزة وكرامة .
لقد علمت الاسلام المرأة العربية وصقل مواهبها ، رحمها الله ورحم
ابنها رحمة واسعة .

سہیر القلماوی

باختصار

الامام ابو حنيفة النعمان

هذا بطل اسلامي ادى خدماته للعالم الاسلامي ، من غير ان يكون في منصب من مناصب الدولة . ذلك هو الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان ، امام المشرعين وقادة^(١) المجتهدين ، ومؤسس مدرسة الرأي في الفقه الاسلامي ، الشجاع الذي لم يخش اعلان رأيه ، والقانع الذي دانت^(٢) له الحياة فلم يأخذ منها الا بمقدار ما يحقق قول الله تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا^(٣) وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^(٤) » .

هو بطل الفكر والرأي الذي وصفه تلميذه العظيم ابو يوسف فقال^(٥) « علمي به انه شديد الذود^(٦) عن المحارم^(٧) ، شديد الورع ان ينطق في دين الله تعالى بلا علم ، يحب ان يطاع الله تعالى ، ولا ينافس أهل الدنيا فيما في ايديهم ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، على علم واسع ، لم يكن مهذارا^(٨) ولا ثرثاراً . ان سئل عن مسألة كان له علم بها اجاب : « والا قاس^(٩) ، مستغنياً عن الناس ، ولا يميل الى طمع ولا يذكر الناس الا بخير » .

هذا وصف رجل لازم استاذة طول حياته ، فليخص في كل كلمة منه ناحية من نواحي العظمة .

كان ابو حنيفة تاجر ثياب يكسب من عمل يده ، يذهب الى دكانه

(١) امام ومثال . (٢) اطاعت وخضعت . (٣) يبخلوا (٤) وسطاً واعتدالا .

(٥) باختصار . (٦) الدفاع (٧) الاشياء التي تحت حمايته كالاهل والدين (المفرد :

محرمة) . (٨) كثير الخلط والكلام بما لا ينبغي (٩) اي استخدام القياس ، بان يجري عليها حكم نظائرها التي تشترك معها في علة الحكم من التحريم او التحليل .

ليزاول التجارة . ويذهب الى المسجد ليعلم الفقة ، فما عرف الناس تاجراً
أنزه ولا اعف ولا اسخى من ابي حنيفة ، وما سمعوا عن استاذ كان
اعلم او ادق او اكثر تواضعاً منه .

لم يقبل ابو حنيفة عطية أمير ، ولا رفقاً (١) وال ، وانما ضرب
أروع (٢) الامثلة في الكفاح ، واغدى (٣) الله عليه الرزق كسباً حلالاً ،
فأنفقه في سبيل الله كما فعل ابو بكر الصديق بثروته .

نزلت برجل ضائقة فتجد لها حتى عضه الجوع هو وزوجته وابنته ،
فاضطر الى السؤال ، وكان يعرف عن أبي حنيفة السباحة ، فتوجه الى
حلقة درسه ولكن الحياء عقد لسانه فلم يستطع ان يبوح لأبي حنيفة بما
في نفسه ، ورجع عائداً الى بيته ، فتبعه ابو حنيفة وقد ادرك بذكائه
ما يدور بنفس الرجل ، وعرف بيته ثم عاد في الليل ومعه صرة فيها
خمسة آلاف درهم ، وطرق الباب وقال له : وضعت عند بابك شيئاً
هو لك ، ورجع مسرعاً قبل ان يراه الرجل ابقاء على ماء وجهه ، فلما
اخذ الرجل الصرة وجد فيها مع النقود العبارة التالية : « هذا المال جاء
به ابو حنيفة اليك من وجه الحلال ، فليفرغ بالك » .

وجاءت مرة عجوز تريد شراء ثوب ، ورجته ان يترفق في الثمن ،
فعرضه عليها وقال لها انه بأربعة دراهم ، فظننت المرأة انه يهزأ ،
فقالت له : لا تسخر مني وانا عجوز لا حيلة لي . فقال لها ان هذا
هو الثمن الحق ، فقد اشتريت ثوبين بعت احدهما بالثمن كله الا اربعة
دراهم ، وهذه الدراهم الباقية هي ما اطلبه منك ثمناً للثوب الآخر .

هذا مثل من امثلة قناعة التاجر الفقيه الذي فهم خير ما يفهم من
الحكمة الاسلامية القائلة « الصدقة الخفية في البيع والشراء » .

وكان هذا الامام المنقلب في نعمة الله يزيد نفسه متعة واستزادة من

(١) عطاء . (٢) اجمل . (٣) افاض .

نعم الله بمقاسمتها غيره ، ينظر الى نعمة المال في يده كما ينظر الى نعمة العلم في عقله ، لا يرى نفسه سعيداً باحداهما الا اذا اشرك فيها غيره ، فكما يفيض بعلمه على تلاميذه كان يصدق عليهم وعلى غيرهم من ماله واذا كسا نفسه حلة جديدة كسا احد العلماء مثلها . ولقد سبق تولستوي^(١) - وغيره - بألف سنة في الخروج عن ماله ، ولكن بطريقة احكم واحصف^(٢) ، فقد كان الامام - رضي الله عنه - يخرج عن كل ماله للمعوزين ، بعد ان يستبقي لاهله ما يكفي نفقتهم ، اخذاً بالاصول الاسلامية التي تقول : ان خير الصدقة ما ابقت غنى . وما كان الامام ليجود بكل ما يملك تاركاً نفسه واهله عالة^(٣) يسألون الناس . ولذلك كان يقول : « ما ملكت أكثر من اربعة آلاف درهم منذ اكثر من اربعين سنة الا اخرجته ، وانما امسكها لقول علي رضي الله عنه : اربعة آلاف فما دونها نفقة . ولولا اني اخاف ان الجأ الى هؤلاء^(٤) ما تركت منها درهما واحداً وهذا الزهد الحصيف كان مبدأ راسخاً عند ابي حنيفة في جميع تصرفاته المالية والعلمية ، ترجم على نفسه حلماً ورعاً ونزاهة .

حدث احد اصحابه قال : كنت عند ابي حنيفة ، وهو في مجلسه وعنده اصحابه ؛ فجاء شاب فالتقى عليه مسألة فأجاب فيها ، فقال له : اخطأت يا ابا حنيفة . فسكت ، ثم القى عليه مسألة اخرى فأجابه ، فقال له : اخطأت يا ابا حنيفة . فقلت لمن حوله من اصحابه ، سبحان الله لا تعظمون هذا الشيخ وتبجلونه^(٥)؟ يجيء شاب فيخطئه وانتم سكوت ؟ فالتفت الي ابي حنيفة وقال : دعهم فاني قد عودتهم هذا من نفسي .

«١» فيلسوف روسي «١٨٢٨ - ١٩١٠» وكان ثرياً فنزل عن ثروته لفلاحى مزارعه .

«٢» أصوب رأياً . «٣» فقراء «المفرد : عائل» . «٤» يشير الى الناس في سؤالهم

ذل وامتهان وما اكثر ما يمنعون المساعدة . «٥» تعظمونه .

بل حدث مرة ما هو اعجب ، فقد كان ابو حنيفة في المسجد ، فقام رجل في ناحية منه يسبه ، فما قطع الامام الدرس حتى انتهى وقام الى داره فتبعه الرجل يشتمه في صياح وجلبة ، والامام لا يرد ، حتى بلغ داره فوقف عند الباب واستقبل الرجل بوجهه قائلاً : هذه داري اريد الدخول فان كنت لم تتم كلامك فآتمه حتى لا تخاف الفوت (١) فخبجل الرجل وقال : اجعلني حل (٢) فقال له : انت في حل .

واجتمع الفقهاء يوماً لدى الامير يستفتيهم ، فادلى كل منهم برأيه ، وادلى ابو حنيفة برأيه ؛ وادلى الحسن بن عماره برأيه ، فقال ابو حنيفة اخطأنا واصاب الحسن . هذه هي شجاعة العالم النزيه الذي يسعى وراء الحق ، ولو خالف رأيه . ولقد اعظمه ذلك في عين الحسن - وغيره - فكان يأخذ بركابه ويقول : والله ما ادركنا احداً تكلم في الفقه ابلغ ولا اصبر ولا احضر جواباً منك ، وانك لسيد من تكلم في الفقه في وقتك . بهذا التواضع والتورع اخذ تلاميذه كما اخذ ابنه حماداً . تقدم حماد ابنه يوماً ليصلي بالناس اماماً ، فاخذ ابوه بثوبه واخره (٣) عن موقف الامام وقدم غيره عليه . فقال له حماد : يا ابت تفضحني ؟ فقال له ؟ بل اردت ان تفضح نفسك فمنعتك ، اذ لو صليت فقال قائل ؛ اعيدوا صلاتكم خلف هذا ، فسطر في الكتب لبقية عاره الى يوم القيامة .

غير ان هذا التواضع الذي اخذ به نفسه وابنه وتلاميذه لم يكن لينزل باحد منهم المذلة والخنوع . فهذا تلميذه محمد بن الحسن ، احد الصحابين (٤) كان جالساً في جماعة فأقبل الرشيد فقاموا الا حمداً . ومضى

(١) ان يفوتك شيء تريد ان تقوله . (٢) اصفح عما قلته .

(٣) لاعتقاد الامام ان بعض الحاضرين أحق بالامامة لانه افضل من حماد . (٤) يطلق « الصحابان » على عالمين جليلين من تلاميذ الامام لازماد اكثر من غيرهما وهما ابو يوسف ومحمد ابن الحسن .

الرشيد لشأنه ثم جاء حاجب الخليفة ينادي : محمد بن الحسن ، فارتجفت القلوب لما سيصيب تلميذ ابي حنيفة من غضب الرشيد . فلما كان بين يديه سأله الرشيد لماذا انفرد بالجلوس عندما قدم عليهم ؟ فقال له محمد : كرهت ان اخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها ، انت اهلتي للعلم فكرهت ان اخرج منه الى طبقة الخدمة التي هي خارجة منه وان ابن عمك - صلى الله عليه وسلم - قال : من احب ان يمثل ^(۱) له الرجال قياما فليتبوأ ^(۲) مقعده من النار . وانما اراد بذلك العلماء ، فقال الرشيد : صدقت يا محمد .

كان ابو حنيفة فقيها اماما ، وتاجراً كسوباً ، واباً باراً ، وصديقاً مخلصاً ، وفرداً في أمته وفيها لها ولكل ما يعلي شأنها ، وهو الى ذلك حريص على دينه اشد من حرصه على حياته ، وكثير التلاوة للقرآن ، تلاوة الفهم والتدبر ، حتى رووا عنه انه قرأه في حياته سبعة آلاف مرة على انه لم ينس نصيبه من الدنيا ولكن بالقدر المحمود الذي يرضي دينه ويبصره بها وبشؤونها فيجيء فقهه وتشريعها لاهلها عملياً ناجحاً . وكان مع ذلك خارجاً عن سطوتها فلم تملك عليه نفسه ، ولم تستنفد وقته ، فتوافر له من الزمن والاجهد ما بذله لعلمه ولتلاميذه فرغ ذات ليلة من صلاة العشاء في المسجد فكلمه تلميذه زفر في مسألة فقهية ، فبقيا يتناقشان عند الباب حتى نودي لصلاة الفجر وهما قائمان فرجعا الى داخل المسجد ، فصليا ثم عاد للمناقشة بعد الصلاة ، وما زالوا حتى استقرت المسألة على قول ابي حنيفة .

وقد كان مع ذكائه وسعة علمه متحرجاً ^(۳) لا يحب العجلة في الاجابة والفتوى ، بل كان يسخو بزمنه وبعلمه ويجهده ، ويحتشد للامر احتشاداً ^(۴)

«۱» ينهض قائماً . «۲» يسكن يحتل . «۳» مبتعداً عن الوقوع في الحرج اي الذنب .

«۴» يجتمع عليه بكل فكره وقوته .

ليعمل فيه رأيه ، لذلك كان لا يفتي اذا سئل وهو في الطريق ، ويقول : لا تسألني عن أمر الدين وانا ماش او نائم او متكئ او احدث الناس ، فان هذه الحالات لا يجتمع فيها عقل الرجل ، وقد قال عنه جعفر بن ربيع أقمت عند أبي حنيفة خمس سنين ، فما رأيت أطول منه صمتاً ، فاذا سئل عن الفقة تفتح وسال كالوادي ، وسمعت له دويًا وجهارة^(۱) في الكلام .

وقد عرفنا انه ينظر الى ماله نظرتة الى علمه ، ويشارك في كل منها من حوله . فكما انه لم يكن ينتظر سائلاً ليبدل من ماله ، لم يكن كذلك ينتظر توصية أو وساطة لتعليم متعلم . جاءه مرة رجل بكتاب توصية لكي يحدته في العلم ، فقرعه^(۲) قائلاً : ما هكذا يطلب العلم ، قد اخذ الله الميثاق^(۳) على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتموننه ، وقال له : ان العالم لا يكون له خواص يختص بعلمه ، فهو انما يعلم الناس ويريد بتعليمه وجه الله .

لقد كان هذا الامام الجليل اشجع مفكر في الاسلام بعد صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، لقد تقدم للاجتهد في ثقة مستمدة من روح الله ، وايمان قائم على فهم نصوص القرآن والحديث ، وذهن متوقد متحرر الا من البحث عن الحقيقة ، فاجتهد فأصدر فتاواه : مطمئنا الى انه ان اصاب فله اجران ، أجر اجتهاده واجر اصابته ، وان اخطأ فله اجر اجتهاده .

ولم يستطع حاكم او خليفة ان يسخره لاهوائه او يغريه بعرض من اعراض الحياة وقد دعي لولاية القضاء فرفض ، دعاه ابن هبيرة والي العراق من قبل مروان بن محمد^(۴) فرفض ، وحبسه وعذبه ليحمله على القبول فلم يزد ذلك الا اباء . ودالت دولة بني أمية وقامت دولة بني

(۱) صوتاً عالياً . (۲) لومه وعنفه . (۳) العهد القوي (۴) آخر خلفاء بني أمية

العباس فدعاه ابو جعفر المنصور لولاية قضائية فلم يقبل ، وسجنه وعذبه فلم ينل من ارادته (۱) .

ولقد نتساءل : ايجوز للانسان ان يرفض ما يدعى اليه من اعمال الدولة ؟ ونحن نجيب عن ذلك بأنه ينبغي ان يكون للفرد الحرية الكاملة في ان يقبل او يرفض ما يعرض عليه منها . غير انه ينبغي الا يكون القبول او الرفض منبعا عن نزوات (۲) شخصية ، او هوى جامع ، او كسل وقيود عن الخدمة العامة . فمن كان رفضه راجعا الى شيء من هذا فهو ملوم وعليه ان يبرأ مما يلام عليه بالاستجابة الى العمل .

اما من كان في قبوله او رفضه مليا ضميره ودينه ، خاضعا لسلطان عقيدته التي وصل اليها بعد تمحيص صادق نزيه ، فذلك حقه لا ينازع فيه . وكذلك كان رفض ابي حنيفة ، فقد خشي ان يسخر قضاؤه لخدمة السلطان ، او يطلب منه ما لا يرتضيه فابى .

ومها يكن الامر فان ابا حنيفة الذي فر من منصب القضاء هو ابو حنيفة الذي قدم للعالم الاسلامي التشريع الذي يأخذ به كل من جلس على كرسي القضاء .

علي الجندي

(۱) لم يستطع ان يثنيه عن عزمه ، او يخضعه لامره .

(۲) ميل وتسرع الى الشر .

يقولون

يقولون في الاسلام ظلماً بأنه
 فان كان ذا حقاً فكيف تقدمت
 وان كان ذنب المسلم اليوم جهله
 هل العلم في الاسلام الا فريضة
 لقد أيقظ الاسلام للمجد والعلی
 وحلت له الايام عند قيامه
 فأشرق نور العلم من حجراته
 ودك حصون الجاهلية بالهدى
 وانشط بالعلم العزائم وابتنى
 واطلق اذهان الوری من قيودها
 وفك اسار القوم حتى تحفزوا

يصد ذويه عن طريق التقدم
 أوائله في عهدهما المتقدم
 فماذا على الاسلام من جهل مسلم
 وهل أمة سادت بغير التعلم (١)
 بصائر أقوام عن المجد نوم
 حباها وابدت منظر المتبسم (٢)
 على وجه عصر بالجهالة مظلم (٣)
 وقوض اطناب الضلال الخيم
 لأهليه مجداً ليس بالتهديم
 فطارت بأفكار على المجد حوم (٤)
 نهوضاً الى العلياء من كل مجثم

«١» يقول ان ذنب المسلم اليوم هو الجهل فالذنب ذنبه لا ذنب الاسلام لأن تعلم العلم في الاسلام فرض والامم لا تسود الا بتعلم العلم وحاصل المعنى تأكيد تبرئة الاسلام مما عليه المسلمون اليوم من الجهل . «٢» قوله حباها جمع حبة وهي ما يحتبى به الرجل من عمامة او ثوب وكانت العرب اذا قعدت مجالسها تحتبى بشياها وذلك بان يجمع الواحد منهم بين ظهره وساقيه بعمامة رخواها ليستند اذ لم يكن للعرب في البوادي جدران تستند اليها في مجالسها . وحل الحبا كناية عن القيام . يقال حل الرجل حبوته اذا قام كما يقال عقد حبوته اذا قعد . فمعنى البيت هنا ان الاسلام لما قام حلت له الايام حباها اي قامت له تعظيماً . «٣» قوله من حجراته بفتح حاء اي من واحيه جمع حجرة وهي الناحية . «٤» قوله حوم أي دارات وهو جمع حائم على حام الطائر على الماء اذا دار به . «٥» قوله تحفزوا أي استوفزوا وتبأوا للقيام والمجثم نخل الجثوه أي اللصوق بالارض عند الجلوس .

فدخلوا طريقاً للبداءة مجهلاً
 فدوت بمنى العلى نهضاتهم
 وعمما قليل طبق الارض حكمهم
 وقد حاكت الافكار عند اصطدامها
 ولاحت تباشير الحقائق فانجلت
 وما ترك الاسلام للمرء مزية
 فليس لثمر نقصه حق معدم
 ولا فخر للانسان الا بسميه
 وليس التقى في الدين مقصورة على
 ولكنها ترك القبيح وفعل ما
 فتقوى الفتى مسعاه في طلب العلى
 فهل مثل هذا الأمر يا أولي النهى
 وان لم يكن هذا الى المجد سلباً

وساروا بنهج للحضارة معلم (۱)
 كزعزع ريح او كتيار عيلم (۲)
 بأسرع من رفع اليدين الى الفم (۳)
 تلاًؤ برق العارض المهزم
 بها عن بني الدنيا شكوك التوهم (۴)
 على مثله ممن لآدم ينتمي
 ولا عربي بنحسه فضل اعجم (۵)
 ولا فضل الا بالتقى والتكرم
 صلاة مصل او على صوم صيم (۶)
 يؤدي من الحسنى الى نبل مغمم
 وما خصت التقوى بترك المحرم
 يكون عثاراً في طريق التقدم (۷)
 فأى ارتقاء بعدد أم أي سلم؟

«۱» طريق مجهل بفتح الميم لا يهتدى فيه ونهج معلم فيه علامة يستدل بها .

«۲» دوت سمع لها دوي أي صوت رمتن العلى طريقها الواضح . وقوله كزعزع ريح أي كريح شديد الهبوب تزعزع الاشياء ، والتيار الموج ، والعيلم البحر . «۳» طبق الارض أي غشاها وعمما بتطبيق أسرع من رفع اليد الى الفم اي في مدة يسيرة . «۴» التباشير أوائل الصبح التي تبشر به . وقد استعارها هنا للحقائق ففي الكلام استعارة بالكتابة حيث شبه الحقائق بالصبح وحذف المشبه به وذكر المشبه وأثبت له ما يلائم المشبه به على طريق الاستعارة التخيلية ، «هـ» لثمر خبر ليس مقدم ونقصها اسمها مؤخر وهو مصدر مضاف الى الضمير من اضافته المصدر الى فاعله وحق معدم مفعوله ، وكذا القول في قوله عربي بنحسه فضل اعجم . «۶» التقى جمع تقاة بمعنى التقوى ، اراد بهذا البيت والبيتين اللذين بعده ان يبين ان التقوى لا تنحصر بمثل الصلاة والصوم من الافعال التعبدية كما انها لا تنحصر بترك المحرمات في الدين فيكون معناها سلبياً بل هي تعم فعل كل حسن وترك كل قبيح . «۷» اللام في قوله لاولي النهى مفتوحة وهي لام الاستغاثه داخله على المستغاث به والمستغاث لاجله محذوف أي لهذا الامر .

ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم
فلا تنكروا شمس الحقيقة انها
علونا وكنتم سافلين فلم نكن
ولم نترك الحسنى او ان جدالكم
فلما استدار الدهر بالأمر نحوم
فلا تأمنوا الايام ان صروفها
رويداً فقد قارفتُم كل ماتم
لأظهر من هذا الحديث المرجم
لنبدي اليكم جفوة المتهمكم
وتلك لعمرى شيمة المتحلم
كشفتم لنا عن منظر متهمهم
كما هي إذ أودت بعساد وجرحهم

الجراثيم والانسان

تلعب الميكروبات دوراً كبيراً في حياتنا اليومية بحيث لا يستطيع الانسان أبداً ان يعيش بدونها مع ما يحيط به من عناصر فاذا أبعثنا الميكروبات تلاشى الانسان .

ويعيش كثير من الناس كل حياتهم دون أن يروا أي ميكروبات ولكني لا اعتقد انه فاتهم الكثير لعدم رؤيتهم له فاذا نظرت الى الميكروبات في المجهر فانك لا ترى الا خليطاً غريباً مما يبدو ككرات المطاط الصغيرة والسجائر الدقيقة ومضارب التنس وشجيرات متفرعة صغيرة فحولنا في كل مكان اعداد لا حصر لها من الانواع المختلفة من الميكروبات في التربة تحت أقدامنا وفي البحيرات والانهار والبحار وحتى في الهواء الذي نتنفسه .

وتستطيع ان تفحص بالمجهر أي شيء وسترى نوعاً ما من الميكروبات ولكنك طبعاً لن ترى نفس الميكروبات في كل مكان فهي تتفاوت كثيراً في مزاجها من حيث الطعام والمأوى وتختلف كثيراً في طرق تأثيرها فينا فمثلاً يلوث بعضها موارد مياهنا أو يتلف طعامنا او ملابسنا او مبانينا كما ان بعضها مسؤول عن الاوبئة التي اكتسحت البشرية طوال القرون . ولكنك من الناحية الأخرى لا يمكن ان تأكل خبزاً لذيذاً مستساغاً دون ان يتخمر بفعل الميكروبات وأمثال هذا كثير مما نسلم به دون ان نعرف اسراره .

ويمكنك في الواقع ان تقسم الكائنات المجهرية الى مجموعتين المجموعة النافعة والمجموعة الضارة .

ولقد تقدم العلم خطوات واسعة كما نعلم جميعاً نحو افناء الجراثيم المسببة للأمراض بالتطعيم والعلاج والمطهرات بينما استفادت الصناعة من الميكروبات النافعة وسخرتها في انتاج كثير من المواد المفيدة كما اننا نطبق معلوماتنا في (البكتريولوجيا) على الزراعة .

فنحن نعلم من البداية ان الجراثيم تعمل فعلاً في كل حقل وحديقة سواء اردنا ام لم نرد ولكن لو عرفنا كيف تعمل وانواع الاعمال المختلفة التي تؤديها وطريقة اداؤها لكل منها لأمكننا ان نشجع نمو الانواع التي تؤدي الاعمال المعينة التي نريدها فمثلاً لو خزنت كومة من جذافات الحشيش ومخلفات المطبخ في حديقتك فانها تتحول في النهاية الى مواد عضوية نافعة فتقوم الميكروبات بالعمل لخدمتك فالميكروبات هي التي تكمل حلقة الحياة في الطبيعة فلو ساعدت الميكروبات المسؤولة عن هذا بترطيب الكومة وتقليبها بين الحين والحين بتهويتها جيداً وباضافة بعض المواد الضرورية كلما لزم لاسرع حصولك على سماد عضوي جيد .

وهنالك مثال آخر انتاج العلف الدائم الخضرة يمكن للفلاح انتاج هذا العلف من الحشيش ولكن انتاجه من البرسيم او الحشيش الجبجباري لا يتم بنفس الجودة والسهولة اما اذا اضيف اليها العسل الاسود اثناء صنع العلف كنصيحة الاخصائيين فان السكر الموجود في العسل ينشط نمو بكتريا حمض اللبن وحمض اللبن مادة حافظة جيدة تساعد على الابقاء على خضرة العلف وطعمه الطازج وقيمته الغذائية .

وقد اكتشف حديثاً مبدأ جديد في حرب الميكروبات ينطبق على علاج بعض أمراض الانسان والحيوان على السواء فقد وجد ان بعض ميكروبات التربة تنتج مواد معنية بعضها سام للانسان وللحيوانات ولكن بعضها الآخر ليس ساماً على الاطلاق ويمكن استخدامه في علاج انواع من الامراض بنتائج مذهشة حقاً .

نسخة مجانية

وبدراسة الميكروبات المختلفة التي تعيش في التربة اكتشفت ان الميكروبات التي تسبب الكثير من الامراض للإنسان وللحيوان لا يمكنها ان تعيش هناك طويلاً ذلك لان الميكروبات النافعة تفنيها دائماً وبمعنى آخر ترفض التربة اخفاء المجرمين فلا تمنحهم حق الالتجاء .

وأوجد العلماء بيئات مناسبة لنمو الميكروبات النافعة وتمكينها من هذا النمو بالتغذية على الميكروبات المسببة للأمراض .

كما اكتشف العلماء مواد نافعة جداً في علاج بعض الامراض مثل التيروتربين والبنسلين والاستربتوميسين وهذه المواد سميت تبعاً لاسماء الميكروبات التي تنتجها وهي بكتريا تيروتريكس وعفن أخضر يسمى بنيسيليوم ومكروب يشبه العفن يسمى ستربتومايس وتزرع هذه الميكروبات في مزارع مناسبة ثم تنفصل المواد القاتلة للجراثيم التي تنتجها بطرق كيميوية مناسبة .

فالميكروبات عوامل المرض والعدوى ومسببات الأوبئة بين الشعوب التي تكون تغذيتها سيئة ولكن هناك ميكروبات اخرى في صفنا وهي تعمل من اجلنا في السلم كما كانت تعمل ضدنا في الحرب وبعض الميكروبات من أعظم أصدقاء الانسان .

من كتاب « العلم يزحف »
بتصرف

عاشقة السلام

نظرت الزهراء بيت اوس الى امها نظرة حائرة ثم سألتها في أسف الى متى تستمر هذه الحروب الطاحنة بين عبس وذبيان ؟ لقد قضيت من حياتي عشرين عاماً يا اماء وانا اسمع كل يوم عن فظائعها الرهيبة ما يعصر القلب ويشوي الضلوع .

فأطرقت الأم ساهمة ثم رفعت رأسها واتجهت الى ابنتها تقول :
- عشرون عاماً يا زهراء تسمعين عنها افجع الانبياء ، لي الله من بائسة حزينه ، فقد مر علي اربعون من السنين وانا اسمع كل يوم خبراً كارثاً ، فقد اخ او ابن عم او قريب او حبيب ، ثم لا اجد غير الدموع أبشاً شكواي . أنسيت يا زهراء اني امرأة من عبس احس بما يحسون من ارزاء ، ولكن الله لطف بي فتزوجت في طيء بعيدة عن مسرح الحوادث ومسبح الدماء .

ثم ترقرت دمعتان ساختان على خد الام فاضطربت الزهراء قليلاً لما اثارته في نفس والدتها من شجون . واستمسكت يديها الحازم ، فابتسمت في لطف مہذب ودنت من امها تقول في حنان : « هوني عليك يا اماء فلكل شيء نهاية وان طال » .

ولكن الام لم تنطق بشيء فاندفعت تسألها في رفق : ألا يوجد بين سادات العرب من له همة عالية من الرجال فيتقدم الى سراة عبس وذبيان فيحسم الخلاف بما له من سيطرة وجاه ، واذ ذاك تعود السيوف الى الاغمد وتلتئم الجراح .

فتأوهت ان يستمع هؤلاء واولئك الى عقل حصيف ؛ انهم اثاروا

نسخة مجانية

هذه الحرب الطاحنة في شيء نأفه لا يقام له حساب ، ولو كان لديهم
اثارة من تفكير متزن ما اشتعلت هذه النار الجاحمة اربعين عاماً بسبب
فرسين يتسابقان .

فضربت الزهراء بيدها على صدرها وقالت في تعجب : واحر قلباه
أشتعل الحرب اربعين عاماً بين عبس وذبيان بسبب فرسين يتسابقان ؟
وضحي الامر قليلاً يا اماء .

فمضت الام على شفيتها كالمثأمة وقالت في اكتئاب :

- تسابق فرسان هما داحس والغبراء في مضار ، فجاء احدهما سابقاً
فادعى القوم انه سبق عن مكيدة مدبرة . وتعصب له ذوره فاشتد الخلاف
الجدلي حتى افضى الى معركة دموية ، فسقطت جسوم وهوت رقاب ،
والتس كل موتور ثأره ، فامتد القتال هكذا سنوات وراء سنوات .

فقلبت الزهراء كفيها كالمتعجبة ثم قالت :

- ولماذا لا يذهب والدي اوس بن حارثة الى اصهاره في عبس ثم
يلتقي بأصدقائه في ذبيان او يدعو رؤوس الفريقين الى دياره ، فيعيد
الامن ويحسم الخلاف ، اما يعرف العرب جميعاً ان اوساً سيد العرب
وصديق النعمان ؟

- لقد جال بخاطري كثيراً ان اشير على ابيك بالسفارة بين القبيلتين
ولكني خشيت ان يظن بي الظنون ، فيعتقد اني جازعة حزينة لما اصاب
قومي في عبس ، واني ادفع بطيء جميعها الى حرب تعود عليها بالنكبات
فصاحت الزهراء :

- ابعدني عنك هذا الوهم يا اماء ، وسأصارع ابي الليلة بالأمر ولن
اعلمه شيئاً مما دار بيننا الآن ، وسأدفعه الى السفارة بين القوم دفعاً
لا هوادة فيه ، فيعود الأمن ويرفرف السلام .

رجع اوس بن حارثة الطائي مع المساء الى منزله فتصدر الملامن

طيء وجلس بين معشره يفض الخصومات ويشير بالرأي ، ثم ذبح الذبائح
وقدم الطعام لمن نزل بساحته من المتخاصمين والأضياف وجعل الحديث
يتنقل بين القوم من شجن الى شجن حتى انتصف الليل وتفرق الجمع
عن اوس شاكرين له كرمه الغامر ورأيه الحصيف ، فأوى الى خيمته
حيث اعتاد ان يهجع ، ولكنه فوجيء بالزهراء تنتظره على فراشه في
غير ميعاد ، فتقدم اليها في رفق وسألها في بشر وارتياح :

- ألك من حاجة يا زهراء ؟

فابتسمت الزهراء في حياء ثم قالت في هدوء :

- أنا انتظرك من أول الليل يا أبتاه فلم تأخرت هذا الأمد الطويل ؟
فنظر اليها اوس نظره حانية وقال :

- انها تكاليف السيادة يا زهراء ، لا بد أن اطعم الناس وأفصل
في الخصومات وأشير بالرأي ، فأجمع حولي الملائم من الأعمام والأخوان .
فرمقته الفتاة في حزم وصاحت في جراءة ثابتة :

- ليست هذه أبواب السيادة يا أبتاه ، هناك باب فخم مرتفع
لا يلججه غير الأبطال ...

ودهش الأب بما سمع دهشة آخذة ... فلم يعهد فتاته الحبيبة بتقديم
اليه باعتراض فسكت ملياً ثم نظر اليها نظرة عاتبة وهمس يقول :

- أي باب تعنين يا زهراء ؟

فبرقت عينها الساحرة بوميض نفاذ وقالت في حرارة صادقة :

- أبتاه انت تعلم ما بين عبس وذبيان من حرب أكلت الاخضر
واليابس وحصدت الجسوم والارواح وما زالت من اربعين عاماً متقدمة
اللهيب مندلعة الاوار ولن يطفئ سعيها المشتعل في العرب سواك .
فشخص اليها اوس متعجباً وسأل في حيرة :

- نحن من طيء فما لنا وغطفان ولماذا نتدخل في شؤون عبس

نسخة مجانية

وذبيان ؟

فصاحت الزهراء منفعة :

- أنت يا أبتاه سيد العرب جميعاً كما وصفك النعمان ولك الصوت المسموع بين القبائل والصيد الممتد في البطون والافخاذ فلماذا لا تشير بالصلح بين القوم فترجع بمجد الدنيا وعزة الاجيال .

فتحير اوس وكأنه لم يدر بما يجيب ثم أسلم نفسه الى التفكير لحظات حتى اذا اهتدى الى بعض الرأي قال وفتاته شاخصة اليه ترمق وجهه الجاد .
- بنيتي العزيزة أنا كما تعلمين صهر بني عبس وقلبي يميل اليهم دون بني عمومتهم من ذبيان ولئن سعيت في هذا الامر الشائك ليقولن الناس ان اوساً لا ينبغي خيراً للجميع ولكنه يميل مع عبس على ذبيان .
فقاطعت الزهراء تقول :

- وأنا أعرف ان لك مكانة في ذبيان وان أصدقاءك منهم ينهضون الى زيارتك بين الحين والحين ويمكثون لدينا أياماً بعد ايام فلماذا لا يجتمع لديك الاصحار والاصدقاء على كلمة سواء .

فحرك اوس رأسه كالمتردد وقال في همس وكأنه يحادث نفسه :
- ذلك مأرب عسير المنال .

فصاحت الزهراء كالمحتدة :

-- اي عسير يقف في وجهك يا أبتاه سر الى المجد من طريقه الفسيح فقد اتسعت أمامك الابواب .

فأدرك الاب ان الحديث سيمتد دون روية وتفكير فربت على كتف الزهراء وابتسم في هدوء ودعة ثم قال في عطف حنون :

- سأنهض بما تريدن يا فتاتي ، فهلمي الى مخدعك الآمن وسترين مني عن قريب ما تودين من السعي في نشر الامن وبعث السلام .

فاكبت الفتاة على يديه مقبلة ثم نهضت الى خيمتها الملاصقة وتركت

اباها وحده في خضم نائر من الافكار ، فلم يذق النوم لحظة واحدة حتى اسلمه الليل الى الصباح ولا يزال في سبحاته التائهة دون ان يرسو سفينه على شاطئ امين .

اشرقت الشمس ونهض اوس فاجتمع بالملأ من طيء وقدم لهم صحاف التمر واكواب اللبن فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ثم تفرق كل طائي الى سبيله ، وهم الرجل بالنهوض من حيث اعتاد :

- بالباب سيد ذبيان .

فسأل اوس متعجباً :

- اتعني الحارث بن عوف ؟

ومن يكون سواه ؟

فيخف اوس اليه مرحباً ... ويتصافح الرجلان في مودة ثم يجلسان في وقار واتزان .

واخذ اوس يفكر متثداً رزيناً فيما قدم من اجله الحارث فتمنى ان يكون مسعاه اليه ليتعاوننا معاً على حسم الخلاف بين القبيلتين ، فيحقق بذلك امنية الزهراء ، وجعل يقول في نفسه : « هذا سيد ذبيان وصاحب امرها المطاع واني لذو كلمة مسموعة في عبس ، ولئن وفقني الله واياه الى امرنا في حسم الحرب لنكونن عزة الابد ومفخرة الحياة . وقد توقع اوس ان يبدأ الحارث بالقول في هذا المجال ولكنه فاجأه بقوله دون تمهيد :

- جئتك يا اوس خاطباً فتاتك الزهراء .

فففر اوس فاه دهشاً ونظر اليه كمن انكر ما سمع من الانبياء . ففطن الحارث الى شعور صاحبه واسرع يقول في احتشام :

- أغضبت من امري معك يا اوس فتبدل بك الحال ؟

فملك اوس هدوءه قليلاً ثم قال :

- لم اغضب من امرك يا حارث ولكنك فاجاتني بما ليس في الحساب .

نسخة مجانية

فأطرق الحارث ملياً ثم قال :

- وهل فاجأتك بامر شاذ يستنكره الملاء أو واجهتك برغبة محمودة

تقوي الأواصر وتدني الوداد...؟

فسكت اوس ثم قال انني أعرف مكانتك العالية في العرب وجاهك

الأصيل في ذبيان ولكن الزهراء بعيدة المطامع واسعة الآمال .

فابتسم الحارث وقال .

- لدي جميع ما يرضي مطامعها البعيدة فلها ان تختار ما تشاء فhez

اوس رأسه قليلاً ثم قال :

- اتدري يا حارث انها اشترطت علي من يأتي لخطبتها ان يقوم

بالصلح الدائم بين عبس وذبيان ؟

فرفع الحارث رأسه وقال في حيرة :

- ما للزهراء والصلح بين عبس وذبيان ؟ متى كانت أمور الحرب

من خواص الفتيات والسيدات ؟

فأشرق وجه اوس كالمتفائل وقال في حنان :

ان الزهراء يا حارث من معدن خاص وهي تريد ان تكون زوجة

لسيد العرب وأمير الناس ولن تكون السيادة في رأيها بغير حسم الخلاف

ورأب الصدع ونشر السلام .

فسأل الحارث في تخابث :

- بربك يا اوس أهذا رأيك الخاص أم رأي الزهراء ؟

فرد اوس في لهجة حازمة :

اقسم لك يا حارث بكل عزيز وغال ان الزهراء كانت معي طيلة

الليلة الماضية تتحدث في الحرب بين عبس وذبيان وتسالني ان اجمع

الشمم واضمد الجراح ثم لم تنصرف الي مخدعها حتى وعدتها وعد الصريح

الصادق ان أقوم بنشر السلام وكان الله قد هون علي الامر فجاءني في

الصباح سيد ذبيان .

فسطع البشر في وجه الحارث وصاح :

- ان الزهراء فيما يبدو من الرأي عاقلة حازمة ذات وهمة ثابتة وطموح
مشرئب واني لأرجو ان تنجب لي خير الابناء واشجع الولدان وهانذا
اعاهدك ان أبذل ما لدي من مال وعتاد وجاه في السعي الحريص بين
الفريقين لأكون سيد العرب كما تود الزهراء .

فصاح اوس في فرحة ظافرة :

- وقد قبلت خطبتك وساعلتها للناس .

فتراجع الحارث يقول :

- أفلا تنتظر يا أوس حتى اسير الى بني قومي في ذبيان فاحقق

السلام المنشود كما ترغب الزهراء ؟

فتدارك اوس يقول :

- وعد الحر دين يا حارث ، وقد وثقت بقولك الصادق مطمئناً الى

شرفك ومروءتك وانك صهري من الآن ، وستسير معك زوجتك من
طيء الى نجد حيث تحل في ذوي دمك من ذبيان بعد ان تفرغ من
ولائم العرس ودعوة الشيوخ في امد قريب لا يتجاوز الاسبوع ان تيسر
الحال .

سار العروسان عن مضارب طيء الى منازل غطفان ، وقد سعد الحارث

بما لمسه في زوجته الأبية من سمة عالية ونخوة شماء يقل نظيرها في
الرجال .. وكانت تبادل الرأي في أفانين الامور فتسفر عن بديهة صائبة
وبصر نفاذ . وكان الحديث لا ينقطع عن الصلح المرتقب بين عبس
وذبيان ، فجعلت تذلل العقبات وتسهل على الحارث ما يعترضه في طريق
السلام نافثة فيه من روحها المتوثبة وحميتها المتقدمة ما شغل خاطره وملاً

نسخة مجانية

اقطار تفكيره فكان يخلو الى نفسه فيقول في تساؤل : ومن لي بالمال الكثير الذي يكفي ديات القتلى من الفريقين وقد دامت الحرب اربعين عاماً وهي لاتذر من شيء اتت عليه ، ثم يلتفت بتفكيره التفاتة اخرى فيخيل انه رزق المال الوافر فتحمل ديات القتلى بين الخصمين المتنازعين وسار له في القبائل ذكر رنان ، اذ هتفت العقائل في الخدور بآثره ، وترنم الشعراء في الاندية بأياديه ، وتناقل الشباب في مطارح سمرم آيات نبه وروائع أريجيته ؛ وإذ ذاك يصبح سيد العرب عن جدارة واستحقاق . ومهما يكن من شيء فقد فكر الحارث وقدر حتى هداه عقله الى صديقه الماجد الثري هرم بن سنان ، فعرض عليه ان يشترك معه في تحمل الديات وبذل المال فيسير لهما الذكر المحمود في القبائل ، ويتناقل الناس خارقتهما النادرة كما يتناقلون اعذب الاساطير واجمل الاحلام . وكان في هرم همة وشهامة ولديه مال وجاه ، فاجاب دعوة صديقه عن رغبة صادقة وشوق طمّاح ، ثم اصغى الى هواتف نفسه وكوامن هواجسه فرأى المجد يفتظره عن قريب فهو يفتح ذراعيه ابد الدهر لكل اريحي مسمّاح .

وكان الفريقان من ذبيان وعبس قد سثموا احوال النزال واكلتهم السنون بكوارثها المبيدة وقحطها الجديب وانتزاعها زهرات شبابهم الناضرة دون امهال ، فما ان سمعوا داعي الصلح حتى اجابوه في لهفة وحنين . وقدرت الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير تقدم على ثلاثة اقساط فتكفل بها السيدان الماجدان عن نفس راضية وقلب جذلان ... ودقت الطبول مؤذنة بانتهاء الحرب ، فعلت الزغاريد وهتفت البشائر وتوافدت العرب على مجلسي الحارث وهرم يهنئونها تهنئة المعجب الشكور ، واطلت الزهراء من خدرها الممنع فرأت زوجها الحارث يجلس في معشره مرتقع الهامة بسام الثغر مشرق الجبين ، وطوائف البدو تمر بين يديه مصافحة وعن

يمينه صديقه هرم يتلقى واياه تهنئات النصر في بهجة شاملة وفرح صخاب
ثم وقف الشاعر زهير بن ابي سلمى فألقى معلقته الرنانة واتجه بالحديث
الى السيدين الكريمين فقال :

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
فاصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها عن عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم
وما كاد يفرغ من انشاده حتى تناول شعره الرواة وهتفت به الشفاه
فتردد كل مكان وسارت به الركبان .

وانتقل الحارث تياهاً فخوراً الى بيته ، فقابلته الزهراء بابتسامة خالبة
وسمعا تهمس في رقة خلوب : « هنيئاً لك يا صاحب المجد العظيم » .
فرد الحارث في لطف رقيق : « بل هنيئاً لي بك يا ملهمة المجد
وباعثة الامل وعاشقة السلام » .

محمد رجب البيومي

واجب الشباب

الشباب هم عتاد^(١) المستقبل وعماده ، فعليهم أهم الواجبات وأجلها خطراً وأعظمها عناء ومشقة .

من أجل ذلك كان من الحق علينا ان تبين لهم كيف يعدون أنفسهم للنهوض بهذه الواجبات والاضطلاع بها كما توجهه مصلحة الوطن ويستدعيه البر به والوفاء له .

ان اول ما يفرض على النشء من هذه الواجبات هو العناية بأجسامهم فسلامة الجسم عادة شرط لازم لكمال الحياة الخلقية والعقلية . وكال النفس هو الغاية من العناية بالجسم فالنفس غاية والجسم وسيلة . ومعنى هذا ان مراعاة صحة الجسم من أوجب الواجبات اذ ان اختلال القوى الجسمية مؤد الى اختلال القوى الخلقية لانها مترابطة فيما بينها والانحلال الطبيعي يجر الى انحلال القوة المدركة والادارة ويحول دون القيام ببعض الواجبات للنفس والجماعة ولذلك كانت الرياضة البدنية واجباً ايضاً لتقوية القوة الجسمية ونموها .

يقول علماء الاصول « ان ما لا يتم الواجب الا به كان واجباً » واذا كان الانسان لم يخلق في هذا العالم الا لقيامه بالحقوق التي القيت على كاهله^(٢) وكان قيامه بها لا يتم الا بالجسم الصحيح - كانت الصحة والقوة وتوفرهما مما يجب على الانسان بالطبع ليتمكن من قيامه بما عليه من الحقوق المذكورة وهو مفعم^(٣) قوة ونشاطاً ، مستكمل الأهبة^(٤) لأدائها على خير وجوها وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « نفسك

(١) عدة . (٢) مقدم اعلى الظهر الى العنق . (٣) ممتلئ . (٤) العدة .

مطيتك فارفق بها» ويقول «ان لبدنك عليك حقا» وجاء في الحديث الشريف ايضاً - رداً على من ينسب نجاحه واخفاقه في اموره للقدر «الدواء من القدر وقد ينفع باذن الله» .

فتأمل كيف نبه الى حفظ العقيدة مع بيان ان الدواء سبب وان الاسباب من جملة القدر الإلهي الخفي عنا وإنما يتجلى لنا أثر القدر في مظاهر سنن هذا الكون وقوانينه العامة وارتباط أسبابه بمسبباته فهي التي ان راعيناها - مع استنباط العقيدة وسلامتها - كانت تأثيراتها الظاهرة فينا هي أحكام القدر الذي كان خفياً عنا .

ومن ذلك يتبين قيمة التعلل بالقدر في ترك الأسباب وإهمالها والتعرض للأمراض وأهوالها .

ولولا خوف الإطالة في هذا المقام لأوردنا كثيراً مما جاء عن الشرع حثاً على صون الاجسام مما يفتك بها .

وحسبنا ان نذكر النشء بقوله صلى الله عليه وسلم «إِجْتَنِبُوا النِّخْمَرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ» وقوله عليه الصلاة والسلام «سَافِرُوا تَصِحُّوا» .

فمن هذين الحديثين الشريفين يتبين مبلغ حرص الشارع على حفظ الاجسام وصونها مما يردبها^(١) ويجعلها فريسة للأمراض غير صالحة للقيام بما هيا الله له من شتى الأعمال والتكاليف .

ومما يتصل بها مما يجب على النشء صون انفسهم وعدم اتلافها ولذلك كان الانتحار جناية عظيمة ومعصية من اكبر المعاصي قضاء على الحياة الخلقية اللاصقة بالانسان الذي تلقى عليه واجبات لا مناص^(٢) منها كالصبر والمجاهدة واحتمال الاذى والدأب في سبيل العلاء .

والانتحار فوق ذلك فرار من واجبات المجتمع وعدوان على حياته

المطالعة الثانوية ١ - ث ٩

«١» يهلكها . «٢» لا ملجأ ولا مفر .

لان المنتحر انما يقتل في شخصه عاملاً من عوامل حياة المجتمع ويصدع بنائه وفي هذا يقول الله تعالى « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا » .

ومن الواجبات على الشباب والنشء منع الشهوات الدنيئة ان تتولد فيهم ومحو كل أثر للعسد والاثرة^(١) واحلال العواطف الشريفة محلها كمحبة الاهل والأقارب وحسن المعاشرة ومحبة الخير والعلم .

ومن أبرز الواجبات ان يعمل النشء على تقوية الارادة في أنفسهم فمعيار قيمة الرجل ارادته لانه اذا سلب عقله قيل عنه ابله واذا غيض معين الرحمة فيه قيل عنه لئيم واذا تجرد عن الارادة فهو ليس بانسان ، ذلك بان كثيراً من البائسين علتهم في أنفسهم وهي ضعف الارادة فلا يعرفون كيف يقفون في صفوف الجهاد الحيوي بل يجدون من رحمة الناس بهم ما يحسبونه عيشاً رغيداً لهم فلا يعملون ولا يسعون كما يسمى اولو الارادة وذلك سبيلهم الى البؤس والرذيلة .

ومن الضعف ان يرهب^(٢) الانسان الصعاب من بعيد ، فانه اذا اقترب منها صغرت في عينيه وربما احمى واختفت .
ومن اجل ذلك وجب العمل بالقاعدة الآتية :

« اقدم على عمل ما تريد ، واشعر نفسك القدرة عليه » فان الثقة بالنجاح عين النجاح ، لان المصاعب والحوائل تتساقط امام العقول المشحوذة الصابرة ، فهي تعمل لقمهرها كما يفعل الماء في الصخر .

لا ريب ان تقوية الارادة يكسب الانسان استقلالاً . والرجل المستقل حقاً هو ذو العزم وذو المبادئ القوية التي يلازمها وتلازمه لا يضحى منها بشيء لاي سبب كان حتى النهاية ، وهو الذي يضم بين جوانحه نفساً

«١» الاستبداد بالشيء . «٢» يخاف .

قوية يشعر بها انه اعلى مكانة من كل حادث واعز منزلاً من المخاوف وارفع مقاماً من ان تنزله الوعود عن سدة كرامته الشخصية وهو الذي يعمل الواجب دون نظر الى ما يكون بعد .

وهو الذي لا يعتد بالشهوات الباطلة وهو الذي يعقل ما يلميه عليه عقله وضميره وهو الذي لا ينحدر مع تيار الحوادث بل يناضل ويقاوم ما دام الحق مهيناً والعدل مهيباً^(۱) ولا يثنيه نجاح الباطل وانتصاره هذا الاستقلال في الرأي لا غنى عنه للقاضي لان عمله اصدار احكام لا اسداء منن ، اذ انه رجل عدل يجعله ميزانه ورائده لا رجل سلطة وبطش يذل بقهره وجبروته^(۲) .

وهذا الاستقلال الذي ندعو اليه لا يتعارض مع الخضوع والطاعة للقانون لان القانون مظهر الحقيقة والعدل والنظام ، فالخضوع له واجب ولا منافاة بين اداء الواجب وروح الاستقلال .

ومن الواجبات الهامة ان يجتهد النشء في تكميل انفسهم فيختاروا المهن المشروعة ليكسبوا عيشهم حتى لا يصيروا عيالا على المجتمع . ففي العمل المشروع فائدة ذات شأن لبدن الانسان وعقله ونفسه ، وما البطالة والكسل الا رذائل لها خطرهما على المجتمع . قال احد علماء الاخلاق : « ان البطالة شر من الرذيلة لا بل هي ام الرذائل . واذا كان من الواجب ان يبتعد الانسان عن ذوي الامراض المعدية فالأوجب ان يتجنب معاشره ارباب المفاسد » .

ولو نظرنا مثلاً الى حكم الطب في شرب الخمر وتعاطي المخدرات والتهالك على الشهوات لألفينا انه هو حكم الاقتصاد الاجتماعي في المقامرات والمضاربات والاسراف والتبذير فكلا العاملين ينذر بالويل^(۳) والخراب . ولذلك كان من الواجب على النشء - لشرف انفسهم وفائدة امتهم -

« ۱ » غير محافظه عليه ولا مراعي . « ۲ » عسف وظلم . « ۳ » الهلاك .

ألا يجنحوا^(۱) الى السكر والاسراف في الشهوات حتى لا تنهدم اجسامهم وتفسد حياتهم ، فيكم من تعساء اوقعتم شهوات نفوسهم في هذه الخمر بتزيين بعض الحمقى من دعواتها او بغواية بعض رفقاء السوء فراحوا ضحية تلك المفسدة التي حرمتها اكثر الشرائع واثارت عليها مواضع المجتمعات الراقية .

ومن الواجب عليهم ان يخلصوا في معرفة انفسهم فلا يعتقدوا البراءة من العيوب حتى لا يغتروا بانفسهم فتفتت همهم ، بل يجعلوا مقصدهم طلب الكمال ما وجدوا الى ذلك سبيلاً ، وألا يجعلوا للمغالطات التي تخرجهم عن حد القانون الادبي مكان القيادة من نفوسهم وخواطيرهم ، وبذلك تصبح ضمائرهم خيرة نقية صائبة الاحكام ، وتسمو نفوسهم عن الكبر والعناد والصلف^(۲) لان ادعاء معرفة كل شيء وجهل كل شيء سيان في كونها من علامات ضعف العقل والنحطاط الخلق .

وان انبل واجب على النشء ان يعملوا على عظمة وطنهم ، فهي غاية كل وطني ، وان اثمًا دونه كل اثم ان ينصرف ابناء الوطن عن القيام بحقوقه قانعين من الوطنية بالفخار بما سلف من اخباره ، والتباهي بما درس من آثاره . فما الوطنية الا تلك العاطفة التي تزجي^(۳) في نفوسنا حب الوطن وتحمس ابلغ جهودنا وانبل مساعينا لخيره والعمل لمجده .
واذا كان للوطنية الصادقة مصادر كثيرة ، فان احلاها واوضحها الشعور بالواجب الوطني فهو مادة القومية الحق .

لذلك وجب على النشء - وهم ذخر المستقبل - ان يؤثروا وطنهم بكل ما اوتوا من جهد وقوة وان يخلصوا له الحب ، ففي رفعة الوطن رفعتهم وفي ذله وشقائه ذلهم وشقاؤهم .

ورفعة الوطن تجيء من طريق التعاون مع سائر الافراد على العمل

(۱) يميلوا . (۲) التمدح بالباطل والعجب والكبرياء . (۳) تدفع دفعا رقيقا .

لتنمية ثروته المادية والادبية ولا يتهباً ذلك الا اذا قام كل امرىء بواجبه جهد الطاقة .

اما الابناء فبالتوافر على الجد في تحصيل العلوم وحذق الفنون واما الآباء فبالعمل على ترقية اسرهم وتهذيب ابنائهم وتدريبهم على الفضائل وأخذهم بمحمود الخلال .

وأما الحكام فبالسهر على مصالح الشعب وأخذه بالعدالة وقضاء مصالحه - على انها واجب عليهم لا منة يسدونها اليهم واستئصال شأفة^(۱) الذين يتخذون جاههم ومناصبهم وسائل لابتزاز اموال الناس بالباطل حتى لا يستشري^(۲) الخطب ويستفحل^(۳) الداء وفي ذلك الدمار والخراب .

واما جمهور الامة فباحترام القوانين والتزام حدودها والتماس الحقوق من أبوابها دون التجاء الى وساطة وشفاعة أو رشوة أو هدية .

ومن اول الواجبات العمل بأوامر الدين واجتناب نواهيه لان لكل دين من الاديان تكاليف وواجبات تكفل حفظ مظهره وتبسط سلطانه في الناس . وجلي ان أوامر الدين الاسلامي - من صلاة وصيام وحج وزكاة وما الى ذلك - اعلام خفاقة تهوي اليها النفوس وتنظم حولها القلوب فتدنو من رعاية الله وتقرب من حماه وفي ذلك عصمة لها وتطهير لها من الرذائل والنقائص .

واذا كان كل من ينتسب الى عظيم يحمل شارته^(۴) ويفاخر الناس بنبالتة فما أجدر المسلم ان تكون سمات الاسلام اظهر شيء لديه ثم هي طهارة للنفوس وتهيئة للكمال .

فالصلاة تغسل ادران^(۵) الشيطان من نفس الانسان وتعوده الخير والتواضع وتحول بينه وبين المحظورات^(۶) قال تعالى : إن الصلاة

(۱) الاصل واستأصل شأفته : ازاله واذهبه . (۲) لا يستطيع ويعظم . (۳) يكبر ويعظم . (۴) علامة . (۵) اوساخ واقذار . (۶) ما حرم الله قربانها .

تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وكذلك بقية التكاليف تذكر الانسان بعظمة ربه وترسم أمام ناظره الحلال والحرام فيعرف ما يأخذ وما يدع وليس هناك دين من غير عمل فالمسلمون القائمون باسم الاسلام دون العمل بأوامره حرموا انفسهم موارد السعادة ومكنوا الغريزة الجامحة ان تغلب على عقولهم اذ لا تجد من جنود الدين الروحية حاجزاً وقائداً حكيماً يهديها سوي السبيل .

ومما يجب علي النشء ان يحترموا شعور غيرهم فليس لاحد ان يجرح شعور غيره بشتم او سخرية او استهزاء بكلام غليظ لمنافاة ذلك للعدل والانصاف اللائقين بأمثاله في مرتبة البشرية ومثل ذلك احترام شرف الاشخاص وسمعتهم فانها اغلى ما يملك وأثن فقد جاء في الامثال « طيب السمعة خير من نطق من ذهب » .

ويقع الاعتداء على سمعة المرء بالغيبة والوشاية والقذف والشتم والتشنيع والتبليغ والنميمة ونقل الكلام .

اما الغيبة والوشاية فذكر عيوب الانسان في غيبته فاذا كانت العيوب حقيقة فهي غيبة في رأي علماء الاخلاق وان كانت مكذوبة او ملفقة فهي افتراء والغيبة والافتراء من الرذائل الخسيسة وكل منها يزرى بسمعة المذموم ، وسمعته بلا ريب اثن من حياته .

وأما القذف - وهو ذكر السيئات والعمل على نشرها بالصحف وغيرها فمحرم ولو كان حقاً لان كل انسان له الحق في المحافظة على سمعته وإن كان جانباً وفي استطاعته اصلاح هفوته ما دامت مستورة ولا ريب في ان الذي ارتكب هفوة مستورة ثم ندم وأصلح من نفسه خير لنفسه وللمجتمع من ضياع سمعته لهفوة قد لا تستحق هذا العقاب الخطير .

ومن المؤكد ان اداء الشهادة امام القضاء وتبليغ الجرائم التي شاهدها الانسان او علم بها لرجال السلطة سواء اوقعت على الانسان ام غيره

واجب من اكبر الواجبات ولا يختلط امرها بالقذف بحال من الاحوال
ولا محيص^(١) عن واجب التبليغ كلما تعرض العدل او الحق للخطر او
الضرر او كان كتمان الحقيقة يقضي الى الاضرار بالحكومة او طائفة او فرد .
ومن خير واجبات النشء ان يحولوا بين الناس وبين ارتكاب الجرائم
لان الناس جميعاً متوائمون في الحياة فمن الواجب المحتوم على الشبان
اعتبار كل اعتداء على الحق والعدل في شخص احدهم اعتداء على انفسهم
لان الحق ملك للجميع على السواء ومن واجب كل انسان ان يدافع
عنه في سبيل المجتمع ومن واجب المجتمع ان يدافع عنه في سبيل كل فرد .
فمن أي اعتداء على انسان ضعيف وكان ذلك الاعتداء على روحه
او جسمه بقوة او اكراه او تجاوز حدود السلطة، حق عليه الدفاع عن
ذلك الضعيف المقهور ، وان سكت عد جانياً شريكاً للمتعمدي ومن علم
ان مجرمًا او سيء السمعة يسعى لتولي عمل ما في مصالح الحكومة وجب
عليه اظهار امره لحماية الحكومة والشعب من شره وان احجم كان جانياً .
ولا تعد النميمة من باب التبليغ وهي نقل الكلام الى من قيل في حقه
بقصد الاضرار بالمتكلم او بذر الشقاق بين الاصدقاء ، او تكدير صفو
الأسر او وقوع الاضطراب والانقسام والتقاطع بين الناس .
ومن أجل ذلك يقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن
جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ
فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » .
ذلك قلّ من كثر مما يجب ان نلقيه على مسامع النشء ليكونوا على
بينة من امرهم في الواجبات التي تستلزمها حياتهم قال تعالى .
« وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » .

الحرية

استيقظت فجر يوم من الايام على صوت هرة تموء^(١) بجانب فراشي وتمسح بي وتلح في ذلك الحاحاً غريباً فرايني امرها وأهمني همها وقلت لعلها جائعة ، فنهضت واحضرت لها طعاماً فعافته وانصرفت عنه فقلت لعلها ظمآنة فأرشدتها الى الماء فلم تحفل به ، وانشأت تنظر الى نظرات تنطق بما تشتمل عليها نفسي من الآلام والاحزان ، فأثر في نفسي منظرها تأثيراً شديداً حتى تمنيت ان لو كنت سليمان افهم لغة الحيوان لأعرف حاجتها وافرج كربتها . وكان باب الغرفة مرتجماً فرأيت انها تطيل النظر اليه وتلتصق بي كلما رأته اتجه نحوه ، فأدركت غرضها وعرفت انها تريد ان افتح لها الباب ، فاسرعت بفتحه ، فما وقع نظرها على الفضاء ورأت وجه السماء حتى استحالت حالتها من حزن وهم الى غبطة وسرور وانطلقت تعدو في سبيلها ، فعدت الى فراشي واسلمت رأسي الى يدي وانشأت افكر في امر هذه الهرة واعجب لسانها واقول ليت شعري هل تفهم الهرة معنى الحرية فهي تحزن لفقدانها وتفرح بلقيها ، اجل انها تفهم معنى الحرية حق الفهم ، وما كان حزنها وبكاؤها وامساكها عن الطعام والشراب الا من اجلها ، وما كان تضرعها ورجاؤها وتمسحها والحاحها الا سعياً وراء بلوغها .

وهنا ذكرت ان كثيراً من اسرى الاستبداد من بني الانسان لا يشعرون بما تشعر به الهرة المحبوسة في الغرفة والوحش المعتقل في القفص والطيور المقصوص الجناح من ألم الاسر وشقائه ، بل ربما كان بينهم وبين

(١) المواء : صوت الهرة .

من يفكر في وجه الخلاص او يتلمس السبيل الى النجاة مما هو فيه بل ربما كان بينهم من يتمنى البقاء في هذا السجن ويأنس به ويتلذذ بآلامه واسقامه .

من اصعب المسائل التي يحار العقل البشري في حلها ان يكون الحيوان الاعجم اوسع ميداناً في الحرية من الحيوان الناطق ، فهل كان نطقه شؤماً عليه وعلى سعادته ؟ وهل يجعل به ان يتمنى الخرس والبله ليكون سعيداً بحريته كما كان سعيداً بها قبل ان يصبح ناطقاً مدركاً !

يخلق الطير في الجو ويسبح السمك في البحر ويهم الوحش في الاودية والجبال ويعيش الانسان رهين المحبسين ، محبس نفسه ومحبس حكومته من المهد الى اللحد .

صنع الانسان القوي للانسان الضعيف سلاسل واغلالاً وسماها تارة ناموساً واخرى قانوناً ليظلمه باسم العدل ويسلب منه جوهرة حريته باسم الناموس والنظام .

صنع له هذه الآلة الخفيفة وتركه قلقاً حذراً مروع القلب مرتعد الفرائص يقيم من نفسه على نفسه حراساً تراقب حركات يديه وخطوات رجله وحركات لسانه وخطرات وهمه وخياله لينجو من عقاب المستبد ويتخلص من تعذيبه فويل له ما اكثر جهله وويح له ما اشد حقه ؟ وهل يوجد في الدنيا عذاب اكبر من العذاب الذي يعالجه ؟ او سجن اضيق من السجن الذي هو فيه ؟

ليست جناية المستبد على اسيره انه سلبه حريته بل جنايته الكبرى عليه انه افسد عليه وجدانه فأصبح لا يحزن لفقد تلك الحرية ولا يذرف دموعاً واحدة عليها .

لو عرف الانسان قيمة حريته المسلوقة منه وأدرك حقيقة ما يحيط بجسمه وعقله من القيود لمات كما يموت البلبل اذا حبسه الصياد في القص

نسخة مجانية

وكان ذلك خيراً له من حياة لا يرى فيها شعاعاً من أشعة الحرية ولا
تخلص اليه نسمة من نسماتها .

كان في مبدأ خلقه يمشي عرياناً او يلبس لباساً واسعاً يشبه ان يكون
مظلة تقيه لفحة الرمضاء او هبة النكباء فوضعه في القباط كما يضعون
الطفل وكفوه كما يكفون الموتى وقالوا له هكذا نظام الازياء .

كان يأكل ويشرب كل ما تشتهي نفسه وما يلتئم مع طبيعته فحالوا
بينه وبين ذلك وملأوا قلبه خوفاً من المرض او الموت وابوا ان يأكل
او يشرب الا كما يريد الطبيب وأن يتكلم او يكتب الا كما يريد الرئيس
الديني او الحاكم السيامي وان يقوم او يقعد او يمشي او يقف او
يتحرك او يسكن الا كما تقضي به قوانين العادات والمصطلحات .

لا سبيل الى السعادة في الحياة الا اذا عاش الانسان فيها حراً مطلقاً
لا يسيطر على جسمه وعقله ونفسه ووجدانه وفكره مسيطر إلا ادب النفس .
الحرية شمس ويجب ان تشرق في كل نفس فمن عاش محروماً منها
عاش في ظلمة حالكة يتصل اولها بظلمة الوهم وآخرها بظلمة القبر .
الحرية هي الحياة ولولاها لكانت حياة الانسان اشبه شيء بحياة الشعب
المتحركة في ايدي الاطفال بحركة صناعية .

ليست الحرية في تاريخ الانسان حادثاً جديداً او طارئاً غريباً وانما
هي فطرته التي فطر عليها منذ كان وحشاً يتسلق الصخور ويتعلق
بأغصان الاشجار .

ان الانسان الذي يمد يديه لطلب الحرية ليس بمتسول ولا مستجد انما
هو يطلب حقاً من حقوقه التي سلبته اياها المطامع البشرية فان ظفر بها
فلا منة لمخلوق عليه ولا يد لأحد عنده .

المنفلوطي

عمر وجبلة

روي ان جبلة^(١) بن الأيهم بن ابي شمر الغساني لما اراد ان يسلم كتب الى عمر بن الخطاب من الشام يعلمه بذلك ويستأذنه في القدوم عليه فسر بذلك عمر والمسلمون فكتب اليه : ان اقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا .

فخرج جبلة في خمسمائة فارس من عك وجفنة فلما دنا من المدينة البسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرط ماريه - وهي جدته - ودخل المدينة فلم يبق بها احد الا خرج ينظر اليه حتى النساء والصبيان ، فلما انتهى الى عمر رحب به وادنى مجلسه ! ثم اراد الحج فخرج معه جبلة .

فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطىء على ازاره رجل من بني فزارة فحله ! فالتفت اليه جبلة مغضباً فلطمه فهشم انفه فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب فبعث اليه فقال : انه وطىء ازارى فحله ولولا حرمة البيت لضربت الذي فيه عيناه^(٢) فقال له عمر : اما انت فقد اقررت فأما ان ترضيه والا اقدته منك . قال : أتقيده منى وانا ملك وهو سوقة ! قال عمر : يا جبلة انه قد جمعك واياه الاسلام فما تفضله بشيء الا بالتقوى والعافية ! قال جبلة : والله لقد رجوت ان اكون في الاسلام اعز منى في الجاهلية ! قال عمر : دع عنك هذا فأذك ان لم تُرض

(١) جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام عاش زمناً في العصر الجاهلي ، واما ظهر الاسلام اسلم في أيام عمر ، ثم ارتد وعاد الى الشام ومنها الى القسطنطينية حيث اقام عند هرقل الى ان توفى سنة ٦٤١ . (٢) رأسه . نسخة مجانية

الرجل اقدته منك ! قال جبلة : اذن انتصر ! قال : ان تنصرت ضربت عنقك ! واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فيكادت تكون فتنة . فقال جبلة : أخرجني الى غد يا امير المؤمنين . قال : ذلك لك .

ولما كان جنح الليل خرج جبلة واصحابه من مكة وسار حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر واقام عنده واعظم هرقل قدوم جبلة وسر بذلك واقطعه الاموال والارضين والرباع^(١) وجعله من محدثيه وسماه . فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا^(٢) الى هرقل يدعوه الى الاسلام واجابه الى المصالحة على غير الاسلام اراد ان يكتب جواب عمر وقال للرسول : القيت ابن عمك هذا الذي ببلدنا - يعني جبلة - الذي اتانا راغباً في ديننا ؟ قال : ما لقيته ، قال : القه ثم ائتني اعطك جواب كتابك .

وذهب الرسول الى باب جبلة فاذا عليه من القهارة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل . قال الرسول : فلم أزل اتلطف في الاذن حتى اذن لي فدخلت عليه فرأيت رجلاً اصهب^(٣) اللحية ذا سبال^(٤) وكان عهدي به اسم اسود اللحية والرأس ، فنظرت اليه فأنكرته فاذا هو قد اتى بسحالة^(٥) الذهب ، فذرها في لحيته حتى عاد اصهب وهو قاعد على سرير من قوارير^(٦) قوائم أربعة أسود من ذهب . فلما عرفني رفعتني معه الى السرير ورحب بي ولامني على تركي النزول عنده ثم جعل يسألني عن المسلمين فذكرت خيراً وقلت : اضعفوا^(٧) اضعافاً على ما تعرف قال : كيف تركت عمر بن الخطاب ؟

(١) الرباع : جمع ربع ، الدار .

(٢) هو جثامة بن مساحق الكناني . (٣) الصهبة : حمرة يعملوها سواد . (٤) السبال جمع

سبلة وهي ما على الشارب من الشعر . (٥) السحالة : ما سقط من الذهب والفضة ونحوها اذا

بردا (٦) القوارير : شجر تعمل منه الرحال والموائد . والقوارير : من الزجاج ايضاً .

(٧) اضعف الشيء : زيد على اصله فيجعل مثلين او اكثر .

قلت : بخير . فرأيت الغم قد تبين فيه لما ذكرت له من سلامة عمر .
ثم انحدرت من السرير فقال : لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها ؟ قلت :
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال : نعم صلى الله
عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال بعلام قدمت . فلما سمعته
يقول : صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت : ويحك ! يا جبلة الا
تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله ! قال : ابعده ما كان مني ؟ قلت :
نعم . قد فعل رجل من فزارة اكثر مما فعلت : ارتد عن الاسلام
وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل ذلك منه
وخلفته بالمدينة مسلماً . قال : ذرني من هذا ان كنت تضمن لي ان
يزوجني عمر ابنته ويولينني الإمرة بعده رجعت الى الاسلام . قال :
ضمنت لك التزويج ولم اضمن لك الامرة قال : لا .

فأوما الى خادم بين يديه فذهب مسرعاً فاذا خدم قد جاءوا يحملون
الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة
وقال لي : كل . فقبضت يدي وقلت : ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن الاكل في آنية الذهب والفضة فقال . نعم صلى الله عليه
وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما احببت . واكل في الذهب والفضة واكلت
في الخليج^(١) .

فلما رفع الطعام جيء بطساس^(٢) الفضة وأباريق الذهب ، واوما الى
خادم بين يديه فمر مسرعاً فسمعت حساً فالتفت فاذا خدم معهن الكراسي
مرصعة بالجواهر ، فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ثم سمعت
حساً فاذا عشر جوار قد اقبلن مطمومات^(٣) الشعر متكسرات في الخلي

«١» الخليج : الجفنة . «٢» الطساس : وهو الطس وهو الطست . «٣» صمت شعرها :
عقصته وهو مطموم والعقص : ان تأخذ المواة كل خصلة من شعرها فتلويها ثم تعقدها حتى
يبقى فيها التواء ثم ترسلها .

عليهن ثياب الديباج فلم أر وجوهاً قط أحسن منهن ، فأقعدهن على الكراسي ،
عن يمينه ، ثم سمعت حساً فاذا عشر جوار أخرى فأجلسهن على الكراسي
عن يساره ، ثم سمعت حساً فاذا جارية كأنها الشمس حسناً وعلى رأسها
تاج وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفي يدها اليمنى (١) جامة
فيها مسك وعنبر وفي يدها اليسرى جامة فيها ماء ورد فأومأت الى الطائر
فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم أومأت اليه فطار حتى نزل
على صليب في تاج جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه ،
وضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجواري
التي عن يمينه فقال : بالله أطربيني . فاندفعن يتغنين وهن يخفقن بعيدانهن
ويقلن (٢) :

لله در عصابة نادمتهم يوماً يخلق (٣) في الزمان الاول
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل (٤)
اولاد جفنه حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يفشون حتى ما تهر كلابهم (٥) لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانواف من الطراز الاول
فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : أتدري من قائل هذا ؟ قلت
لا ، قال : قائله حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم
التفت الى الجواري اللاتي عن يساره فقال : بالله ابكيننا . فاندفعن يتغنين
وهن يخفقن بعيدانهن .

فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على خديه ثم قال : أتدري من
قائل هذا الذي تغنين به ؟ قلت : لا أدري قال : حسان بن ثابت ثم

(١) انا، من فضة . (٢) الشعر لحسان بن ثابت . (٣) جلق : دمشق . (٤) البريص :
نهر بدمشق وبردى نهر بدمشق ايضاً ، وتصفيق الشراب : مزجه . الرحيق : الحمر . سلسل :
لبن . (٥) تهر كلابهم : هرير الكلب : صوته دون النباح .

انشأ يقول :

تنصرت الاشراف من عار لظمة وما كان فيها - لو صبرت لها - ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة وبعث لها العين الصحيحة بالعمور
فيا ليت امي لم تلدني وليتني رجعت الى الامر الذي قال لي عمر
ويا ليتني ارعى الخاض^(١) بقفرة وكنت اسيراً في ربيعة او مضر
ويا ليت لي بالشام ادنى معيشة اجالس قومي ذاهب السمع والبصر
ثم سألني عن حسان : أحي هو ! قلت : نعم تركته حياً . فأمر
لي بكسوة ومال ونوق موقرة برأ ثم قال لي : ان وجدته حياً فادفع
اليه الهدية واقرئه سلامي ، وان وجدته ميتاً فادفعها الى أهله وانحر الجمال
على قبره .

فلما قدمت على عمر وأخبرته خبر جبلة وما دعوته اليه من الاسلام
والشرط الذي شرطه واني ضمننت له التزويج ولم اضمن له الإمرة قال :
هلا ضمننت له الإمرة ! فاذا افاء الله به الى الاسلام قضى عليه بحكمه
عز وجل ! ثم ذكرت له الهدية التي اهداها الى حسان بن ثابت . فبعث
اليه وقد كف بصره فأتى به وقائد يقوده . فلما دخل قال : يا امير
المؤمنين اني لأجد ريح آل جفنة عندك - قال : نعم هذا رجل اقبل
من عند جبلة قال : هات يا ابن أخي انه كريم من كرام مدحتهم في
الجاهلية فحلف ان لا يلقي احداً يعرفني اهدى الي معه شيئاً . فدفعت
اليه الهدية : المال والثياب واخبرته بما كان أمر به في الابل ان وجد
ميتاً . فقال : وددت اني كنت ميتاً فنحرت على قبري وانصرف يقول :

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يفتهم آباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام اذ هو ربهما ملكا ولا متنصراً بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده الا كبعض عطية المذموم

فقال له رجل كان في مجلس عمر : اتذكر ملوكاً كفرة ابادهم الله
وأفناهم؟ قال : ممن الرجل؟ قال مزني . قال والله لولا سوابق
قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة .
قال : ثم جهزني عمر الى قيصر وأمرني ان اضمن لجملة ما اشترط
به فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان
الشقاء غلب عليه في ام الكتاب .

قصص العرب

وصايا الآباء للأبناء

وصية عمرو بن كلثوم لبنيه .

لما حضرت عمرو بن كلثوم^(١) الوفاة بعد سن عالية جمع بنيه فقال :
يا بني قد بلغت من العمر ما لم يبلغه احد من آبائي ولا بد ان ينزل
بي ما نزل بهم من الموت . واني والله ما عيرت احداً بشيء الا عيرت
بمثله ان كان حقاً فحقاً وان كان باطلاً فباطلاً ومن سب سب فكفوا
عن الشتم فانه اسلم لكم ، وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم وامنعوا من ضم^(٢)
الغريب ، فرب رجل خير من الف ورد خير من خلف^(٣) واذا حدثتم
فعوا واذا حدثتم فأوجزوا فانه مع الاكثار يكون الاهدار^(٤) واشجع
القوم العطوف بعد الكر^(٥) كما ان اكرم المنايا القتل^(٦) ولا خير فيمن
لا روية له عند الغضب ولا من اذا عوتب لم يعتب^(٧) ومن الناس من
لا يرجى خيره ولا يخاف شره فبكؤه^(٨) خير من دره وعقوقه^(٩) خير
من بره ولا تتزوجوا في حيكم فإنه يؤدي الى قبيح البغض .

(١) هو من سادات بني تغلب في الجاهلية الاولى واحد خطبائهم وشعرائهم وقرسانهم وممصرهم
واحد اصحاب المعلقات السبع . (٢) ظلم . (٣) اي لأن تردوا عنكم طالب المعروف رداً
جميلاً خيراً من ان تعدوه بقضاء حاجته ثم تخلفوه . (٤) مصدر اهدر الرجل اذا هدى في كلامه .
(٥) مصدر كر الفارس يكر من باب نصر اذا فر للجولان ثم عاد للقتال اي تشجع الفرسان من
يفر عن قرنه خديعة ثم اذا تبعه عطف عليه وطعنه ، يوصيهم باستعمال الخدعة في الحرب . (٦) اي
في سبيل الدفاع عما تجب حمايته . (٧) اي لم يعط العتبي وهي الرضا من نفسه بالاحسان الى
غيره . (٨) مصدر بكأت الناقة اذا قل لبنها ضد دوت . (٩) العقوق العصيان وقلة الاحسان
عكس البر .

وصية ذي الاصبع العدواني :

لما احتضر^(١) ذو الاصبع العدواني دعا ابنه أسيداً فقال له يا بني :
ان اباك فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش واني موصيك بما ان
حفظته بلغت في قومك ما بلفته فاحفظ عني :

ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك
يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك واكرم صغارهم كما تكرم
كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك واحم
حريمك واعزز جارك واعن من استعان بك واكرم ضيفك واسرع النهضة
في الصريخ^(٢) فان لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة احد
شيئاً فبذلك يتم سؤددك ثم انشأ يقول :

أسيد ان مالاً ملكت فسر به سيراً جيلاً
آخ الكرام ان استطعت الى اخائهم سبيلاً
ان الكرام اذا توا خيهم وجدت لهم قبولاً^(٤)
ودع الذي يمد العشرة ان ينيل ولن ينيل
أبني ان المال لا يبكي اذا فقد البخيلاً^(٣)
أسيد ان ازمعت من بلد الى بلد رحيلاً
فاحفظ وان شحط المزرا ر اخا اخيك أو الزميلاً^(٥)
واركب بنفسك ان همت بها الحزونة والسهولاً^(٦)

«١» اي حضره الموت . «٢» صوت المستغيث أي اسرع الاجابة عندما يستصرخك مستغيث
في شدة أو غارة . «٣» أي قبولاً للمؤاخاة والمحاسنة . «٤» اعزاز المرء للصدق وصونه له عن
التبذل يدفعه الى البكاء والحزن عليه اذا هلك بخلاف المال فان البخل اذا صانه واعزه لا يقابله
عند هلاكه بالحزن والبكاء لانه جماد . «٥» شحط المزرا من باب فتح بعد والزميل عديل الراكب
على الجمال ويراد به الرفيق . يقول اذا قضت الايام بابعادك عن رفاقك واصدقائك واصدقاءك
ذلا تجعل البعاد سبباً في نسيانهم واغفال مودتهم . «٦» الحزونة مصدر حزنت الارض كسهلت
اذا خشنت يقول اركب بنفسك الحزن والسهل اذا كلفتها طلب أمر عظيم ولا تعول بها على غيرك .

وصل الكرام وكن لمن ترجو مودته وصولاً
ودع التواني في الامو ر وكن لها سلساً ذلولاً
وابسط يمينك بالندی وامدد لها باءاً طويلاً
واعزم اذا حاولت امرأ يفرح الهيم الدخيلاً
وابذل لضيفك ذات رحلك مكرماً حتى يزولاً^(١)
واحلل على الايفاع للعاقين واجتنب المسيلاً^(٢)
واذا القروم تخاطرت يوماً وارعدت الخصيلاً^(٣)
فاهصر كهصر الليث خضب من فريسته التليلاً^(٤)
وانزل الى الهيجا اذا ابطاها كرهوا النزولاً
واذا دعيت الى المهم فكن لفادحه جمولاً^(٥)
وصية معاوية لقومه :

روى (العتيبي) عن ابيه عن جده^(٦) قال : لما اشتكى معاوية
شكايته التي مات فيها ارسل الى ناس من جملة بني امية فقال : يا معشر
بني امية اني لما خفت ان يسبقكم الموت الي سبقتة بالموعظة اليكم لا لأرد
قدراً ولكن لاباغ عذراً ، ان الذي اخلف لكم من دنياي امر ستشاركون
فيه وتغلبون عليه والذي اخلف لكم من ورثي^(٧) امر مقصور لكم نفعه
ان فعلتموه ، نخوف عليكم ضرره ان ضيعتموه ان قريشاً شاركتم في

«١» الرحل هنا المسكن وذات الرحل ما يحتويه من اثاث وفرش وماكل ومشرب .
«٢» جمع يفع بفتح الياء والفاء : التل . والعاقون جمع عاق : وهو الضيف والوارد وطالب
الفضل اي لا تخف نفسك عن طلاب معروفك بتزولك المسائل وبطون الاودية بل اعل على اليفاع
حتى يراك طالبوك . «٣» خطرت القروم ضربت بأذناها يميناً وشمالاً نشاطاً وخفة . والخصيل
الذنب او كل عصبه فيها لحم غليظ والمراد بالقروم هنا الشجعان «٤» اخصر الجذب والامالة
والكسر والدفع وعطف الشيء وثنيه . والتليل العنق . يقول اذا هبت فحمرل الفرسان للقتال
ففعل فعل الاسد اذا خضب عنق فريسته بالدماء . «٥» الفادح من كل شيء الصعب الثقيل
والحادث من حوادث الدهر . «٦» هو عمرو بن عتبة بن ابي سفيان . «٧» اي الخلافة والملك .
نسخة مجانية

انسابكم وانفردتم دونها بأفعالكم فقدمكم^١ ما تقدمتم له اذ آخر غيركم ما تأخروا عنه ولقد جهل بي^(٢) فحملت ونقر لي^(٣) ففهمت حتى كأني انظر الى ابنائكم بعدكم كنظري الى آبائهم قبلهم ، ان دولتكم ستطول وكل طويل مملول وكل مملول مخدول ، فاذا كان ذلك كذلك كان سببه اختلافكم فيما بينكم واجتماع المختلفين عليكم فيدبر الأمر بضد ما اقبل به فلست اذكر حسناً يركب منكم ولا قبيحاً ينتهك فيكم الا والذي امسك عن ذكره اكثر واعظم^(٤) . ولا معول عليه عند ذلك افضل من الصبر واحتساب الاجر فيادكم القوم دولتكم امتداد العنانين^(٥) في عنق الجواد حتى اذا بلغ الله بالأمر مداه ، وجاء الوقت المبلول بريق النبي^(٦) (صلى الله عليه وسلم) مع الحلقة المطبوعة على ملالة الشيء المحبوب كانت الدولة كالاناء المكفأ^(٧) ، فعندها اوصيكم بتقوى الله الذي لم يتقه غيركم فيكم فجعل والعاقبة لكم العاقبة للمتقين .

(وقال عمرو بن عتبة) فدخلت عليه يوماً آخر فقال : يا عمرو أوعيت كلامي ؟ قلت : وعيت قال : أعد علي كلامي فلقد كلمتكم وما أراني امسي من يومكم ذلك .

(١) اي المطالبة بالخلافة والقتال من أجلها . (٢) اي اعتدى على الناس بالجهل فحملت اي حملت جهلهم . (٣) التنقيح شبه الصفير . (٤) اي ان صارحت بذكر شيء مما سيصيبكم من المعاملة الخسنة التي ستعاملون بها فيما اخفيه عنكم ادمي فلا داعي لذكر شيء مما اتوقعه فيكم ، (٥) العنان طرف اللجام . (٦) الموعود به من رسول الله . (٧) اي انقلبت الدولة وانكبت .

طير الصيد

عرف عن العرب - منذ القدم - ولعمري بالصيد والقنص وركوب الخيل والسباحة والرماية وما إليها من هذه الرياضات التي تحثهم عليها طبيعتهم ويحضهم عليها طبيعة أرضهم وبيئتهم .

فكانوا يطلبون المنتجع أيام الربيع حيث الأرض جائشة بالأعشاب مكتظة بالنبات والازهار وحيث الصيد منتشر في ربوع هذا الفضاء العريض الجميل، يقضون فيه أكثر أيام الربيع أو الربيع كله في صيد وسباق على الخيل أو الاقدام أو على النجائب رماية بالسهم ومصارعة بالأيدي والاجسام وغير ذلك من الرياضات المفضلة لديهم .

ففي هذا الفصل - فصل الربيع - تحتل رياضة الصيد لديهم مكان الصدارة ان لم يشغلهم عنها شاغل قاهر كالغزو وطلب الثأر أو دفع المغير . ولعمري هذا دفعهم الى تربية انواع الصقور وتدجينها وتعليمها بحيث تكون آلة مطواعة في أغراض الصيد تجيب اذا دعيت وتلبى الأمر إذ أمرت .

والمشهور من هذه الطيور البازي والشاهين والصقر . اما انواعها فكثيرة . وقيل ان اول من لعب بالصقور الحارث بن معاوية بن ثور الكندي - وهو ابو كندة - وانه وقف يوماً لقانص وقد نصب حباله للمصافير فانقض اكدر على عصفور منها قد علق فعلقه الاكدر - وهو الصقر - ومن اسمائه ايضاً الاجدل فجعل يأكل العصفور وقد علق ، فعجب الملك فأتى به وهو يأكل العصفور فرمى به في كسر البيت فرآه قد جن ولم يبرح مكانه ولم ينفر وإذا رمى اليه طعاماً أكله وإذا رأى لهما نهض الى

نسخة بنامه

يد صاحبه ثم دعي فأجاب فطعم على اليد . وكانوا يتباهون بحمله اذا رأى يوماً حمامة فطار اليها من يـد حامله فعلقها فأمر الملك باتخاذها والصيد بها . فبينما الملك يسير يوماً اذ نفجت ارنب فطار الصقر اليها فأخذها فطلب بها الطير والارانب فقتلها واتخذها العرب بعده ثم استفاضت في أيدي الناس كما جاء في مروج الذهب للمسعودي وقال المسعودي ايضاً « وقد ذكر ابن غفير عن ابي زيد الفهري انه كان من رتبة ملوك الاندلس اللذارقة انه اذا ركب الملك منهم صارت الشواهين في الهواء مظلة لعسكره نخيصة على موكبه تنحدر عليه مرة وترتفع اخرى معلمة لذلك فلا تزال على ما وصفنا في حال مسيره حتى ينزل فتقع حوله ، الى ان ركب يوماً ملك منهم يقال له ازرق وصارت الشواهين معه على ما وصفنا فاستثارت طائراً فانقض عليه شاهين فاخذه فاعجب بذلك الملك وضراها على الصيد فكان أول من تصيد بها بالمغرب وبلاد الاندلس . »

وقيل ان اول من لعب بالهزاة واقتناها الملك بطليموس وقيل غير هؤلاء . قال المسعودي « وقد وصفت الحكماء والملوك الهزاة واغربت في الوصف واطنبت في المدح فقال خاقان ملك الترك : البازي شجاع مريد وقال كسرى انوشروان : البازي رفيق يحسن الاشارة ولا يؤخر الفرص اذا امكنت . وقال قيصر : البازي ملك كريم ان احتاج اخذ وان استغنى ترك وقالت الفلاسفة : حسبك من البازي سرعة في الطلب وقوة على الرزق وفي السمو اذا طالت قوادمه وبعده ما بين منكبيه فذلك ابعده لغايته وأخف لسرعته ألا ترى الى الصقور لا تزداد في غاباتها الا بعداً وسرعة وقوة على التكرار؟ وذلك لطول قوادمها مع كثافة اجسامها . »

وهذه الطيور ليست لها أمكنة مخصوصة معلومة لا توجد في سواها وإنما هي في أمكنة كثيرة ومواطن متباعدة متباينة فهي موجودة في صحارى تهامة كما انها موجودة في فيافي نجد وفي براري اليمن كما انها

موجودة على سواحل الخليج العربي وغيرها مما قرب او بعد . غير انها تمتاز بكثرة وجودها في مكان دون آخر فطيور الخليج تمتاز كثرة ونوعاً وصلابة عن طيور تهامة واليمن ، وقد يوجد نوع منها في موطن ولا يوجد في موطن آخر .

وتسكن هذه الطيور - على الاغلب - شامق الأمكنة ورؤوس الجبال المنيفة حبيطة وطلباً لسلامة صغارها ، وقد تسكن الاشجار العالية الكثيرة الاغصان والفروع قال المسعودي : « ان البازي لا يتخذ وكرأ إلا في شجرة لفاء مشتبكة بالشوك مختلفه الحجون بين شجر عسى طلباً للسكن ودفعاً لألم الحر والبرد ، فاذا اراد ان يفرخ بنى لنفسه بيتاً وسقفه تسقيفاً لا يصل اليه منه مطر ولا ثلج اشفاقاً على نفسه وفراخه من البرد والضرر » .

وقد زعم بعض الاوائل ان العقاب لا يحنو على صغاره ولا يتجه في تربيتها والمحافظة عليها كما يفعل سائر الطيور .

وقال الجاحظ في كتابه « الحيوان » : وزعم صاحب المنطق انه ليس شيء في الطير اجفى لفراخه من العقاب وانه لا بد من ان يخرج واحداً وربما طردهن جميعاً حتى يجيء طائر يسمى كاسر العظام فيتكفل به ، وهذا زعم باطل يكذبه الواقع ويكذبه اهل الخبرة والمعرفة بهذه الجوارح . قال دريد بن الصمة :

كأني وتربي فوق فتخاء لقوة لها ناهض في وكرها لا تجانبه

وقال ابو نواس من ضمن ابيات :

وقانص احفى به من امه او يستطيع قاتله بلحمه

وهذه الطيور سريعة الطيران جداً حتى لقد قيل عنها وليس هذا بعيد

على من خبر طيرانها وسرعته انها تتغذى بالعراق وتتعمش باليمن ولذلك

ضربوا المثل بها فقال : (اطيور من عقاب) .

نسخة مجانية

وهذه الطيور حادة النظر قوية الابصار ترى الصيد على مسافات بعيدة شاسعة، فقد ينطلق من يد صاحبه ويغيب عن الانظار حتى يظن صاحبه ان لا رجعة له ، ومن ثم يخرج من خلال الجو حاملا فريسته ويرسله صاحبه حينما يرى الصيد، واحيانا يرسله حينما يرى ان الطير ينازعه القيادة لعله ان الطير قد رأى صيداً، ولعله انه اذا رأى قلما يخيب (مبارك اذا رأى فقد رزق) : يقول ابن المعتز في وصفه .

قال ابو نواس في (اليؤيؤ) وهو نوع من طيور الصيد يشبه الباشق :

قد اغتدى والصبح في دجاء	كطرة البرد علامته
بيؤيؤ يعجب من رآه	ما في اليبأبيء يؤيؤ شرواه
من صفعه طرفها خداه	ازرق لا تكذبه عيناه
فلو يرى القانص ما يراه	فداه بالام وقد فداه
من بعد ما يذهب حملاقاه	لا يؤيل الماء منكباه
ولا جناحان تكفتاه	منه اذا طار وقد تلاه
دون انتزاع السحر من حشاه	لو اكثر التسبيح ما نجاه
ذاك الذي خولناه الله	تبارك الله الذي هداه

وترى الصيد يتحاشاه ولا يقف له بسبيل ، واذا رآته الطير فرّت طائرة مذعورة لا تلوي على شيء ان كان لها مندوحة في الفرار ، وان كانت في مستكنها بحيث تأمن غائلته أقامت فيه لا تبرحه الى ان يبدي الله لها فرجاً بتروحه وبعده عنها :

ترى الطير والوحش من خوفه جوافل منه اذا ما اغتدى
ولهذا وصف بعض الشعراء الرجل المهيب بالصقر ، كما قال احد
الشعراء لعبد الملك مادحاً الحجاج :

وبعثت من ولد الاغر ممثبا صقراً يلوذ حمامه بالعوسج

وتختلف بعض هذه الطيور عن بعض في طريقة فتكها بفرائسها ،
فبعضها وهو من اضعفها يلحقها كما يلحق الطير العادي ، وهذا ضعيف
الصيد بالنسبة لغيره ، اذ ربما ارتفع الصيد عليه بطيرانه وعز عليه مناله
كما تفعل الحباري ، فمن عاداتها في طلب السلامة اذا رأت ان الطير محاذ
لها في السمو تحاول هي السمو عليه وحينئذ يخر الى الارض متمسكاً
برف جناحيه رلاً يسمو .

وبعضها يرتفع شاهقاً ثم ينقض على فريسته ويضربها بمخالبه العقف
فيقدها قدماً ، فتسوي فاقدة الحياة ثم يتبع الاخرى ان كان الصيد كثيراً ،
هكذا يظل يرتفع ممعناً في الارتفاع ثم يهوي ضارباً بسنانه ، هذا اذا كان
الصيد في الهواء ، اما اذا كان جائماً على الارض فلجأ الى استثارته ليخرجه
من مكانه فاذا تم له ذلك ، طار طالباً النجاة فعل فعله يرتفع ثم يهوي
عليها هكذا .

وبعضها هو الأميز في طيور الصيد يفتك بها طائرة ويفتك بها وهي
جائئة على الارض لا يمنع من ذلك مانع . وطريقته في الفتك وهي جائئة
هي ان يرتفع ثم ينصب عليها فاذا ما قاربها ضربها بمخالبه وهو في طريقه
مستقلاً مرتفعاً فيدهدها عن موضعها مسافة بعيدة لقوة ضربه بهذا السنان .
وكثيراً ما تكون هذه الطيور الممتازة عرضة للتلف ، اذ ربما هوت
على فريستها على اديم الارض وعندما تقاربها محاولة ان تتناشأ بمخالبها
تروغ الفريسة جانباً فتصطدم بالارض فتذهب اشلاء ممزقة .

ولعل في هذا ما يعطي صورة توشك ان تكون واضحة جلية عن
هذا الطير الذي له شأن ، وأي شأن في حياة العرب الرياضية منذ اقدم
الاجيال الى وقتنا هذا في مجاهل وفيافي ارض هذه الجزيرة الكريمة .

عبد الله بن محمد بن رداس الحربي
من مجلة « اليامة » بتصرف

نسخة مجانية

مثل عليا اسلامية عربية

كان العرب في جاهليتهم واسلامهم مضرب المثل حقاً في الشجاعة ،
اذا كانت من غرائزهم الفطرية وسجاياهم الطبيعية ، ومن اخلاقهم التي
عرفوا بها في قديم الزمن وحديثه . فكانوا يتهافتون الى الحرب والقتال
أفراداً وجماعات ، اذا دعا الداعي كحماية العرض والمال والدفاع عن
الجار والشرف ، ويجدون في ذلك الحياة العزيزة المجيدة الكريمة .

وكانوا يتمدحون بالموت تحت ظلال السيوف ، او طعناً بالرماح ، كما
يتهاجنون بالموت على الفراش ويقولون فيمن يموت كذلك : فلان مات
حتف أنفه . وفي هذا يقول بعضهم حين بلغه موت أخيه . ان يقتل
فقد قتل ابوه وعمه والله انا لا نموت حتفاً ، ولكن قطعاً باطراف الرماح
وتحت ظلال السيوف ، كما يقول أحد شعرائهم في الجاهلية :

وما مات منا سيد حتف انفه ولا ظل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبابة نفوسنا وليس على غير الظبابة تسيل

وربما كانت القبيلة منهم - لتأصل هذا الخلق القوي في نفوسهم

وغلبته على طباعهم - تندفع الى القتال دون ان تعرف السبب الذي أهاجمهم

وتتبين ان كان حرياً بالحرب وما فيها من أخطار وفي هذا يقول قائلهم :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

ان الحياة لا قيمة لها عندهم إذا كانت حياة فيها شيء من الذلة ، وان

للمره أجلا لا يعدوه متى جاء حينه سواء كان قتلاً أو على فراش ناعم

وثير ، وان الاقدام على المكروه قد يكون سبب الحياة الماجدة ومن ثم كانوا - وما زالوا سريعي الاقدام على المكاره متى وجب الامر في رأيهم .

وفي هذا يقول أحدهم ، وهو عنتره احد فوارسهم الشجعان المشاهير :

بكرت تخوفني الختوف كأنني
اصبحت عن غرض الختوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل
لا بد ان أسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا ابالك واعلمي
أني أمرؤ سأموت ان لم اقتل

كما يقول الحصين بن الحمام المري :

ولما رأيت الود ليس بنافعي
عمدت إلى الأمر الذي كان استزماً
فلست بمتاع الحياة بذلة
ولا مرثق من خشية الموت ساماً
تأخرت أستبق الحياة فلم اجد
لنفسي حياة مثل ان اتقدماً

ويقول المتنبي في هذا المعنى ايضاً :

عش عزيزاً او مت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
ويقول آخر وهو قيس بن الخطيم ، معبراً عن الاقدام في الحرب :

اذا قصرت اسيفنا كان وصلها
خطانا الى اعدائنا فنضارب
هذا وقد سجل شعر العرب وتاريخهم المجيد مآثر في الشجاعة لا نجد

ما يدانيها عند غيرهم من الامم الاخرى ، ولهم في ذلك ايام معروفة في كتب التاريخ والادب لا نرى حاجة الى ذكر بعضها في هذه الكلمة ، الا اننا مع هذا نشير الى يوم أغر من تلك الايام ، وهو يوم ذي قار الذي انتصر فيه العرب على الفرس لأول مرة في التاريخ .

وكان من خبره كما يذكر ابن الاثير المؤرخ المعروف في كتابه الكامل أن كسرى غضب على النعمان بن المنذر واليه على الحيرة وارسل اليه

نسخة مجانية

يستدعيه الى حضرته بالمداخن عاصمة ملكه ، فعرف النعمان الشر في ذلك ولكنه ذهب اليه فحبسه حتى مات .

وكان النعمان قد اودع قبل توجهه الى كسرى اهله وسلاحه وما قدر عليه من ماله لدى هانيء بن مسعود الشيباني وهو رئيس قبيلته وسيد من سادات العرب . فأمره كسرى ان يسلم هذه الودائع والامانات الى واليه الجديد على الحيرة ، فامتنع هانيء من ذلك مدفوعاً بما هو معروف عند العرب من الحمية والانفة .

فأمر ملك الفرس عامله بحرب هانيء ومن معه ، وكان ان التقى الجمعان : جيش الفرس وجيش العرب بذي قار ، وحينئذ ادرك هانيء ان لا طاقة للعرب بحرب كسرى وجيوشه فأشار على من معه بالتفرق في الصحراء طلباً للنجاة قبل ان يخوضوا معركة لا عهد لهم بمثلها ولا قبل لهم بها ولا طاقة .

ولكن رجلاً معه وهو حنظلة بن ثعلبة العجلي وثب اليه وقال له : يا هانيء اردت نجاتنا فألقيتنا في الهلكة ، وما كان الا ان رد الناس الى مواقعهم وقطع أحزمة الهودج وضرب على نفسه قبة واقسم ألا يفر حتى تفر القبة .

فزاد صنيعه الناس شجاعة ثم التقى الفريقان في معركة هائلة فكان ان كتب الله النصر للعرب على العجم وذلك بفضل شجاعتهم واستبسالهم واقدامهم على الموت وهم ينظرون .

وعندئذ عرف العجم ان للعرب احساباً ومثلاً عليا يدافعون عنها وان لهم قومية وان لهم يوماً له ما بعده .

وفي هذه الموقعة يذكر ابن الاثير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرف بما كان من انتصار العرب نصراً مؤزراً قال : « هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ وَبِئْسَ نَصْرُؤُا ، وَصَدَقَ الرَّسُولُ

الذي لا ينطق عن الهوى وكان بعد ذلك ان توالى نصر العرب والمسلمين حتى أزال الله على ايديهم دولة الفرس ودولة الرومان والنصر بيد الله العزيز الحكيم يؤتية من يراه أهلاً له .

وقد زاد الاسلام حين أشرق نوره على العرب هذا الخلق الأصيل فيهم قوة وذلك اذ جعل للقتال والاقدام على المكاره غاية هي أشرف الغايات وهي الجهاد في سبيل الحق واعلاء كلمة الله ودينه كما جعل لمن يقتل في هذا السبيل شرف ان يكون شهيداً له عند الله الدرجات العلى في الدار الآخرة فضلاً عما يناله من المجد وحسن الذكر في الدار الدنيا .
ها هو ذا الرسول صلى الله عليه وسلم يقرر في بعض احاديثه :
« مَنْ قَتَلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قَتَلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قَتَلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » كما يذكر في حديث آخر : « لَغَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » ويقول الله تعالى في القرآن : « وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا »
ومن ثم أتى العرب والمسلمون في هذه الناحية بالعجب العجاب فقد أزالو من الوجود دولة الاكاسره والقياصرة على ما كان لهم من القوة والمنعة وشدة البأس في الحروب وعلى ما كان لهم من شدة السلطان على العرب وغير العرب قبل الاسلام .

وكان الواحد منهم يقدم على الخطر غير هيب ولا وجل لا يبالي أمات أم عاد حياً . يروي ابن قتيبة في عيون الاخبار : ان عمر بن الخطاب بعث الاحنف بن قيس على جيش الى خراسان فبيتهم العسكرو ليلاً وفرقوا جيوشهم وأقبلوا معهم الطبل ففرزع الناس منه فتقلد الأحنف سيفه ثم مضى نحو الصوت وهو يقول :

ان على كل رئيس حقاً ان يخضب الصعدة او تندقا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله وكان ذلك سبب هزيمة العدو بعد ان فقدوا الصوت ثم حمل على الكتيبة الاخرى ففعل مثل ذلك وحده ثم جاء الناس وقد انهزم العدو بأجمعه هزيمة منكرة فاتبعوهم يقتلونهم في كل ناحية ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة « قرو الرذ » .

كما كان الواحد منهم يستبسل في القتال ويعرض نفسه للموت لا يبغى جزاء ولا شكوراً الا من الله وحده بل لا يبغى ان يعرف اسمه فيذكر بالحمد والثناء .

بذكر صاحب عيون الاخبار ايضاً أن « مسلمة » حاصر حصناً فندب الناس الى نقب منه فما دخله احد فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ممرضاً نفسه للموت ففتح الله عليهم فنادى مسلمة : اين صاحب النقب فما جاء أحد فنادى اني قد امرت الآذان بأدخاله ساعة يأتي فعزمت عليه الا جاء .

فجاء رجل ودخل عليه وقال له : ان صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً الا تكتبوا اسمه في صحيفة الخليفة ولا تأمروا له بشيء ولا تسألوه من هو قال ... مسلمة فذاك له قال أنا هو فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة الا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

كما كانوا يستشرفون للموت قتلاً ويتمدحون بذلك : هذا سيف الله خالد بن الوليد يقول لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر الا وفيه طعنة او ضربة او رمية ثم ها انا أموت على فراشي حتف أنفي (وفي رواية اخرى : ثم ها أنا ذا أموت حتف نفسي كما يموت البعير) فلا نامت أعين الجبناء .

هكذا كانت شجاعة العرب والمسلمين مثلاً في التاريخ وهي ما تزال كذلك حتى اليوم لأن ما بالطبع لا يتغير كما يقال بحق ويكفي ان نشير الى معركة بور سعيد التي انتصرنا فيها على الدول الثلاث العاتية وذلك

بفضل الايمان بالله ثم بحق الوطن وبفضل الشجاعة التي صارت مضرب الامثال .

وكذلك الامر في الجود والكرم في الجاهلية والاسلام حتى اليوم فالكرم من الاخلاق التي تاصلت في نفوسهم وتوارثها الابناء عن الآباء والاجداد وربما نزل الضيف بأحدهم ولا مال له الا ناقة واحدة وهي قوام حياته وحياة ولده فلا يتردد في ذبحها لضيفه خشية ان يقال شيء عن مروءته وعرضه وقديماً قال قائلهم :

واعلم ان الضيف يو ما سوف يحمد او يلوم
هذا حاتم الطائي الذي ضربت بجوده الامثال ، وكان به كما يقول صاحب الامالي : مظفراً ، اذا قاتل غلب واذا غنم انهب واذا سئل وهب واذا اسر اطلق ، كما كان اذا اهل رجب ، وهو شهر كانت العرب تعظمه في الجاهلية ، نحر كل يوم عشراً من الابل فأطعم الناس واجتمعوا اليه .

وقد عرف بالكرم منذ صغره ، فكان يخرج طعامه اذا وجد احداً أكل معه وان لم يجد احداً طرحه ، وكذلك كان يفعل حين ألحقه ابوه بالابل فكان يبغي الناس حيث هو معها في المرعى فلا يجد احداً فيأتي الطريق عساه يجد من يكرمه الى اقصى الغاية .

ووجد ذات يوم ركبا سائرين في الطريق فأتاهم فقالوا له : يا فتى هل عندك من قرى ؟ فقال : تسألوني عن القرى وقد رأيتم الابل ، انزلوا فنزلوا وكانوا ثلاثة فنحر لهم ثلاثة من الابل .

فقال احدهم له : انما اردنا الابل وكانت تكفيننا بكرة اذ كنت لا بد متكلفاً لنا . فقال له حاتم : قد عرفت ولكني رأيت وجوهاً مختلفة واللوانا متفرقة ، فعلمت ان البلدان غير واحدة ، فأحببت ان يبقى لي

نسخة مجانية

منكم في كل بلد ذكر . فقالوا فيه شعراً يمدحونه ويذكرون فضله .
فقال لهم : أردت ان احسن اليكم : فصار لكم علي الفضل . وأخيراً
وهب لهم الابل كلها فأصاب كل منهم تسعة وثلاثين بعيراً ، ومضوا في
سفرهم ولما سأله أبوه عن الابل قال له : يا أبت قد طوقتك طوق
الجمامة مجداً وذكراً لا يزال رجل يحمل لنا بيت شعر ابداً بابلك .

وهذا رجل آخر وهو سالم بن قحطان يميئه رجل يستمنحه فيعطيه
بعيراً ويطلب من امرأته حبلاً يربطه ببعيره الذي جاء عليه ثم يعطيه
ثانياً وثالثاً ، وفي كل مرة يطلب حبلاً من امرأته حتى لم تجد حبلاً فقال
لها هذه الكلمة التي ذهبت مثلاً : علي الجمال وعليك الحبال فرمت اليه
خمارها ليجمعه حبلاً لبعضها فقال :

ولا تعذليني في العطاء ويسري لكل بعير جاء طالبه حبلاً
فلم أر مثل الابل مالا لمتن ولا مثل ايام الحقوق لها سبلاً

وقد زاد الاسلام هذا الخلق العظيم قوة ولذلك يحمته على اكرام الضيف
واعانة المحتاج ، ووعدته على هذا بالخير الكثير في الدنيا والآخرة ، وهذا
الى اصالة هذا الخلق في نفوس العرب كما هو معروف فكان من ذلك
مثل رائحة في الكرم والايثار .

يذكر ابن الاثير في كتابه الكامل في اللغة والادب ان الاحنف بن
قيس قال : كثرت علي الديات فلم اجدها في حاضرة تيم فخرجت نحو
تبرين فسألت عن المقصود هناك فأرشدت الى قبلة فاذا شيخ جالس
بفنائها مؤزراً بشملة محتب بجبل .

فسلمت عليه وانتسبت له . . . ثم ذكرت له الديات التي لزمنا للأزد
وربيعة فقال لي : اقم فإذا راع قد اراح الف بعير فقال : خذها ثم
اراح عليه آخر مثلها فقال : خذها فقلت : لا احتاج اليها فانصرفت

بالألف عنه والله ما ادري من هو الى الساعة .
وفي صحيح الامام مسلم ان رجلاً نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا
اليه ما به من جهد ، فأرسل الى امهات المؤمنين فلم يجد عندهن شيئاً يقدمه
له فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة وأخذه الى رحله وطلب من
امراته اكرامه فأخبرته أنه ليس عندها قوت الصبيان فطلب منها ان
تعلل الصبية حتى يناموا وان تطفىء السراج وتقرب للضيف ما عندها،
وهكذا اكل الضيف ما كان عندهم كله وباتا طاويين وكذلك الصبيان .
فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « قَدْ عَجِبَ
اللَّهُ مِنْ صَنِيْعِكُمْ اللَّيْلَةَ » . وفي هذا نزل قوله تعالى :
« وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » .

الدكتور محمد يوسف موسى

بطولة وفاء

الوفاء بالعهد خلق من اخلاق الاحرار وشيمة من شيم الابطال ، لان الرجل النبيل يعتبر الكلمة يعطيها كالقيد يقيد به نفسه ، فلا يتخلص منه الا بحقه ووفائه ، وقد مجد القرآن الكريم خلق الوفاء بالعهد وطالب به الناس فقال : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ، وجعل هذا الخلق سمة من سمات المؤمنين الصادقين فقال : « وَالْمُؤْمِنُونَ يَبِيعُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا » وقال « بَلَىٰ مِنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ » وجعل الوفاء من شيم الانبياء فقال « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى » وقال « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا » بل جعل الوفاء صفة من صفات الخالق جل جلاله فقال « وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ » .

ويزداد الوفاء بالعهد قيمة ومكانة اذا كلف صاحبه رهقاً من امره او عرضه لخطر اكيد او شر جسيم وهو يستطيع ان يخلص بنفسه وان يبعد عن مواطن التعب والنصب ولكن شهامته وكرامته تأبيان له الا ان يكون حراً أصيلاً ، وشهماً نبيلاً فيرضى بالعناء والعنت في سبيل هذا الخلق الرفيع خلق الوفاء .

وفي تاريخنا العربي والاسلامي مواقف خالدة يتألق فيها خلق الوفاء من ابطال عرضوا انفسهم للمعاطب والنكبات في سبيل الالتزام بوعدهم والارتباط بعهدهم ومن هؤلاء ابو محجن عبد الله بن حبيب الثقفي الذي كان مخضرمًا ادرك الجاهلية والاسلام وكان من اهل البأس والنجدة والاقدام ومن ذوي الهمة والعزيمة والشجاعة وهو القائل :

لا تسألني الناس عن مالي وكثرته
قد اطعن الطعنة النجلاء عن عرض
واعطي السنان غداة الروح حصته
عف المطالب عما لست فائده
والقوم اعلم اني من سرايهم
سيكثر المال يوماً بعد قتلته
وسألتني الناس عن بأسني وعن خلقي
واكتم السر فيه ضربة العنق
وعامل الرمح ارديه من العلق
فإن ظلمت شديد الحقد والحنق
اذا سما بصر الرعييدة الشفق
ويكثر العود بعد اليبس بالورق

ولكن بقية من رواسب الجاهلية دفعته الى تناول المسكر فنال على
ذلك جزاءه . وتتابعت الايام على ابي محجن وجاءت غزوة (القادسية)
وكانت في طليعة السنة الرابعة عشرة من الهجرة . والقادسية قرية كانت
قرب الكوفة وكانت باب بلاد الاعجام . وقد اشترك في هذه الغزوة عدد
كبير من الصحابة وأبنائهم ، ومن المدربين الذين شهدوا غزوة بدر مع
النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان المسلمون في الغزوة نحو ثمانية آلاف
واعداؤهم نحو ثلاثين ألفاً .

وكان اعداء العرب والمسلمين يستخدمون الفيلة في القتال ، وكانت
الخيول العربية تجفل منها لانها لم تتعود رؤيتها قبل الاسلام ، وكان سعد
ابن ابي وقاص قائد جيش المسلمين في المعركة .

وخرج المجاهدون الى الميدان وبقي ابو محجن سجيناً مقيداً في قصر
سعد بسبب الزلة التي أتاها . وبلغ مسميه حركة الخيول الراحلة
الى النضال تحمل فوق ظهورها الابطال فتحرق شوقاً الى الجهاد واستبد
به الالم لانه يحال بينه وبين هذا الشرف المرموق فجعل يردد قوله :

كفى حزناً ان تطعن الخيل بالقنا
واترك مشدوداً على وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وغلقت
مصارييع من دوني تصم المساديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة
وقد تركوني مفرداً لا أخا ليا

نسخة مجانية

وقد شفّ جسمي أنني كل شارق
فلائه درى يوم اترك موثقاً
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت
ولله عهد لا أخيس بعهدہ
واعمال غيري يوم ذاك العواليا
لئن فرجت ألا أزور الحوانيا
وسمعتہ امرأة لسعد كانت بالقصر فاستنبأته نبأه فبثها شجوه وحزنه ،
ورجاها ان تفك قيده وتعيّره فرساً مشهورة لسعد تسمى (البلقاء) حتى
يذهب عليها الى الميدان فيقاتل ، وحلف لها ان يرجع آخر النهار فيضع
رجليه في القيد كما كان ، قبل ان يعود اليها سعد ، فترددت في ذلك
وألح عليها حتى رضيت فطار على الفرس الى المعركة .

وهناك قاتل قتالا شديداً وجعل يقصف الاعداء بسيفه قصفاً وسعد
ينظر الى فرسه فيعرفها ثم يتردد في الامر ويتطلع الى راكبها المقدم
فيقول في نفسه انه ابو محجن ، ولكن ابا محجن هناك في القصر يحبسہ
قيده فكيف يأتي هنا ؟

ودارت الدائرة على اعداء العرب والمسلمين وأدى أبو محجن واجبه
كاحسن ما يكون الاداء ، فسارع بالعودة بعد ان ابلى البلاء الحسن واخذ
يترجم عن شجاعته وبلائه بقوله :

لقد علمت ثقيف غير فخر
واكثرهم دروعا سابغات
فان احبس فذلكم بلائي
بانا نحن اكرمها سيوفا
واصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
ولو اترك اذيقهم الختوفا

ويروى ان امرأة قابلته في طريق عودته فظنته هارباً من المعركة ،
فعيّرته بقولها :

من فارس كره الطعان يعيرني
رحا اذا نزلوا بمرج الصفر

فرد عليها ابو محجن يقول :

ان الكرام على الجياد مبيتهم فدعي الرماح لاهلها وتعطري
وبلغ ابو محجن قصر سعد فدخله والمرأة في دهشة واعجاب بعودته
وفائه بعده ، وسارع الشاعر البطل الوفي فادخل رجله في قيدهما ،
واغلقه عليهما ، فكان مثلاً من امثلة العلو في الهمة والسمو في الوفاء
وصدق العلي الكبير : وَالْمُؤَفُّونَ بِيَعْنِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ
فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ .

الشيخ احمد الشرباصي

لغة الاشارة

هل فكرت يوماً وانت تحرك يـدك حركات توضح الحديث الذي تخوضه بأصل هذه الحركات ؟ وهل خطر لك ان تتساءل لماذا تحمل بعض الاشارات معاني معينة عند جميع المخلوقات تقريباً ، رغم اختلاف اللغات ؟ ولماذا تختلف لغات الشعوب في انحاء الارض في الوقت الذي تتشابه فيه الاشارة بينهم ؟

فمثلاً هناك اشارة معروفة تصدر من اليد يقصد منها الاستفهام عما حدث ، او عما يريد الشخص الآخر ، وهذه الاشارة نفسها تستعملها شعوب اختلفت لغاتها وتباينت ، فإذا تقابل اثنان لا يعرف الواحد منهما لغة الآخر ، استحال عليهما التفاهم عن طريق اللغة ، وهنا تقوم لغة الاشارة بدور الايضاح بينهما ، وقد تفرض الظروف على احد الناس في اجتماع ما ان يتجنب استخدام الكلمات في التعبير عما يمكنه خشية ان يسمع شخص معين ما يقوله فتراه يلجأ الى هذه اللغة الحرساء ليطلب من شخص أمراً ما ، كأن يطلب منه الكف عن الحديث او مواصلته او السخرية من احد الجالسين ، وقد يطلب منه مغادرة المكان وقد يلزمك ان تدعو صديقاً الى الاقتراب منك فبتعذر عليك نداؤه بصوتك لكيلا تشوه جمال الهدوء الذي يسود المكان ، او ربما لكي تتجنب ان تبح صوتك فتصدر اشارة يفهم منها انك تريد اليه الاقتراب منك .

والامثلة على اهمية استخدام لغة الاشارة كثيرة ، فمن هزة الرأس الى اشارة بأصبع اليد الى حركة بالعين .

فلماذا إذاً تختلف لغات الشعوب في انحاء الارض في الوقت الذي تتشابه

فيه لغة الاشارة بينهم ؟

يقول العلماء ، انها جزء من طبيعة الانسان التي ورثها على مر الدهور وهي تتألف من اشارات بطريقة فطرية ، فقد كانت الاشارة هي لغة البشر في الأزمنة الاولى للانسانية ، ولكن لماذا لم يستعملوا لغة التخاطب فيما بينهم ؟ ذلك لأن الانسان لم يكن يعرف الكلام ولم يكن قادراً على التفكير ، ولهذا كان يعبر عن رغباته ومطالبه الطبيعية بالاشارة .

والكتابة وسيلة جديدة اذا قيست بعمر الانسان على هذه الارض لنقل الافكار للتعبير عما تكنه النفس ، وقبل اختراع الحروف الكتابية كانت طريقة التعبير هي طريقة الرسم ، فإذا اراد الانسان ان يكتب كلمة « شجرة » مثلاً رسمها او « رجلاً » رسم صورته وكان يخترع الرسوم التي تعبر عن الكلمات المعنوية مثل « حب وكرهية وخير وشر » كما كان يعبر عن « شر » برسم امرأتين تحت سقف واحد ، هكذا كان أسلوبهم في التعبير .

يتبين لنا انه كانت هناك طريقة رمزية للكتابة ما زالت محفورة على الحجارة في بعض الاماكن الاثرية ، ورغم تقدم الانسان وتمكنه من النطق والتخاطب بالكلمات ، الا ان عدداً كبيراً من الناس لا يزال يميل الى الاستعانة بهذه الطريقة لايضاح امر تتحدثون عنه ، كما ان الرسم ما زال طريقة للتعبير تصور اجمل المعاني ، وترمز الى ارقى الافكار .

ولكن لغة الاشارة يحصل فيها احياناً لبس وابهام ، وقد تشمل الاشارة الواحدة اكثر من تفسير ، فمثلاً اذا اردت ان تدعو شخصاً الى التمهل فأنك تمد ذراعك للأمام ضاماً اصابع يدك ، وقد يفهم منها ايضاً التهديد والوعيد .

وعنصر الفكاهة مرتع خصب في لغة الاشارة ، يروي ان رجلاً غريباً جاء بلدة يطلب الرزق ، وكان معروفاً بالذكاء ، فطلب من اهل البلدة

نسخة مجانية

ان يختاروا رجلاً من بينهم لينازله في مباراة تكون لغة الاشارة فيها هي وسيلة التفاهم ، فاختاروا رجلاً منهم فطناً ظريفاً ، وعندما ابتدأت المباراة رفع الرجل الغريب يده الى السماء ، فرد عليه الرجل الظريف بأن أشار بيده الى الارض ، فمد الغريب اصبعه السبابة في وجه الظريف ابن البلد ، فرد عليه هذا بأن مد يده في وجهه وفيها اصبعان ممدودتان كأنه يشير الى الرقم اثنين ، وبعد ان انتهت المباراة نظر الناس الى القادم الغريب يسألونه رأيه في ابن بلدتهم ، فقال لهم انه ذكي ونبيه ، فطلبوا منه ان يفسر لهم الحديث الذي دار بينه وبين ظريف بلدتهم بالاشارات ، فأجاب : قلت له في اول اشارة (الله رفع السماوات) فأجابني : (وهو الذي بسط الارض) ثم قلت له : (ان الله واحد) فأجابني : (ليس له ثان) ثم ذهب الناس الى ابن بلدتهم وطلبوا منه ان يفسر ما دار بينه وبين الرجل الغريب ، فقال : هددني بأول اشارة انه يقذفني في الهواء فأجبتة متحدياً : (سأمسح بك الارض) ثم قال بثاني اشارة من اصبعه : (سافقاً عينك) فأجبتة : (سافقاً عينيك الاثنتين) .

وعلى الرغم من تطور الانسان فانه ما زال لهذه اللغة صولة وجولة في عالم البكم ، لقد اعادتهم العاهة الى الطبيعة الاولى ، وقد وضعت اشارات منظمة لتكون لغة للبكم يتحدثون بها بكل حرية وانطلاق ، وتعتمد هذه اللغة على حركات اصابع اليدين بضم عدد منها وفتح عدد آخر حسب ما يتطلب تركيب الكلمة ، فاذا شاهدت شخصين وقد امتدت يداهما للامام وتراقصت اصابعهما في حركات سريعة وقد تبدو عصبية فاعلم انهما ابكمان يتفاهمان بهذه اللغة .

وقد حرم بعض الناس من نعمة السمع والنطق والنظر ؛ غير ان الله ارحم من ان يحرمهم من اية وسيلة للتنفيس عما في نفوسهم وقد اخترعت طريقة للمس بدل الاشارة ليتفاهموا بها ، فيمسك الواحد منهم بيد الآخر

وياخذ بالضغط عليها باسلوب منظم مدروس بحيث تعني كل لمسة حرفاً من الحروف او نقطة او اشارة استفهام ، ولعل الكثيرين سمعوا عن المرأة الامريكية المعجزة (هيلين كيلر) التي لا تقوى على النطق او النظر ، ولذلك تعلمت طريقة اللمس للتعبير عن افكارها ، وقد حصلت على خمس اجازات للدكتوراه في الفلسفة ، وطافت كثيراً من بلدان العالم ، والقت عدداً كبيراً من المحاضرات بواسطة سكرتيرتها ومترجمتها التي تصاحبها اينما تذهب ، فتراها تمسك بيدها وتنقل عن طريق اللمس ما تريد ان تفعله للناس كما تنقل اليها حديث الناس ايضاً .

ان معظم الناس يستعملون لغة الاشارة ، رغم تمتعهم بالمقدرة على النطق لأن الاشارة اسهل من الكلمة وأوضح وهي متصلة في الانسان ولا تكلفه جهداً بينما تجهد فكره الكلمات ، وذلك لان الانسان يقوم بها بفطرته دون ان يشغل فكره ، فالشخص الذي يكون مستغرقاً في قراءة كتاب او كتابة او رسالة وصارفاً فيها كل فكره اذا دخل عليه صديق او احد افراد العائلة ليحدثه في امر ولم يكن راغباً في قطع حبل تفكيره ، او اذا شاء تاجيل التحدث الى الداخل ريثما ينتهي فانه يعطيه اشارة من يده يطلب منه فيها الجلوس او الانتظار ، ان الاشارة لم تكلفه جهداً او ارادة لذلك واصل التفكير ولم يقطعه بسبب هذه الاشارة ولو انه انقطع عن القراءة والكتابة ليقول كلمة ما فقد ينقطع تيار تفكيره .

ان اكثر شعوب الارض تستعمل المصافحة عند التعارف وهذه العملية تعني الترحيب والتحية دون حاجة الى ان تقول ذلك ، ولو التقى شخصان لا يعرف احدهما لغة الآخر ، فيكفي ان يمد يده مسلماً او يهز له رأسه او يرفع يده محبباً ليتم التفاهم لاعلان السلام والمودة .

وبعض الشعوب مثل اليابانيين والاندونيسيين والصينيين لا يهزون الايدي بل يضع الواحد منهم يده بين يديه ثم يسحبها بلطف وهو

نسخة مجانية

منحن اعلاناً للأحترام .

وللتحية والسلام وسائل مختلفة ، فهناك أقوام لهم طريقتهم الخاصة في التحية ، فبعضهم ياخذك بين ذراعيه والبعض الآخر يقبلك وبعض القبائل في الجزيرة العربية يحكون انوفهم ببضعها عندما يسلمون والبعض الآخر يكتفي بحك وجنته بوجنة من يسلم عليه ، اما اهل التبت فيخرج الواحد منهم لسانه لابداء التحية .

واستعمال الاشارات في التحية ما زال سائداً عند الناس ذلك لان التحية تعبير عن الحب والمودة اللذين ينبعان من اعماق النفس البشرية تلك الاعماق التي تضم تراث الاجداد القدامى وقصة الانسانية في تطورها .

عبد اللطيف قاسم الخطيب
بتصرف

الربيع

دار الفلك دورته وعاد سيرته فسرت في اعصاب الارض هزة الحياة
وتفجرت عروقها بالمياه وسالت قمم الجبال جداول وأنهاراً واشتعلت الارض
ازهاراً واشجاراً .

تبرجت بعد حياء وخفر تشني على الله بآلاء المطر
صرحت الارض بمكنونها وأبانت الحياة عن ضميرها فنبئت معاني
الحياة والجمال في الفاظ من الاوراق والنوار .

باح الربيع بأسرار البساتين وعطر النفس انفاس الرياحين
ونفخت انفاس الربيع الحرى الحياة في كل ذرة فأخرجت قواها
اعشابا وازهاراً فرققتها الواناً والفتها معاني .

لم يبق للأرض من سر تكامه الا وقد أظهرته بعد اخفاء
ابدت طرائف شتى من زواهرها حمراً وصبغاً وكل نبت غبراء
اي مسرح للفكر وأي مجال للخيال وأي مراد للطرف :

دنيا معاش للورى حتى اذا
وفي ارجواني من النور احمر
اذا ما الندى وافاه صباحاً تمايلت
اذا قابلته الشمس رد ضياءها
جاء الربيع فانما هي منظر
يشاب بأفرند من الروض اخضر
أعاليه من در نثر وجوهر
عليها صقال الاقحوان المنور
والطير مفردات كأن أصواتها ذوب هذه الالوان وكان الوان الروض

نسخة مجانية

جمد هذه الالمان يهتز الطائر الغريد على الغصن الاملود فيقرأ ما تحته من صفحات الجمال كأنما الطير ابر الحاكيات (١) تنطق بما تضمنت الصفحات من نغمات والمصفور مرح تتداوله الاغصان وتتهاداه الافنان تارة في انتزاء بين الارض والسماء وتارة تغيبه الحديقة كأنه في هذا الجمال فكرة دقيقة صغير تملأ الهواء نغماته وضئيل تشغل الجو خفقاته .

والفراش قلق بين النور هائم بين الازهار لا يقر له قرار كأن كل فراشة زهرة طائرة او قبلة بين الازهار حائرة او نعمة في جمال الروض سائرة .

والشعراء ينافسون الطير على الايك طرباً وتغريداً وفي المرج تسبيحاً وتحميداً تنبجس في جوانحهم ينابيع البيان وتتفتح سرائرهم عن ازهار الشعر ففي كل قلب ربيع ومن كل قصيدة روض وفي كل معنى وردة وعلى كل قافية نعمة .

هكذا تفيض الحياة على الجماد والنبات والحيوان وينتظم الجمال الخليقة والانسان كأنما العالم كله فكرة واحدة او قصيدة خالدة .

ذلكم الربيع الذي فتن الناس فافتنوا في وصفه والإبانة عن محاسنه والاشادة بذكره والاحتفال بمقدمه فاتخذته الامم على اختلاف المذاهب عيداً ومجدته بشق الوسائل تمجيداً وأولع به الشعراء في كل قبيل ولم يخل من المفتونين به جيل .

جاء الربيع فليت في كل قلب من صفائه قطرة وفي كل نفس من جماله زهرة وفي كل خلق من عبيره نفحة لتعمر النفوس بمعاني الحياة وتستنير باشعة الجمال ويسكن الناس الى السعادة حيناً وينسوا اساليب العداوة والبغضاء زمناً ، وليت الناس جروا من الحياة طلقها ولم يفسدوا على الطبيعة خلقها ، فانبت الربيع في كل قسوة رحمة وفي كل يأس املاً

(١) الحاكيات جمع حاكية الفنوغراف .

وفي كل حزن سروراً وفي كل ظلام نوراً ، ليتهم اجتمعوا على ورد
الحياة متصافين كما ترف على جداول الربيع الرياحين .
ولكن الانسان قد حارل بادعائه وكبريائه ان يكون عالماً بذاته فكان
نشوراً في نغم الكون ونفوراً في نظام العالم ، فلو انه اقتصد في تصنمه
وائتلف كما كان بالطبيعة لاتحد الآن مع الربيع فشعر بتدفق الحياة في
جسمه واشراق الصفاء في نفسه وانبثاق الحب في قلبه واحس انه هو في
وقت واحد زهرة تفوح وخضرة تروق وطائر يشدو وطلاقة تفيض على
ما حولها البشر والبهجة .

وبعد فان لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة رسالة بليغة تؤديها الى
النفوس الشاعرة والفطر السليمة فليت شعري اية رسالة يحملها الربيع
الى ذوي القلوب الواعية منا ؟

قابل ايها القارىء بين الشتاء والربيع ، بين رقدة الطبيعة ونهضتها وان
شتت فبين موتها ونشورها فستجد هذه على قصر امرها قد تضمنت
حكمة الحياة كلها والى هذه الحقيقة يشير الربيع في رسالته الى الناس .

عبد الوهاب عزام
(بتصرف)

دمشق

دمشق اسم المدينة الجميلة ، مدينة السحر والشعر ، وقد اطلق ايضاً اسم (جلق) على مدينة دمشق وورد هذا الاسم في الشعر القديم ، ومنه في شعر حسان :

لله در عصابة نادمتهم يوماً يجلق في الزمان الاول
وقيل جلق اسم لغوطة دمشق كلها ، ويكاد يكون الاجماع على ان
جلق هي دمشق وسموا دمشق جلق الخضراء والغوطة وذات العماد .
وتعلمو دمشق الفين ومائتي قدم عن سطح البحر المتوسط وتبعد عنه
نحو ستين ميلاً وهي سهلية جبلية معتدلة الهواء تأخذ للفصول الاربعة
فيها حكمها ، وقد تنزل درجة الحرارة في الشتاء الى اثني عشرة درجة
تحت الصفر وتصعد فيها ايام الصيف الى نحو ٣٧ درجة . وهي هبة
(بردى) الذي سماه اليونان نهر الذهب كما ان مصر هبة النيل .
وكانت دمشق لقربها من جزيرة العرب والعراق والجزيرة ومصر
مدينة تجارية تصل بين الشرق والغرب . وظلت عامرة على اختلاف العصور
نحو اربعة آلاف سنة . فهي أقدم مدينة في العالم باقية على عمرانها . وما
نفخر به ان لها الوادين وادي بردى ووادي العجم يشق الاول نهر
بردى مضافة اليه مياه عين الفيحة ويشق الثاني نهر الأعوج .
ومن خصائص دمشق انها وسط غوطتها الغناء التي تخرج بقولها
وفاكحتها واخشابها واحطابها ، وهي على مقربة من اقليم حوران تجلب
منه حبوبها الجيدة ، وعلى اميال يسيرة من اقليم الجولان ترعى ماشيتها
وعلى فراسخ قليلة من مصايفها ومشاتها ترى في بعضها الهواء العليل
البليل طوال السنة وفي الوقت عينه تشتد في بعض أماكن حرارة الصيف .

فغورها على مقربة من نجدها وجبالها كسهولها تتعاون على جلب الخيرات اليها ، والثلج لا تخلو منه اعالي جبالها صيفاً وشتاء ، وماء الشفة يجلب اليها في أنابيب تسقي دورها ومصانعها وتندر في المدن الكبرى مدينة كهذه تسقى ماء طاهراً لذيذاً كما عين الفيحة ، وبهذا قلت فيها الامراض الوافدة .



وقد ازدهرت دمشق في عهد بني أمية فبنى معاوية فيها قصر الامارة جنوب المسجد الأموي وسمي بالخضراء لقبة خضراء قامت عليه قيل انه أنفق عليه ثمانية عشر حملاً من الذهب وبني الأمويون بيوتهم في جوار الجامع ، وكان لمعظمهم قصور في الغوطة ومنهم من كان يؤثر نزول البادية لئلا يخمل ابناؤهم بعيش الحضارة .

نسخة مجانية

وجاء الخليفة الوليد بن عبد الملك وكان مولعاً بالعمارة فبنى بها
الجامع الأموي .

وذكر المؤرخون ان الوليد اتى بالصناع والمهندسين من الروم أي من
الروم الوطنيين وبناه على أعمدة من الرخام طبقتين الطبقة التحتانية أعمدة
كبار والتي فوقها صغار في خلالها صورة كل مدينة وشجرة في الدنيا
معمولة بالفسيفساء بالذهب والخضرة والصفرة . وكان ابتداء عمارته في
أواخر سنة ست وثمانين هجرية وتكامل في عشر سنين . وقد انفق
الوليد على نشيده وتزيينه خراج الشام سنتين وقيل أكثر من ذلك وكان
خراجها الف الف دينار ومائتي الف دينار كل سنة فجاء أجمل جامع
في الاسلام يليق بعاصمة الخلافة الاسلامية وبقي على جماله الى سنة ٥٤٦١ هـ
ايام ذهبت محاسنه في الحريق الذي وقع في دولة الفاطميين وقد حرق
ست مرات في عصور مختلفة .

وقد عمرت دمشق في العهد الأموي عمراناً ما عهدت مثله في القرون
الغابرة ولا في القرون اللاحقة ، فابقى كل واحد من خلفاء بني أمية
أثراً فيها مع ان ملكهم لم يدم أكثر من الف شهر . وجاء العباسيون
فكان بعض المتقدمين من خلفائهم كالرشيد والمأمون يختلفون اليها - كما
قال ابن عساكر - طلباً للصحة وحسن المنظر . وقال صاحب الاغانى :
ان المأمون دخل دمشق فطاف فيها وجعل يطوف على قصور بني أمية
ويتتبع آثارهم فدخل صحناً من صحنهم فاذا هو مفروش بالرخام
الاخضر كله ، وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها من عين تصب اليها
وفي البركة سمك وبين يديها بستان على اربع زوايا سروات كانها قصت
بمقراض من التفافها .

والبيت الدمشقي في العادة مكون من صحن أو فناء فسيح في وسطه
حوض ماء يتدفق اليه من انبواب أو فوارة لا ينقطع جريها وقد غرست

من الرياحين والاشجار المثمرة كل جميل وعطر وعلى جوانب هذا الصحن المخادع والغرف والقاعات ، وفي القاعة بركة ماء ايضاً وربما جرت على قامة في الجدار ، لتزيد في رطوبة المحل في الصيف . وفي الطبقة الثانية العلالي وهي خاصة بالشتاء على الاغلب فبيوت دمشق القديمة حوت جميع المرافق ومنها الحديقة والاشجار والمياه . والغالب ان الزلازل في الدهر السالف دعت الاهلين الا يستخدموا الحجر في بنيانهم الا نادراً ، أما اليوم فاول عليه في البناء الحجر والاسمنت المسلح والآجر والقرميد . لكن الطراز القديم في البناء أقرب الى حفظ الحرارة واتقاء البرد من الطراز الحديث .

وتنقسم دمشق اليوم الى قسمين متجاورين المدينة القديمة والمدينة الحديثة يقوم القسم القديم حول جامع بني أمية والقلعة داخل السور وظاهره وقد حافظت احيائها على مظهرها القديم وعلى ما كانت عليه منذ مئات من السنين ، ويخترق هذه المنطقة من الغرب الى الشرق شارعان الاول ويصل ساحة الشهداء بمحلي القصاع وباب توما ويمر فيه خط ترام طوله احد عشر كيلو متراً يصل دوما بدمشق . وفي هذا الشارع حوانيت العلافين والحدادين وبائعي البقول والاثار وحواصل الخشب . وفيه سوق الخضروات ، وفيه جامعان اثريان جامع السادات وجامع المعلق .

والشارع الثاني يقع الى الجنوب وداخل السور وهو جزء من الشارع المستقيم الذي يصل باب الجابية بالباب الشرقي . وتكثر في هذا الشارع متاجر النسيج الوطني والاعبئة والكوفيات والعقل والنحاس وبين هذين الشارعين شارع ثالث وهو سوق الحميدية جنوبي القلعة وينفذ منه الى جامع بني أمية وهو من اهم شوارع المدينة تتمركز فيه الحركة التجارية وفيه اكبر مخازن المصنوعات الاجنبية ويعارض هذه الشوارع عدد كبير من الطرق والازقة ليسهل اتصال هذه الشوارع بعضها ببعض .

وقد حافظ اكثر اقسام الشوارع الاخيرة على حالتها القديمة ونصيبها من التجدد وال عمران ضئيل ويخيم عليها مظهر الكآبة والفقر . ولولا وفرة الابنية الأثرية التي تزين هذه الشوارع لما امتازت عن عمران قرية من القرى وبعض أسواق المدينة لا تزال مغطاة غير مكشوفة على نحو ما كانت الشوارع في معظم بلاد الشرق قديماً .

وقد خطت دمشق منذ عشرين سنة خطوات سريعة في سبيل العمران وانشئت فيها احياء حديثة وتجددت اخرى مما يبشر للمدينة بمستقبل زاهر ، ولا سيما بعد ان وضع لها مخطط روعي فيه أحدث أساليب العمران . وتمتاز دمشق عن غيرها من المدن بكثرة متزهاتها تحديق بها الاشجار من كل جهة ، وحيث خرجت منها لا ترى الا متزهات واشهرها وادي الربوة والمزة والغوطة ، واما ملاهي المدينة ودور السينما والفنادق فهي يجوار ساحة الشهداء حيث اكبر المصالح الحكومية .

والدمشقي يعطف منذ القديم على الغريب حتى يكاد يفرط فيما تقتضيه واجبات الضيافة والمجاملة ، هكذا علمه بنو امية على ما يظهر يوم كانت دمشق عاصمة الاسلام بل عاصمة الدنيا كلها . والدمشقي يحنو على الفقراء ويكثر برهم ، ولا سيما في الاعياد والمواسم والمآتم ، وما زال يعاضد الجمعيات الخيرية التي الفها فريق من أهل الخير والحمية لتعول الفقراء وتعلم اليتامى .

ومن طبع الدمشقي ألا يؤخذ بالعنف وهو يلين حتى مع خصمه ويهش في وجه من يكرهه . فكما انه يحسن معاملة كل انسان على اختلاف الدين واللسان يجب ان يعامل على هذه الصورة فإذا لم يلق مثل هذا من مخاطبه وعشيرته وشريكه ينفر منه في باطنه ولا يظهر له عداوة ولا خصومة على الأغلب ، لأنه اشتهر برقة الحاشية واللفظ والادب ، مثله في ذلك مثل ابن القاهرة لمهدنا وعلى منوال هذا ينسج الدمشقي فيما

ينقصه من مقومات الحياة العصرية . ودمشق والقاهرة تتشابهان كثيراً .
ولو كان لدمشق من ينظم شؤونها تنظيمًا فنيًا ويحمل جميع طبقاتها على
مراعاة القوانين - وحب القانون يقبل في أبنائها كما يكثر فيها العطف
على المسيء يوم تحقق عليه العقوبة - لجاء من مدينتهم أجل مثال في
العواصم العالمية :

وتشتهر النساء الدمشقيات بجمال طبيعتن وحسن هندامهن ، ورقيق
لهجتن ، وهن في الاجمال ربات بيوت ومربيات اولاد عرفن بصبرهن
وجراتهن على الاغتراب ، واذا اغتربت الدمشقية كونت لها بيئة خاصة
كأن تؤلف من بنات بلدها مجتمعاً وتطبع البيت الذي تدخله بطابعها من
النظافة وحسن الادارة والاقتصاد على الأكثر ، ومنهن أوانس وعقائل
رحلن الى القاصية وما نزلن عن مشخصاتهن بعد طويل الاغتراب ، ولا
نسين أهلهن وديارهن ، ويزداد عطف الدمشقي على الدمشقي والدمشقية
على الدمشقية كلما تناءت الديار التي صاروا اليها .

السيد كرد علي

في غار حراء

في غار حراء - وهو غار يقرب من ثلاثة امتار في مترين في قمة جبل على يسار السالك من مكة الى عرفة - كان محمد وهو في سن الاربعين قبيل الرسالة يتحنث فيه .
كان محمد في هذه الايام يألف العزلة ، « ولم يكن شيء أحب اليه من ان يخلو وحده » .

« وكان يخرج الى شعاب مكة ويطون اوديتها » .

« وكان يقضي شهراً مجاوراً في غار حراء » .

هكذا تقول كتب السيرة .

فيم كان يفكر؟ ما الذي كان يطلب؟ ما هي الحالة النفسية الجديدة التي استولت عليه؟ وما الذي جعله يهرب من الناس وقد كان بهم ائساً؟ يسعد بالوحدة ويسعى الى العزلة ولا يظمن إلا الى نفسه وتفكيره . وما الذي جعله يختار قمة جبل يشرف منه على العالم حوله فتسبح نفسه في التفكير من غير ان يحدها حد أو يقف بها عند غاية؟

ما هذه الأفكار التي كانت تملأ نفسه شهراً فلا يمل التفكير ، ولعله

كان يود ان يبقى كذلك شهراً لولا واجب أهله وواجب عشيرته؟

ولكن هل لنا ان نتساءل هذه الاسئلة؟ وإذا سألناها فهل في

استطاعتنا ان نجيب عنها؟ .

هل في استطاعة الجاهل أن يشرح افكار الفيلسوف؟ وهل في مكنة

من لا يحسن الرياضة ان يتخيل ما يفكر فيه الرياضي؟ وهل للنملة ان

تتساءل: فيم يفكر الانسان؟ .

ولكن ما حيلة الانسان وقد خلق طموحاً إلى أقصى حد وأبعد غاية ولم يقنع في باب المعرفة بشيء؟ لم يقنع بالارض ففكر في السماء ولم يقنع بالظاهر ففكر في الباطن بل لم يقنع بآثار الله فأراد ان يعرف ذات الله وهيئات هيئات!

أكبر الظن ان «محمدأ» في هذه الفترة، وعلى الأخص في غار حراء كان في حيرة ما أشدها من حيرة عبر الله عنها بقوله (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) .

لقد عرف قومه فلم يعجبه دينهم ولا نوع حياتهم ولا كفرهم ولا ايمانهم ولا أخلاقهم، وسافر الى الشام فرأى فيها مدنية الرومان بماها وأعمالها التجارية وترفها ونعيمها ودينها الرسمي ومظاهره فلم يعجبه شيء من ذلك. لقد رأهم يعيشون كما يعيش السمك يأكل بعضه بعضاً او كما تعيش الذئب والشيء في حظيرة واحدة. رحماك اللهم! ما هذه الحيرة الشاملة؟ لا البداوة بسذاجتها ونظامها أعجبتة، ولا الحضارة بترفها وزخارفها أعجبتة. لم يعجبه ما رأى من وثنية ولم يعجبه ما رأى من نصرانية. فأين الحق؟

لقد اطمأن إلى شيء واحد هو ان كل ما رأى ضلال وحيره شيء واحد هو سؤاله اين الهدى!

حالة نفسية إذا تملكك نفساً مرهفة وشعوراً دقيقاً ملكت نفسه وغمرت قلبه، فعلا له ان يعتزل الناس لأنهم يحولون بينه وبين تفكيره، ويقطعون عليه سلسلة مشاعره.

لقد جرب العزلة الساعة واليوم فوجدتها تفتح قلبه وتريح نفسه ووجد فيها مفتاحاً لحيرته واتجاهاً لهدايته فبالغ فيه حتى بلغت الشهر!

ان الناس وضوضاءهم ومناظر حياتهم يضمنون نفسه فليهرب منهم. وان منظر الطبيعة يجهاها وبهاؤها ورونقها ليحيي نفسه فيطمئن اليها.

نسخة مجانية

يتعاقب عليه في عزلته الليل والنهار فيجد في كل غذاء نفسه : هذا الليل في أعلى الجبل بسكونه وهدوئه وسمائه ونجومه ، والعالم حوله كله قائم وهو يناغي النجم ويشاطره الاضطراب والحيرة ، وهذا النهار - في أعلى الجبل أيضاً - يشرف منه على العالم من تحته فيهزأ بالناس وسخافاتهم هزأ مشوباً برحمة ، واستخفافاً ممزوجاً بعطف .

كل ذلك وأكثر من ذلك كان يخفق له قلب محمد في غار حراء . لقد عرف الباطل ويريد ان يعرف الحق وأدرك الضلالة ويريد ان يدرك الهدى ولم يجب ما عليه الناس ولكن يريد ان يعرف ما ينبغي ان يكون عليه الناس .

هذا الظلام فأين النور ؟ وهذا العمى فأين البصر ؟ وهذا ما يجب الا يكون فأين ما يجب ان يكون ؟

لقد طلب الحق - في غار حراء - بعد ان تهيأت نفسه واستعدت روحه وكملت مشاعره وتوجت بالحيرة فكانت حيرته ارهاصاً لليقين وضلاله ارهاصاً للهدى .

لم يطلب الحق من طريق الشعر فالشاعر يخلق ما لم يكن ولا يدرك ما يجب ان يكون والشاعر يغني لنفسه - اولاً - ولا بأس ان يسمع الناس والشاعر يعيش في جو خيالي يخلقه بنفسه لنفسه وليس هذا من النبوة في قليل ولا كثير . ولم يطلب الحق من طريق الفلسفة او العلم فكلاهما عبد المنطق عبد الالفاظ عبد الكتب عبد النصوص . وقصارى امرهما انها عبدان للعقل والعقل معيب مغرور مضل ولكل انسان عقله ولكل انسان تفكيره ولكل انسان منطقته وقضاياه .

انما طلب محمد الحق من طريق اسمى من ذلك كله وارفع من ذلك كله طلبه من طريق القلب وأعلن انه لم يطلب علماً ولكن طلب ايماناً فأعلن انه امي وفخر بأميته لان القلب فوق اللغة وفوق الكتابة والقراءة

وفوق العلوم وفوق المنطق وهو القدر المشترك بين الناس لا يؤمن بمحدود اللغة والجنس ولا يؤمن بمحدود اللسان والالوان .

من أجل هذا لم يذهب - وقد حار - الى معلم يعلمه الكتاب ، ولا الى مثقف بالكتب والاديان وانما فضل على ذلك كله غار حراء حيث الطبيعة - على فطرتها - مفتوحة امام قلبه وحيث يتصل هو وهي برها وربها .

لقد اهتدي الى الصراط المستقيم واتجه اتجاه الانبياء لا اتجاه الشعراء والعلماء وتهياً للأمر العظيم فلمعت في قلبه الشرارة الالهية كما يتهب السحاب فيلمع البرق .

لقد اضاءت له هذه الشرارة الالهية كل شيء وكانت رسالته من جنس هدايته فرسالته ان يبعث الحياة في القلب ويبعث الضوء الى النفس كالقمر يستمد نوره من الشمس ثم يمسك أشعته الجميلة على الناس يشترك في الاهتداء به العالم والجاهل والذكي والغبي والفيلسوف والعامي على اختلاف فيما بينهم لان لديهم جميعاً قدراً مشتركاً من القلب صالحاً للاهتداء .

وليست العقول مسيرة في الرقي والالمحطات للقلوب فقد يكون مريض القلب صحيح العقل وقد يكون صحيح القلب مريض العقل . ومقياس صحة الاستفادة من النبوة صحة القلب لا صحة العقل فلذلك آمن بلال قبل ان يؤمن عمرو بن العاص وأسلمت جارية بني مؤمل قبل ان يسلم أبو سفيان .

كانت فترة غار حراء الحد الفاصل بين محمد بشراً ومحمد بشراً رسولاً لقد صعد اليه انساناً حائراً وهبط منه انساناً نبياً مهتدياً مطمئناً لمع في قلبه النور الالهي فاذا كل شيء حوله شفاف يراه بقلبه ويكشفه

نسخة مجانية

بنورہ .

نزل من الغار يدعو الناس ان يستضيئوا بضوئه وان يحيوا قلوبهم من
حياة قلبه وان يسمعوا لصوت الله على لسانه وان يروا عظمة الله في
كل أثر من آثاره .

أي شهر كان هذا الشهر؟ لو وزن به الزمان لوزنه . وأي مكان
غار حراء؟ لو فاضل كل مكان لفضله .

احمد امين

خولة بنت الازور

في السنة الثالثة عشرة للهجرة يعزم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفتح الشام فيجمع الصحابة ويخطبهم قائلًا: «وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول ان يصرف همته الى الشام فقبضه الله اليه ، واختار له ما لديه ألا واني عازم ان اوجه ابطال المسلمين الى الشام بأهلهم وما لهم ، فماذا ترون ؟ فلا يرى من المسلمين الا ارتياحاً فيعمد الى بقية الأمصار الاسلامية من أطراف الجزيرة فيكتب اليهم بالامر ويستفزهم خفافاً وثقالاً ليجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وما هي إلا اسابيع حتى تقدم عليه الوفود في العدد العديد والذراري والأموال فيخرج اليهم المسلمون مستقبليين بوجوه باسمة وقلوب جذلانة ، ويهم المدينة روح مبارك ، وكيف لا والمسلمون يجتمعون كلهم في صعيد واحد لنصرة دين الله ورفعته شأن التوحيد .

ها هي ذي حمير بدروعها الداوية وسيوفها الهندوية تزحف بألافها المؤلفة وعلى رأسها زعيمها ذو الكلاع الحميري يكبر ويهمل والقوم من ورائه يكبرون ويهللون ، وها هي ذي كتائب مذبح وطية والازد وكنانة بخيولها العتيقة ، ورماحها الدقيقة تؤم عاصمة الاسلام ، فما ان يرام ابو بكر حتى يخبر الله شاكرًا أن الف من هذه القبائل المتنافرة امة واحدة نزع الله ما في قلوبها من غل وجمالم بنعمته اخواناً ينصرون دينه وينشرون رسالة نبيه في أطراف المعمورة .

اجتمعت هذه الآلاف العديدة فمسكرت خارج المدينة تنتظر اشارة ابي بكر خليفة رسول الله ، وما أن تكاملت الوفود حتى خرج اليهم نسخة مجانية

رضوان الله عليه في جمهرة من كبار الصحابة ، فما ان أشرف عليهم من عل ورآهم قد ملأوا السهول والجبال حتى حمد الله وقال : « اللهم انزل عليهم النصر وأيدهم ولا تسلمهم الى عدوك انك على كل شيء قدير » .

ثم أمر الأمراء وعقد الأولوية وأوصاهم وصيته الخالدة وفيها يقول : « شاورهم في الامر واستعمل العدل فانه لا أفلح قوم ظلموا واذا لقيتم العدو فلا تولوهم الادبار ، واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ، ولا تغدروا اذا عاهدتم ، وستمرون على قوم في الصوامع رهباناً يزعمون انهم تهربوا في الله فلا تهدموا صوامعهم ودعوهم ، فأمن القوم وهللوا فدوت بأصواتهم الجبال ثم ساروا على بين الله وسار الخليفة وكبار الصحابة يودعونهم حتى ثنية الوداع .

صار القوم وكلهم ايمان وصبر وعزيمة وحزم وطاعة لامرائهم وجدد على السير وتواد وتعاطف .

كان في هذا القوم شاب كندي ما جاوز العقد الثالث جميل الهيما عالم بفنون الحرب فاتك في النزال قوي الايمان بنصرة الله عباده المخلصين لا يعرف الا الاقدام يتقدم الجيوش والمنية مشهرة سهامها ذلك هو الامير « ضرار بن الازور الكندي » الشاب الحدث الذي ما اغنى غناؤه بطل في فتوح الشام الا سيد القواد سيف الله خالداً .

وكان في الغازيات اللائي كنّ يتبعن هذا الجيش كاعب عروب ذات جمال باهر وطرف فاتر خرجت فيمن خرجن من عقائل حمير تأسو الجرحى وتمين على نصرة الحق . واقد ابلت بلاء مغاوير الابطال فكان هذا الغزال الغرير ينقلب الى اسد كاسر يصلي العدا ناراً حامية يروع القلوب وتجف من هوله الافئدة ولم لا وهي ابنة (الازور) ذلك البطل الذي قضى بين يدي المصطفى دفاعاً عنه ، واخت ضرار صاحب فتوح الشام ؟

المسلمون يحاصرون دمشق وأهلها في أشد الضيق وبيننا المسلمون يكادون يظفرون بالقوم اذا هم برسول من قائد جند اجنادين يخبر خالداً ان الروم تجمعوا عليهم في اجنادين في عدد عديد فيشاور خالد ابا عبيدة في ترك دمشق فلا يرى ذلك ابو عبيدة فيقول خالد « فأرى ان ترسل اليهم كتيبة عليها قائد درب وأرى ان ترسل اليهم يا امين الأمة رجلاً لا يخاف الموت ابداً خبيراً بلقاء الرجال قد مات ابوه في القتال فقال ابو عبيدة ومن ذلك يا ابا سليمان؟ قال هو ضرار بن الازور بن طارق فقال ابو عبيدة لقد صدقت ووصفت رجلاً باذلاً معروفاً .

استدعى خالد ضراراً فقال له يا ابن الازور اريد ان اقدمك على خمسة آلاف قد باعوا أنفسهم من الله عز وجل واختاروا دار البقاء والآخرة على الاولى فقال ضرار : « وافرحته يا ابن الوليد ما دخل قلبي مسرة اعظم من هذه ثم يسير ضرار على يمن الرحمن فلما بلغ اجنادين رأى جيش الروم ينحدر كأنه الجراد المنتشر وهم غائصون في الدروع وقد اشرقت الشمس عليهم فلهعت دروعهم وخوذهم فقال اصحاب رسول الله اضرار: « مالنا والله بهم حول، فان هؤلاء جيش عمرم خير لنا ان نقفل » فيكره ضرار ذلك القول ويقول : « والله لا يراني الله منهزماً ولن ازال اضرب بسيفي في سبيله واتبع سبيل من اتاب اليه ولا اوليهم الدبر والله يقول : وَلَا تَوَلَّوْهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِمَقْتَلٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِبَغْضَابِ مِّنَ اللَّهِ » ثم تكلم رافع بن عميرة فقال « يا قوم اما نصركم الله في مواطن كثيرة وانتم قليلو العدد؟ الا ان النصر مقرون مع الصبر ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قال قوم طالوت : رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَثَبَّتْ أَمْنًا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »

نسخة مجانية

فيسترد القوم قواهم ويهللون ويكبرون « الله اكبر الله اكبر سيئهزيم
الجموع ويؤكثون الدبر » .

التقى الجمعان وضرار يتقدم القوم وهو يرتجز:

الموت حق اين لي منه المفر وجنة الفردوس خير المستقر
هذا قتالي فاشهدوا يا من حضر وكل هذا في رضا رب البشر
ثم اخترق القوم وحمل عليهم حملة نكراء فأحدقوا به فأخذ يستصرخ
قومه ويقول « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً
كانتهم بئسيان مروضون » ، فیهجم المسلمون ويصيب ضراراً سهم
في عضده فيطمع الروم فيه ويحملون عليه فيأسرونه ويحيء خالداً الصريخ
فيولي على جند دمشق ميسرة بن مسروق سيد بني عبس ويتوجه بطليعة
الى اجنادين وكان بين جنده فارس على جواد فاره وبيده رمح طويلة
تجلبب بجلابيب سود وتلثم حتى لا يرى منه الا الحدق وكان يسبق القوم
وخالد يعجب من أمره فلما ان أدرك خالد المسلمين في اجنادين وجد هذا
الفارس الملثم يهبط على الروم كأنه النار المحرقة فزعزع الكتائب وحطم
الاجناد وكان يخرق قلب خميس الروم فما هي الا جولة جائل حتى
يخرج وسنانه ملطخ بالدماء وقد جندل رجالاً وصرع ابطالاً ثم يعود
فيخرق القوم ثانية معرضاً نفسه للهلاك والناس امامه اما مصروع او فار
وكثر قلق المسلمين عليه وهم لا يدرون من هو - وقد ظنه بعضهم
خالداً فما هي الا جولات خالد - ولما رأوا خالداً بينهم سألوه عنه فقال
انا والله لأشد انكاراً وتمجيباً .

وما ان غابت الشمس ووقفت الحرب حتى تحدق القوم بهذا الفارس
وفيهم خالد يسألونه عن اسمه فلا يجيب ثم ينحني بخالد زاوية فيقول له
« ما سكت يا سيف الله حين سألتموني عن اسمي الا حياء منك لأنك
أمير جليل وأنا من ذوات الحجال وانما حملني على ذلك اني محرقة الكبد

زائدة الكمد . فقال : من أنت ؟ قالت : خولة بنت الازور اخت ضرار
أسير الروم أتاني آت بنخبر أخي فركبت و فعلت ما فعلت .
أشرقت الشمس فجسد المسلمون عزائمهم وكرروا على الروم وحملوا
حملة عظم أمرها على الروم ، وكانت خولة تجول في كل مكان تطلب
أخاها وهي لا ترى له أثراً ولا يراه أحد من المسلمين فيعم القوم حزن
شديد وتبكيه بقولها : « يا ابن امي ليت شعري في أي البيداء طرحوك
أم بأي سنان طعنوك يا أخي اختك لك الفداء . ليت شعري ، أتراني
أراك بعدها أبداً ؟ فقد تركت في قلب اختك جمره لا يخمد لها ولا
يطفا ، فعليك مني السلام الى يوم اللقاء ، فبكي القوم وبكى خالد لحالها ،
وبينا المسلمون في شدة واضطراب اذا هم بمن يخبرها بأن الروم أخذوا
ضراراً إلى صاحب حصص لينفذه الى الملك ، ففرح خالد وتهلل وجهه
وشكرت خولة الله فدعا خالد رافع بن عمرة الطائي لينفذه إلى حصص ،
فسار خالد في مئة منهم خولة فما وصل القوم قرب حصص حتى كمنوا
فيينا هم كذلك إذا بنفر أقبلوا فنبه رافع قومه فلما قاربوهم | كر عليهم
رافع فاذا فيهم ضرار فتجالد الفريقان حتى أنقذ ضرار فخرت خولة
له شكراً وشكر خالد لرافع بلاءه .

هذا موقف من مواقف بسالتها الخالدات ، وما موقفا يوم اسر
النساء في يوم صحورا والناس يغزون الشام بالأمر الذي ينسى . فقد ذكر
الطبري انها أسرت في فريق من نسوة حمير فجمعتهن وخطبتهن تستعثن
على الثورة على هؤلاء الاعلاج فقالت : « يا بنات حمير وبقية تبع
أترتضين لأنفسكن علوج الروم وان يكون اولادكن عبيداً لأهل الشرك ،
فإن شجاعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب ولا أراكن الا بعزل
عن ذلك واني أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما نزل بكن
نسخة مجانية

من خدمة الروم الكلاب ، فقالت عفراء بنت غفار الحميري « صدقت
والله يا بنت الازور ، نحن والله في الشجاعة كما ذكرت وفي البراعة
كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ، ولقد اعتدنا ركوب
الخيال وهجوم الليل ، غير ان السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت ،
ولقد دهمنا العدو على حين غرة وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح »
فقالت خولة : « يا بنات التبابعة خذوا أعمدة الخيام وأوثاد الأطناب
نحمل بها على هؤلاء فلعل الله ينصرنا فستريح من المعرة » فقالت عفراء :
« والله ما دعوت الا ما هو أحب الينا » ثم تناولن الأعمدة وتقدمتهن
خولة وهي تقول لهن لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة
واوسعن ارجل افراس القوم ضرباً ولا تتفرقن فيقع بكن التشتيت ثم
هجمت وهي تقول :

نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر
لانتنا في الحرب فار تسعر اليوم تسقون العذاب الاكبر

وما هي إلا جولات حتى خلصن إلى المسلمين .

هذان موقفان من مواقف البطولة في هذه المرأة العربية المسلمة ولقد
كان لها رضوان الله عليها مواطن آخر غر صالحات جعل الله منها اسوة
حسنة لمرأة اليوم هداها الله أقوم طريق .

محمد اسعد

الذبابة اخطر من القنبلة الذرية

يقتل الذباب آلافاً من الاطفال كل عام ، ويميت او يضعف عدداً غير قليل من البالغين ، ويهلك ملايين الحيوانات ، ويرجع ذلك الى كثرة أنواعه ، وتعدد أفراده ، وانه من أقدر الحشرات على حمل جراثيم الامراض .

وقد حير أكفأ العلماء المختصين في مكافحة الحشرات ، وخيب آمالهم إذ سخر من سلاحهم العجيب المرموز اليه بعض حروف الهجاء «د.ه.ت» والذي حسبوه أشد عدو له .

واقدر كان هذا السلاح فتاكاً أول ظهوره ، ورشت به من الجو مدن بأكملها فلم تبق فيها ذبابة واحدة حية . أما اليوم فذباب البيت يستطيع ان يتناول من هذا السم ما يشاء آمناً^(١) .

وأمر الذبابة عجيب ، فعلى الرغم من ان العلماء ظلوا عدة قرون يدرسون شؤونها فإنهم لم يستطيعوا حتى اليوم ان يكشفوا كثيراً من أسرارها ، ولم يعرف أحد منهم على وجه التأكيد كثيراً من خصائصها ، كطريقة الرؤية والشم والذوق والنوم . كيف ترى ؟ وهل تسمع وتشم وتنام ؟ وكيف تجد طعامها وتختار رفاقها ، وتدافع عن نفسها ، وتطير الى غايتها؟ .. وما الى ذلك من معلومات .

ومما يعرف عن الذبابة الآن انها تحمل جراثيم شلل الاطفال ، ففي أحد الاختبارات ، وقفت ذبابة ملوثة على قطعة من الموز ، ثم قدمت

(١) ذلك ان الانواع التي هلكت تركت اجيالا مرتت على احتمال ذلك السم شيئاً فشيئاً حتى صارت لا تتأثر به .

القطعة لقرد في طعامه ، فأصيب بالمرض .
كذلك يعرف انها تحمل جراثيم الرمد والاسهال وكثيراً من امراض
الصيف القاتلة ، وان طرفي قدميها اللزجين يحملان آلاف الآلاف من
الجراثيم المختلفة من بينها جرثومة الجمره و (الكوليرا) و (التيفود)
والسل وغيرها ، وهي تسبب للزارعين خسائر فادحة بما تنقله من جراثيم
تفتك بالنباتات والماشية .

وفي وسط افريقية وغربها مساحات تتسع لحياة نحو مائتي مليون من
الأنفس . ولكنها بسبب انتشار الذباب تكاد تكون مهجورة . والذبابة التي
تنقل مرض النوم^(١) منتشرة انتشاراً كبيراً في نيجيريا ، وتنتشر مرضاً
خطيراً آخر يفتك بالماشية في وقت قصير .

ومن أنواع الذباب الغريبة ، نوع متأنق يعيش على دم الحمام وحده ،
فيهجم على صفاره وهي في العش ، وينقل اليها اثناء امتصاص دمها
نوعاً معيناً من الحمى ، وثمة ذباب لا أجنحة له ، يظهر في منتصف
الشتاء ببعض الجهات الاوروبية والامريكية . وهناك نوع آخر صغير
يستطيع ان ينفذ من فتحات أدق شبكة للبعوض وفي منطقة (الامازون)
وبعض انحاء استراليا نوع يبلغ من الكبر حداً يخيف العصافير ، ويبلغ
طول جناحيه عند بسطها ثلاث بوصات .

والذبابة تستطيع ان تعيش في كل مكان تقريباً ... بل انها قد تعيش
وتتناسل داخل الجهاز الهضمي لبعض الناس والحيوانات . وقد حفظت
انواع منها في داخل زجاجات صغيرة محكمة الاغلاق . فأتمت دورة
حياتها وتناسلت وهي محبوسة . ولكن اكثر الانواع ينمو في الجو الدافئ
ويقتله البرد ولا سيما البرد المفاجيء ، وتضع الذبابة نحو مائة وثلاثين بيضة
في المرة الواحدة تفقس بعد يومين منتجة ديداناً صغيرة تسمى : يرقات

(١) وهي المعروفة باسم (تسي تسي)

تبقى في القاذورات والسماد وغيره من الفضلات نحو اسبوعين ، تستكمل فيها النمو ولا تلبث بعدهما ان تضع كل ذبابة من النشء الجديد بيضاً آخر ، وهكذا .

وبعض أنواع الذباب اللاذع له خرطوم حاد يخترق الجلد . اما ذبابة البيت فليست لها اسنان ، ولا تقوى الا على تناول الأطعمة السائلة . أما الأطعمة الصلبة - كالسكر والحلوى - فإنها تذيبها بأن تتقيأ عليها ثم تمتصها .

ومعظم أنواع الذباب يستجم^(١) اثناء الليل . ويستطيع ان يرتكز على الأسقف والحبال وما اليها بفضل المادة اللزجة التي في أطرافه . ويحتفظ بتوازنه اثناء طيرانه بمعاونة عضوين صغيرين ، يبرزان على جانبي الصدر ويمتلئان بالدم اثناء الطيران ، فإذا تلف أحد هذين العضوين فإن الحشرة تسقط وتصطدم بالأرض . ولم يكن قياس سرعة طيران الذبابة على وجه الدقة ، ولكنها بغير شك تفوق في سرعتها أكثر الطيور والحشرات المعروفة ، فهي تحرك جناحها الى اعلى ثلاثمائة مرة في الثانية ، على حين لا تزيد هذه المرات في حالات تلك الطيور على ثمانين مرة .

ومعظم الذباب يؤذي النبات أكثر مما يفيد . فبعضه يؤذي سيقان القمح ويسبب تفضنها قبل نضجها . وبعضه يؤذي نبات القرنبيط . والكرنب ، وسيقان الباذنجان . ويرقات الذباب لا تقل خطراً عن الذباب . ولها عدة اشكال ، ولكنها في الغالب تبدو في صورة ديدان صغيرة لا رأس لها ، وقد يكون لها ما يشبه الشص^(٢) يمكنها من لدغ جسم الانسان أو غيره ، وبعضها ذيل طويل يشبه ذيل الفأر ، ولكنه مجوف ، ووظيفته تمكين اليرقة من التنفس تحت الماء .. ومن خصائص يرقة الذباب انها تستطيع

(١) يستريح . (٢) السنارة .

ان تكيف نفسها على حسب البيئة التي تعيش فيها ، فنوع منها يعيش في آبار النفط ، ونوع في الينابيع الحارة ، وآخر يعيش وهو مدفون في الأرض على عمق سبع عشرة بوصة . وقد استطاعت يرقة ذباب ان تبقى حية بعد غمسها ساعة أو بعض ساعات في سائل قاتل (١) .

ومن اليرقات نوع يثقب جلد الانسان تاركاً الطرف العلوي في خارج الجلد كأنه انبوبة للتنفس ، ويبقى هكذا اياماً أو اسابيع ناعماً هائلاً . وبعض يرقات الذباب تلتصق بالجروح والاماكن الملتهبة في الأنف والأذنين وفي بعض المناطق الزراعية يتعذر تسمين الماشية في الصيف بسبب الذباب الذي يعيش على دماغها . وقد وجد ان الثور الواحد - في هذه المناطق قد يفقد خلال أربعة اشهر ما بين ثلاثين وسبعين رطلاً برغم ما كان يقدم له من علف كثير .

هذا وقد وصل العلماء الى عقار (٢) جديد يبيد الذباب ويفتك به ولكنهم لم يعرضوه في الأسواق لأنهم لا يزالون يجربون آثاره ونتائجهم كي يطمئنوا إلى خلوه مما يضر الانسان أو غيره من سائر انواع الحيوان والنبات .

على ان العقار الجديد وغيره من العقاقير الفتاكة بالحشرات لن يستطيع القضاء على ذلك العدو الخطير إلا اذا حرصنا على النظافة أشد الحرص ، والتزمناها في كل شؤوننا . وحرصنا الذباب طعامه - وبخاصة في مراحل حياته الاولى - ومنعناه ان يصل الى ذلك الطعام بالوسائل الناجمة ، وفي مقدمتها النظافة ، ولم نسمح له أن يسقط على أجسامنا وثيابنا وكل شيء يتعلق بنا جهد الاستطاعة .

من مجلة الهلال

بتصرف

(١) استطاعت ذبابة ان تعيش ساعة في محلول يحتوي على ٩٥ بالمئة من الكحول أما في محلول السلياني والترينتين وحامض الكلوردرريك فقد عاشت أقل من ذلك . (٢) دواء .

ابن بطوطة

اخذت فئة من المسلمين تجوب اقطار الاسلام وتطوف في بلدانه وترحل الى مختلف نواحيه بعد انفساح رقعة الخلافة الاسلامية وتراخي اطرافها من حدود الهند شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ومن اواسط آسيا شمالاً الى صحارى افريقيا جنوباً .

وقد دأبت هذه الفئة على الرحلة منذ القرن الثالث الهجري وكان لهذه الرحلات اسباب ودوافع يمكن حصرها في ثلاثة : الأول الباعث السياسي الذي حدا بالخلفاء في بغداد ان يوفدوا مبعوثيهم وسفراءهم الى البلاد الاسلامية المختلفة لدراسة احوالها وتطبيق احكام الشريعة بين سكانها ووصف الطرق والمسالك المؤدية اليها وتوثيق الروابط بين السلطة المركزية في بغداد وحاكم الأقاليم التابعة لها من سلاطين وأمراء وقد اقتصرت هذه الرحلات على الممالك الاسلامية وحدها .

الباعث الثاني تجاري قام به نفر من التجار المسلمين وغير المسلمين ابتغاء اسباب الرزق ، وسعياً وراء الكسب ولذلك لم تقتصر رحلات هذا النفر على التجوال في الأقطار الاسلامية بل تجاوزتها الى الممالك المجاورة . الباعث الثالث ديني وهو اداء فريضة الحج الذي اتاح لكثير من الحجاج مشاهدة المناطق المختلفة والاقطار المتعددة ووصف ما شاهدوا في طريق ذهابهم وإيابهم وهذا الباعث هو الذي دفع بن بطوطة للرحلة .

وقد كتب اولئك الجوابون طائفة من الكتب والمؤلفات عما شاهدوه من احوال البلاد التي زاروها وتحديد مواقعها وصفات اهلها كمجموع البلدان لياقوت ، ومروج الذهب للسعودي ، ومن هؤلاء الجوابين ابن

نسخة مجانية

بطوطة الذي ولد بمدينة طنجة في السابع عشر من رجب سنة ٧٠٣ هـ
١٣٠٤ م . ويسمى محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ويكنى
بأبي عبد الله ويلقب بشمس الدين ويعرف بابن بطوطة .

وقد حباه والداه بالعطف والحنان ، ونشرا عليه اجنحة المحبة والمودة
وهو ينحدر من اسرة كريمة المحتد طيبة العنصر اشتغلت بعلوم الشريعة
الاسلامية فترة طويلة من الزمان وأتاح ذلك لابن بطوطة فيما بعد ان
يدرس العلوم الشرعية ويتفقه في الدين الى جانب دراسته للادب وفنونه .
وظل ينعم بين والديه واسرته بطيب العيش وطمانينة النفس لا يفكر في
مفارقة وطنه والبعد عن والديه اللذين يكنّ لهما أصدق الحب الى ان بلغ
الثانية والعشرين من عمره حيث دعاه داعي الحج الى البيت الحرام فلبى
دعوته ، وكان ذلك تحولاً غير مجرى حياته وحبب اليه الأسفار ومواصلة
الرحلات غير آبه بما يواجهه من صعاب ينتقل من قطر الى آخر ومن
قارة الى اخرى ، ويصف ما رأى من بلاد واحوال ومشاهد وصفاً فيه
الدقة التي خلدهت في ميدان الرحلات بعد ان سبقه اليها عدد من الجوابين .
وفي سنة ١٣٧٧ م لبي نداء ربه في بلاد فارس بعد ان عاش نيفاً
وسبعين سنة جاب خلالها اقطار المعمورة ، وقدم لنا ثمار رحلاته .

وقد رحل ابن بطوطة ثلاث رحلات امتصت الأولى من حياته أربعة
وعشرين عاماً حج فيها اربع مرات في ازمنة متعاقبة ، وفي هذه الرحلة
التي بدأها للحج غادر بلدة طنجة سنة ١٣٢٥ م ماراً بمراكش والجزائر
وتونس وطرابلس الغرب ومصر ثم قصد عيذاب على البحر الاحمر ماراً
ببلاد الصعيد ليعبر البحر ، ولكنه لم يتمكن من عبوره لحرب قائمة
يومئذ بين المماليك والبجاء مما اضطره للعودة الى الفسطاط والرحيل عنها
الى فلسطين ولبنان وسوريا والحجاز حيث حج حجته الأولى التي سافر
بعدها من مكة إلى بلاد العراق والمعجم والأناضول ، ثم عاد لمكة حيث

حج حجته الثانية وأقام بها عامين غادرها بعدها قاصداً اليمن وعابراً البحر إلى افريقيا الشرقية وعاد منها ماراً بجنوبي جزيرة العرب حيث زار عمان والبحرين والاحساء ثم رجع إلى مكة وحج للمرة الثالثة وخرج منها إلى بلاد الهند ماراً بخوارزم وخراسان وتركستان وكابل والسند ومر في عودته بجزيرة سرنديب وجزر الهند والصين ومن هناك عاد إلى بلاد الغرب عن طريق سومطرة وزار بلاد العجم والعراق وسوريا وفلسطين ومنها إلى مكة حيث أدى فريضة الحج للمرة الرابعة وعاد لوطنه ماراً في طريق عودته بمصر وتونس والجزائر ومراكش ووصل مدينة فاس سنة ۱۳۴۹ م ، أما رحلته الثانية فكانت من فاس إلى بلاد الاندلس ماراً بطنجة وجبل طارق وغرناطة التي عاد منها إلى فاس ثانية .

وكانت رحلته الثالثة للسودان وقد ابتدأها بسجلماسة ثم تفازا ومالي وراغري وكارسخو وتمبكتو وتكدا وهكار ومن هناك رجع إلى فاس . اتصل ابن بطوطة بالسلطان ابن عنان من بني مرين سلطان فاس ، وأقام في حاشيته يحدث الناس بما رأى من عجائب الاسفار وهم يمجّبون من ذلك ، ولما علم السلطان برحلة ابن بطوطة وما ينقله عن البلاد التي زارها من طرائف الاخبار امر كاتبه محمد بن جزى الكلبي بكتابة ما يمليه عليه الشيخ ابن بطوطة وقد انتهى من كتابتها سنة ۱۳۵۶ م وسماها (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) .

وللرحلة قيمة علمية كبيرة وخصوصاً في الناحية الجغرافية ، اذ ألقت أضواء على كثير من الاماكن والبلدان أنارت جوانبها وحددت مواقعها ، وقد اعترف بأهميتها عدد من رجال الغرب في مقدمتهم الرحالة الشهير العالم (سيتزن) اذ قال : « اي سائح اوروبي يمكن ان يفتخر بأنه قضى من الزمان ما قضاه ابن بطوطة في البحث لكشف المجهول من احوال هذا العدد الكثير من البلدان السحيقة وتحمل من مشاق الاسفار ما

نسخة مجانية

نحمله بصبر وثبات وشجاعة . بل اي امة اوروبية كان يمكنها منذ خمسة قرون ان تجد من ابنائها من يجوب البلاد الاجنبية وفيه من الاستقلال بالحكم والقدرة على الملاحظة والدقة في الكتابة ما لهذا الرحالة العظيم . ان ما جاء به من المعلومات الصحيحة عن جهات افريقيا المجهولة لا يقل في فائدته عن معلومات (لاون) الافريقي .
هذه لمحة خاطفة عن حياة ابن بطوطة ورحلاته لعلها تكون قد ألقت بعض الاضواء على هذه الشخصية العظيمة التي صعدت بها همتها الى مصاف الخالدين .

كامل السوافيري

باختصار

وفاء نادر

عرف الانسان فضيلة الوفاء من أقدم عصوره ، وأدرك عميق أثرها في حياته ، فأحلمها مكانا رفيعاً بين الفضائل ، ورفع صاحبها مقاماً محموداً بين الناس ، واضفى ^(١) عليه ضرورياً ^(٢) من التقدير والاكبار ترضيه ، بل تغريه بالاستزادة ، وتدفع غيره الى محاكاته ^(٣) .
ولا غرو ^(٤) ، فإن طاعة الله ، وشكر المنعم ، والاعتراف بالجميل ، ومقابلة الاحسان بالاحسان ، واداء الأمانات ، واحترام العهود والمواثيق - كل اولئك مظهر من الوفاء واثر من آثاره .

وليست فضيلة الوفاء مقصورة على الانسان ، بل يشركه فيها صنوف من الحيوان الأعجم ، اليفه ، ووحشيه ، مستأنسه ^(٥) ، وبريه ^(٦) ، ولكن على تفاوت واختلاف ، وبعض الحيوان الاليف قد يكون أشد حرصاً وأقوى تمسكاً بالوفاء من الانسان ، والكلب خير مثل على ذلك ، والكلام عنه من هذه الناحية لا ينفد ^(٧) فقصص وفائه تجري على كل لسان ، وكلها ممتع ^(٨) ، شائق ^(٩) .

ولكنها - على كثرتها وطرافتها ^(١٠) - لا تبلغ في الروعة ^(١١) والتأثير مبلغ قصة الرحالة الالماني مع كلبه الأمين .

فقد تناقلت الصحف منذ عهد قريب أخبار فتى الماني ولع بالمخاطرة

«١» افاض «٢» انواعا ، المفرد ؛ ضرب . «٣» مجاراته والتشبه به . «٤» لاغرو لا عجب ولا غرابة . «٥» اليفه . «٦» وحشية . «٧» لا ينفد ؛ لا ينتهي . «٨» شائق معجب . «٩» جذاب مرغوب فيه . «١٠» جمالها . «١١» شدة تأثيرها الذي يعجب النفس ويرضيها .

وحب الرحلات ، والتنقل بين الصحارى والمجاهل (١) لا يصعبه فيها
الا عزمه ، وشجاعته ، وبعض السلاح والمؤونة . وفي احدى مغامراته (٢)
ببعض الصحارى الاستوائية مر بذئبة ترضع جرواً (٣) مع صغارها . فلما
ابصرته هربت بالجرو والصغار الى اكمة (٤) بعيدة مأمونة . وواصل الفتى
مسيره الى غايته ، يجوب الصحراء في حذر ، ويكشف من اسرارها
ما يستطيع . وقضى في جوفها عشرة ايام عاد بعدها الى العمران : وفي
طريق عودته مر بالأكمة . وشاهد الجرو بعيداً منها ، فاحتال عليه ،
واختطفه مسرعاً قبل ان تدركه الذئب ، وصار يطعمه ويسقيه ويبالغ
في اكرامه يوماً بعد يوم حتى اطمأن الكلب اليه ، وآنس به ، ولازمه
في غدوته (٥) وروحته (٦) ، وظعنه (٧) واقامته .

ولما عاد الفتى الى المانيا حمله معه ، وأسكنه في داره باحدى المقاطعات
الشمالية . وازداد فرح الفتى به اذ وجد انيساً يسلي وحدته في داره
التي لا يساكنه فيها احد ، ورفيقاً موافقاً في الاسفار ، وخادماً مطيعاً ،
وحارساً يقظاً أميناً .

ثم تزوج الفتى ، فبرزت مزايا الكلب اوضح مما كانت ، وبدا من
كريم خلاله ما كان كامناً (٨) ، فاستعان به الزوجان في نقل البضائع
الخفيفة من المتاجر الى البيت ، وتوصيل الرسائل الى الاصدقاء ، وحراسة
البيت عند خروجهما ، وتسلم بطاقات الزوار ، وحفظها حتى يعودا ،
وجر عربة وليدهما بعد ان رزقا بأول مولود . وكلما مرت الايام زادت
الثقة فيه وقويت الصلة والالفة بينه وبين اصحابه ، ولا سيما بعد ان
نجح الفتى في تدريبه على بعض المهام البيتية الاخرى ، كان يسرع الى

(١) الارض التي لا علامة فيها ترشد المسافر ولا شيء فيها يهديه (كالصحارى الواسعة الحالية)
المفرد : مجهل . (٢) مخاطراته أي تعرضه للاهوال والمهالك . (٣) كلباً صغيراً
(٤) تل ، او كومة من الحجارة ونحوها . (٥) ذهابه . (٦) رجوعه . (٧) سفره
(٨) خافياً .

الطفل اذا بكى ، ويهز سريره حتى يكف عن البكاء ، ويغطيه اذا سقط عنه الغطاء ويلازم حجرته اذا خرج والداه .

وقد مرن^(١) الكلب على هذا كله ، وبرع فيه ، حتى كان الوالدان يغيبان عن البيت ساعات طويلة ووليدهما في حراسة الكلب ، ورعايته . وذات يوم خرجا الى ضاحية نائية^(٢) وتركا طفلهما مع حارسه ورفيقه ، ثم عادا بعد ساعات ليريا شر ما يراه ابوان ، وأقصى ما تقع عليه اعينهما ، فقد دخلا الدار هادئين ، مطمئنين كعادتهما ، متلهفين على رؤية طفلها وكلبها ، ولكنها توقعا^(٣) شراً حين اختفى الكلب عنها فلم يراه ، ورابهما^(٤) انه لم يهرع^(٥) لاستقبالهما ، ولم يستجب لصفيرهما كعادته حين يدعوانه بالصفير . فاستبدت^(٦) بهما الشكوك والخاوف ، واسرعا الى حجرة الرضيع فاذا الكلب يطل من تحت الفراش بفم احمر ملوث بدماء قانية^(٧) غضة ، وعنق مضرج^(٨) بالدماء ، ورأس منكس^(٩) ، وطرف حسير^(١٠) . فأدركا من فورهما^(١١) ان الكلب قد خازنها ، وغدر بابنها فوقعت الام مغشياً عليها ، وآمن الفتى بأن الطبع السيء غلاب ينحدر من الاصول الى الفروع ، وان رضيع الذئب لا بد ان يتخلق بأخلاق الذئب ولو الى حين ، وتلفت حوله فرأى على مقربة منه فأساً ضخمة ، فالتقطها بغير وعي وهوى^(١٢) بها في غيظ وعنف على رأس الكلب حتى غيب نصلها فيه ، وتركه يشن انين المحتضر^(١٣) ويلفظ انفاسه في آهات^(١٤) مجرحة وغفمة^(١٥) كأنها

(١) تدرب وتعود وداوم (٢) نائية : بعيدة . (٣) انتظرا وترقبا
(٤) ادخل الريب (أي الشك) في نفسها . (٥) لم يهرع : لم يسرع . (٦) استولت
(٧) شديد الحمرة . (٨) مصبوغ بالحمرة . (٩) منخفض . (١٠) منكسر متعب .
(١١) في الحال من غير مهلة . (١٢) هوى بها : انزلها والمراد ضرب بها . (١٣) الذي يلفظ روحه ويودع الحياة والفعل احتضر . (١٤) المراد انه كان يتألم كما يتألم الجروح الذي ينطق بكلمة (آه) مقطعة مجزأة . (١٥) اصوات غير مفهومة .

البكاء المكتوم ، ونظرات ذابلة يديرها في سيده كأنما يودعه الوداع الاخير .
ولم يكد الفتى يجهز^(۱) عليه بضربته حتى سمع الوليد يبكي تحت
الغطاء فانزعج من فراشه ، فرأى ثيابه ممزقة ، قد تناثرت عليها بقع
الدماء ، ولكنه صحيح معافى^(۲) ، يهش^(۳) للقاء والده ، ويضحك
لرؤيته ، فخر الفتى صعقاً^(۴) وارتمى على الارض مذهولاً . ولم يكد
يسترد نفسه حتى نظر الى الكلب فرآه قد استسلم الى نوم ابدى لا يقظة
منه ، فأسرع الى زوجته ، فعالج اغماها حتى افاقت ، وجاسا^(۵)
خلال البيت ، عسى ان يتبيننا حقيقة الامر . فوقع بصرهما في احد
الاركان على دب هزيل دفعه الجوع والبرد الى ارتياد المنازل ، فصادف
باب بيتها مفتوحاً فدخله ، واوغل في مسيره حتى وصل الى سرير الوليد
فدفعه الكلب عنه . والتحم معه في معركة دموية مروعة ، مزق فيها
عنق الدب ، وفقاً احدى عينيه ، وتركه طريحاً ينزف^(۶) حتى مات
وبين انيابه مضغفة^(۷) من عنق الكلب وفروته .

عند ذلك صرخ الوالدان ، وانهمرت^(۸) اعينهما بالبكاء الموجه ، وودا
لو يستطيعان فداء كلبهما الوفي بكل ما يملكان . ولكن هيهات^(۹) ،
هيهات فقد مضى الى غير رجعة ، وخلف لهما حسرة باقية ، وحرزناً
متجدداً على الايام وكلما تذكر انه ولي صريع تسرعهما ، وانها اساء
بغير حق الى اخلاص صديق وأوفى امين - زادت حسرتها واستبد الحزن
بها ، حتى ليكاد يقتلها . ولم يسعها ازاء ما كان منها ومن كلبها
الامين الا ان يدفناه في حديقة دارها ، ويرفعا فوقه نصباً تذكاريًا
منقوشاً عليه بالخط الجميل « تذكار الوفاء النادر » .

(۱) يتم قتله ويسرع (كما سبق) . (۲) سليم . (۳) يظهر السرور .

(۴) كالذي أصابته صاعقة . (۵) تنقلا . (۶) يسيل دمه . (۷) قطعه .

(۸) فاضت رسالت بكثرة . (۹) بعد « أي : ان ذلك الامر بعيد » .

لا حر بوادي عوف

١

وقفت خماعة بنت عوف بن ملحم امام خبائها تشهد فرسان قومها
كيف يردون غارة بني عيس ، وكيف يدافعون عن اعراضهم ، ويحمون
ذمارهم ، ويحودون بالأنفس في سخاء وحمية ، لا ينكصون على اعقابهم ،
او يولون الادبار ، لقد ابلى قومها بلاءً حسناً ودافعوا في جد وصرامة
بيد انهم كانوا قلة فلم تغن عنهم شجاعتهم شيئاً ، اذ كان معظم الرجال
بعيدين عن الحي فلم يستجيبوا للاستغاثة ، وتكاثرت الاعداء على الجملة
يصرعونهم واحداً بعد واحد ، رخماعة ترقب المعركة بقلب راجف ،
ونفس سريع ، وعين حائرة ، ووجه شاحب ، لان زوجها ليث بن
مالك قد لبى نداء النجدة زميلاً^(١) ، وهي تخشى ان يصرع فتكون
نهباً للغزاة ، وسبية ممتهنة ، وتفقد بعلها كريماً ، فتأيم من بعده وقد
عاشرتة فأحبته . وهي ترى الدائرة تدور على قومها ، ومنجل الموت
يتخطف الفرسان . وهم يتحدونه في اصرار وعناد وجرأة .

كانت نظراتها تتبع في لهفة وعجلة حركات جواد اشهب وسط المعمان
يجول ويصول ويكر ويفر ، وفارسه لا ينفك يرفع سيفاً بتاراً او يهوي
به في قوة وبطش . ثم رأت الفارس يخر صريعاً ويخلى صهوة جواده ،
وتدوسه الخيل بسنابكها ، وفارسين من الاعداء يأخذان سلبه ، ويقودان
جواده خارج الحومة ، فسحت عينها الدمع سحاً ، وشعرت بنكأة دامية
تنفذ الى فؤادها ولكنها أبت ان تستسلم ، وطفقت تفكر في امرها وقد
ترملت وفقدت رجلها وحاميتها ، وشغلها همها وأمرها عن المعركة الدائرة

نسخة مجانية

«١» زميلاً : سريعاً .

وما راعها الا الفرسان يعدون صوبها ، ويتقدم اثنان فينهبان الخباء ويسوقان من فيه أسرى ، ويأخذان خماعة سبية ، وقد راعها منها جمال فائق ، وثبات عجيب ، وأنف شامخ ينم عن عزة وكرم محتمد .

انتهت الغارة ، وردت السيوف الى أغمادها ، وقفل بنو عبس الى ديارهم وخماعة وأهل زوجة ، وكثيرات من نساء قومه يسرن وراء الخيل حفاة سافرات الوجوه مهينات ، يحثهن رجال غلاظ جفاة .

ينظرون شرراً الى من جاء عن عرض بأوجه منكرات الرق احرار وكان مروان القرظ بن زنباع^(۱) رئيس بني عبس يومئذ ، وكان يضرب به المثل في الغزو والشهامة والمرورة ، فحانت منه التفاتة نحو السبايا . فرأى بينهن امرأة يترقرق ماء الحسن والملاحة في وجهها ومخايلها مشوقة القوام ، مرفوعة الرأس ليست كبقية من يسير معها مشية ، وشخصية ، فسألها :

- من انت ؟

- خماعة بنت عوف بن ملحم .

- بنت سيد بني شيبان ، وأحد اجواد العرب ، واغزهم واشجعهم ؟
والأسفاه .

ثم سأل رجاله :

- اسيرة من هي ؟

فأجاب رجل منهم :

- اسيرة عمرو بن قارب ، وذؤاب بن اسماء .

- فالتفت اليها مروان وقال :

- حكمانى في خماعة :

« ۱ » سمي مروان القرظ : لأنه ينزول اليمن وهي منابت القرظ

- حكمناك يا ابا صهبان .

- اشترىها منكما بمائة من الأبل .

- قبلنا حكم سيد بني عبس .

فأمرها مروان ان تغطي وجهها قائلاً : والله لا ينظر اليك عربي حتى اردك الى ابيك . وضمها الى اهله ، وأوصاهن بها خيراً ، لأنها بنت العز وربيبته وسليمة الأرومة الكريمة ، والحسب الرفيع والسؤدد والجاه . فعاشت جماعة بضعة اشهر في بيت مروان ما رآها مرة إلا من وراء حجاب برأ بيمينه ، وما رأت وما سمعت من أهله وخدمه ما ذكرها انها سبية مغلوبة على أمرها ، لأن عين مروان اليقظة كانت تتعدها في السر والجهر ، لما لأبيها في اعناق العرب من ايد كريمات وفضل سابغ وذكر حميد .

دخل الشهر الحرام ، وأمن الناس الغارات ، واطمأنت القلوب على المال والولد والأهل ، لان العرب جميعاً تحرم القتال في هذه الشهور المباركة فتزد السيوف الى اغمادها وتضع الحوامل^(١) ويحج الناس الى بيت الله الحرام يستمطرون شآبيب رحمته لتغسيل اوضار نفوسهم ، ويجتمعون في الأسواق يتاجرون ويتفاخرون ويعقدون المحالفات .

حين دخل أول هذه الأشهر ، وارتاحت النفوس من الجهد والقتال والسفر والحذر الشديد ، جهز مروان جماعة أحسن جهاز وأتمه ، فكساها الديباج والحرير وأخدمها الجوارى والعبيد ، وأكرمها غاية الأكرام ، ثم حملها إلى عكاظ كأنها أميرة من بيت ملك عظيم ، ولم تكن سبية أسرت بظبي السيوف ، وأسنة الرماح ، وافتديت من آسريها بمائة من الأبل على حنق منها وسخط .

(١) المراد هنا الأبل .

صحابها مروان في رحلتها هذه ، فلما دنا من عكاظ تقنع على عادة
فرسان العرب ، حتى لا يعرفه أعداؤه ، ومن لهم عنده تراث ،
فيتصدرونه في ساحات اقبال ، ويبذلون أقصى جهدهم للانتقام منه
والقضاء عليه ، وعكاظ - عادة - تغص بفرسان العرب من كل القبائل ،
فلا يعدم أن يكون هناك قرن موغر الصدر ، موجدته وصاحب حفيظة
يتوسمه فيتربص به الدوائر عند أول لقاء .

فلما انتهى مروان بأمانته الى منازل بني شيبان - قوم خماعة - قال لها :
- هل تعرفين منازل قومك ، ومنزل أبيك ؟
- هذه منازل قومي ، وهذه قبة أبي .
- انطلقني الى أبيك ، فإنه اهل لكل مكرمة .

والنفت مروان الى قومه وانشد .

رددت على عوف خماعة بعدها خلاها ذؤاب غير خلوة خاطب
ولو غيرها كانت شبيثة رحمة لجاء بها مقرونة بالذوائب
ولكنه ألقى عليها حجابها رجاء الثواب او حذار العواقب
فدافعت عنها : ناشبا ، وقبيله وفارس يعبوب وعمرو بن قارب

اما خماعة فدلقت الى قبة ابيا ، وخلفها جواريا وعبيدها ومعهم
عتادها وما اكرمها به مروان ، فلما رآها ابوها عوف بن ملحمة ، ولم
يكن ينتظرها ، قال لها في دهشة :

- ما وراءك يا خماعة ؟

فقصت عليه خبرها ، وأشادت بما فعل مروان ، وكيف نازع قومه
وتحداهم في سبيلها ، وكيف حفظها عزيزة مكرمة ، وجهازها احسن
جهاز وأتمه ، واخدمها وسهر على راحتها منذ امرت حتى بلغت قبة
والدها .

فقال ابوها : يا بنية ، ان مروان لمثل في العزة ، ألم تسمعي العرب يقولون : أعز من مروان القرظ ، ولقد طوق جيدي بمنن جسام ، وهيبات ان ارفيه حقه وان كان مثله في عزته ومروءته وسؤدده لا يرتقب على حسن صنيع اجراً .

٢

دارت الايام دورتها ، وغزا مروان بكر بن وائل على حين غرة ، فسبى ونهب فلما عاد الفرسان والرجال الى احيائهم ، وسمعوا بما حدث لقومهم ، عز عليهم ألا يثاروا من ذلك الذي استباح حمامهم ، واسر نساءهم ونهب اموالهم فهبوا يقصون اثر جيشه في عدد عديد ، وخیل مسومة وسلاح وعدة كاملة ، وثبت لهم مروان ساعات ثم نجح فريق من جيشه بالاسلاب والسبايا ، اما هو وصناديد قومه فوقفوا يدرأون العدو ويراوغون في ثبات وحسن حيلة ولكن انى له ان يثبت طويلاً ، وقد تكاثرت عليه بنو بكر بخيرة فرسانها وجزء كبير من جيشه قد انفصل يبغي النجاة ، وبعد جولات صادقات وقاتل عنيف ، وقع مروان ومن بقي من رجاله اسرى ، بعد ان تكسرت سيوفهم وتحطمت رماحهم ، واثخنت الجروح خيولهم ، وسقط كثير من الفرسان صرعى مضرجين بالدماء تدوسهم سنابك الخيل في غير شفقة او رحمة .

ومضى بمروان اسره وهو لا يعرفه ، فأتى به امه مختالاً فخوراً فقالت له امه انك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ .

فقال لها مروان وهو يرسف في الاغلال .

- وماذا ترجين من مروان ؟

- عظم فدائه .

- ومك ترجين من فدائه ؟

- مائة بعير .

- ذلك لك علي ، علي ان تؤديني الى خماعة بلت عوف بن محلم .

- ومن لي بمائة من الابل .

فأخذ مروان عوداً من الارض ، وقال لها : هذه لك بها (١) .

فمضت به الى عوف بن محلم (٢) فلما عرف عوف انه مروان ، وأخبر بذلك ابنته خماعة قالت له : يا ابي اجرتك من بني بكر بن وائل ، واني استعين بك على الوفاء بما له في اعناقنا من اباد ومنن ؛ واذكر ان كنت سبية ففداني ومهينة فاعزني ، وغريبة فانزلني مع أهله ثم أسلني اليك ، لم امتهن بنظرة عربي الى وجهي ، وكنت عنده في نعيم وعيش رغيد ، والحمد لله الذي أمكننا من هذه الفرصة حتى نرد اليه الجميل .

فقال لها ابوها : ان مروان قد اعلم السيف في رقاب قومك ، وقد اخذهم الى غرة فكثرت ترثهم عنده ، ولكني ساجيره معك ، ولا سبيل اليه الا فوق هامتي .

وما ان علمت بنو بكر بخير مروان حتى سعت جموعها الى عوف ابن محلم يطلبون منه ان يسلم مروان اليهم حتى يقتصوا منه على ما جنت يده في ارواحهم واموالهم ، فابى عليهم عوف - وكانوا يحلونه ويطيعونه - ونبأهم بقصته مع ابنته ، وذكرهم ان كلا منهم معرض لأن يؤسر في حومة القتال ، والأسير حقه ان يفدى لا ان يقتل . وبعد جدال شديد أذعنوا لرأيه ، وتركوا مروان لعوف بن محلم ، وكان تنازلهم هذا تضحية كبيرة قدومها لرئيسهم وسيدهم .

وظل مروان اياماً عند عوف في كنف خماعة ورعايتها ، تحاول ان

«١» كان هذا يكفي عندهم ويعني عن مغلظ الايمان والمواثيق والعهود . «٢» هو من أشرف العرب في الجاهلية ، وكان مطاعاً في قومه ، قوياً في عصبته وكانت تضرب له قبة في عكاظ ، توفي سنة ٤٥ ق . ه .

تكرمه كما اكرمها ، وترد اليه الجميل على قدر طاقتها ، وفي ذات يوم دخل عوف خبائه باذي الهم متعكر الوجه ، فأنكرت جماعة امره ومشت اليه في لطف ودعة تسأله عما أهمه ، وأزال سماحة وجهه وبشاشته ، فكان جوابه ان سأل مروان :

- خبرني يا أبا صهبان عما احفظ عمرو بن هند ملك الحيرة عليك .
- لم يكن - علم الله - بيني وبينه الا كل خير ، وكنت أفد عليه بالهدايا والأموال ، فينزليني خير منزل ، ويكرمني وقومي . وفي ذات يوم اراد ان يعاملني كما تعامل الملوك رعيتهما ، او السيد من دونه في الشرف والمنزلة ، فأبت علي نفسي ان اجالسه ، وبقيت اياماً عنده مغاضباً له ، فأرسل الي يستزيرني ، فلما دخلت عليه اصافحه ، فعاتبني لتخلفي عن مجلسه ، فعلمت ببعض المعاذير ، وقلت لعلها كانت هفوة فيه ، ولكنه ايقن ان في نفسي شيئاً لأني لم اضع يدي في يده . وفي نفس اليوم استأذنت في العودة فأذن لي بعد لأي ، وقد انقطعت عنه ردهاً من الزمن ، وعلمت انه ساخط عليّ .

فقال عوف : لقد علم انك متحرم بدمامي ، فأرسل الي يطلبك ، وانت تعلم مكانة عمرو بن هند لدينا ، وان ديارنا تتاخم دولته ، وان الصلات بيننا قوية متينة ، ولكني اخبرت رسوله ان ابنتي اجارته وايس اليه من سبيل ، واني في انتظار رده ، وان كنت اعلم انه سيتميز غيظاً حين يستمع للجواب ، بيد انه يدري عزة قومي فلعل ذلك يخفف من غلوائه .

ومضت ايام قضاها عوف في همّ مقيم مقعد ، لان الحرب بينه وبين عمرو بن هند ليست بالشيء الهين اليسير ، ولكنها حرب تكلفهم شططاً وتودي براحتهم ونعيمهم ، وتراق فيها الدماء بسخاء ، وأخذ يقلب وجوه الرأي وحده دون ان يستشير أحداً من قومه ، خشية ان يستحثوه

على تسليم مروان لسابق اخطائه معهم ، ولعظم جريرته لديهم .
ثم جاء رسول عمرو بن هند ينبيء عوفاً ان الملك ان يعفو عن مروان
حق يضع يده في يده - سمة المبايعه والمعاهده والحلف والولاء - وبذلك
يثق الملك انه لن يخونه او يغير على حواشي دولته وينتقصها من اطرافها .
فقال عوف : يضع يده في يد الملك على ان تكون يدي بينهما ، وكأنه
بذلك يحتاط لغدر عمر بن هند بجاره ، او ليبرهن للملك على انه صار
حليفاً لمروان على كل من ناوأه او هم بشيء يسوءه .
فلم يسمع عمرو بن هند إلا ان يستجيب لطلب عوف ، ثم قدم عوف
ومروان الحيرة ودخلا على الملك فوضع مروان يده في يده ، ووضع
عوف يده بينهما وعفا عمرو بن هند عن مروان وقال « لا حر بوادي
عوف » اي لا سيد به ينازعه سلطانه ، فصارت مثلاً .

من كتاب (الفتوة عند العرب)

الراعي

راعي في الحقل انشاد بديع والندى يغسل اجفان الصباح
فتطلعت الى راعي القطيع قد شجاء حسن اقبال الربيع
وتبدت روعة الكون له
فتغنى في هيام ومراح
باسم كالصبح في طلعتة حالم العينين لماس الجبين
حمرة الاصباح في وجنته وصفاء الكون في مقلته
مرهف كالفضن نشوان الصبا
غرد كالطير فياض الحنين
مرح يختال في سرباله معجل يعثر في اذياله
او حلیم قرب المرعى له
فتهادى وتأنى في خطاه
تحمل الريح صدى الحانه فتهد الحقل من اركانه
تذهل النوم عن احلامهم
قبل ان تغرق في سيل الضياء
هاتف يسأل من ينصفه قلبه الخالص من سوء الطباع
دمعه المسفوح او يصرفه
عن دلال السج فيه وخداع
ملكنتي اذ تغني نشوة وتنزت في فؤادي صبوة
تركنتي غارقاً في حلم
ضاحك الاطياف رفاف الجذاب

نسخة مجانية

تضحك الارض مع الشمس له ويشيع السحر في اركانها
يتبدى كل شيء حوله طافح البشر طروباً مثله

وترى الورق شجاهما لحنه

فتغنت في ذرى افنانها

يصبح الراعي طروباً شادياً مطمئناً ليس يدري ما الشجن
وتراه حين يمسي راضياً في ظلام الكوخ يغفو ثاوياً

ناعم البال قريراً آمناً

هاديء الضجعة ريان البدن

لم يكدر صفوه حرص ولا سهدت جفنيه اطماع الحياة
لن تراه نائماً يوماً على امل فات ولا تصبو الى

ما طواه الغيب في احشائه

حسبه الله فلا يرجو سواه

ملهم رُكِّب في فطرته حب ما في الكون من آي الجمال
تسمع التسبيح في لهجته وترى الاعجاب في نظراته

ساذج الاحلام الا انه

صادق الوجدان مشبوب الخيال

كم أرى الفجر وما في افقه من جمال واجتلى نور السحر
وتلى الصبح في اشراقه يفتن النظر من عشاقه

بصفاء تعلق الروح به

عبقري الحسن موق الصور

ولكم آنس من حالي الضحى ومن الآصال مزدان اللؤلؤ
يحد الكون جميعاً مسرحاً يجتليه غادياً او رائجاً

هائم يضرب في آفاقه

دائم الترحال موصول الجذل

ولكم شاهد اقبال الدجى حين ذابت فيه الوان الشفق

ورأى الليل اذا الليل سجا وانجلي البدر وضيئاً ابلج
تقبس الاحاظ من رونقه
قبل ان يدركه موج الغسق
ورأى الصيف يعفى اثره بيد عاتية مقتدرة
تركت جنته خاوية
جف فيها الزهر والروض المريع
واغتدى يرتع ظلاً وارفاً قد سرى في جوه نفح لطيف
يملأ الصدر به مستروحا
قبل ان تعصف انواء الشتاء
يا قنوعاً مثلت عيشته عيشة الانسان في فجر الوجود
يا خليلاً أنسه وحدته ايه يا من برئت فطرتيه
من غرور العيش في زخرفه
يا طليقاً ما دري معنى القيود
يا نقي القلب في عزلته لم ير العالم في زحمته
هات من لحنك ما يطربني
يا غريباً انت بالبشر خليق
يا رضى النفس في ايمانه نعمت نفسك في ظل رضاها
اياه يا من قرّ في وجدانه من هدى الله ومن رضوانه
ما ترنمت به في غبطة
فطن القلب اليها فوعاها
هات من لحنك يا راعي القطيع قد نفى لحنك عن قلبي الحزن
هيه اني ما تغنيت سميع وسأمضي شاكراً هذا الصنيع
ذاكراً لحنك مفتوناً به
ان في ذكراه روحاً وسكن

محمود الخفيف

نسخة مجانية

في ملعب الكرة

وفي ذلك اليوم ذهبت بصديقي الى ملعب الكرة .. لم أذهب به الى دور العلم او الى حلقات الادب حيث ينصت الى لجاج الفقهاء وحوار الادباء ، فلقد طعم من هذا الغذاء الدسم الشهر كله ، وشهد المعركة الطاحنة بين اللائحة والشريعة وبين الأريكة والسرير وبين الفنون الرفيعة والغليظة وبين الفتوة والمروءة وبين الكوفة والبصرة وبين المستشرقين والمستغربين ...

انتزعتك يا صديقي من بين هذا كله فلعمري لقد آن لك ان تمسح عن جبينك الجهد المعنى عرق النحو والصرف والفقہ ، وان تزيل عن عينيك ما علق بهما من قذى البحث العميق عن اللفظ الدقيق والمعنى الأنيق : ذلك البحث الذي طالما أضناك وأذواك ثم عدت منه صفر اليدين او رجعت بشيء زهيد لا يطفىء غلة ولا يغني من جوع . فتعال اليوم نتبوا هذا المقيد العالي ونشرف منه على هذا الميدان الفسيح كما يشرف النسور من ذروة الطود . ولنرقب ما يجري بين ايدينا من الحوادث الجسام .. أراك تبتسم ابتسامة الشك او الانكار كأنما تظن ان ما يجري هنا ليس الا ضرباً من العبث او اللهو فلا وابتك لن تبرح حتى تشهد في هذا الملعب من دروس الحكمة ومن عبر الحياة ومن المعاني البديعة العميقة ، ما لم تجده بعد في الكثير من اسفار اصحابك الخالدين .

ها هم اولاء اللاعبين قد اقبلوا فدوى رعد الهتاف والتصفيق ، رأيت هذه الاجسام الفتية التي افعمت صحة وقوة والتي لا تكاد تستقر

في مكان مما بها من نشاط ومرح . ولكنها قد تثبت في مواقعها حيناً
فكانها الجبال الرواسي . ثم تنقض على الأثر كأنها صخور تهوي من قمة
طود او تندفع طائرة كما تندفع السهام عن القسي . وهي بعد هذا كله
لا تشكو كلالاً ولا مللاً ، كأنما يتفجر نشاطها من ينبوع لا يفيض ...
ان هذه السيقان التي تراها تحمل تلك الاجسام ما نمت هذا النمو ولا
اكتسبت تلك القوى في يوم او بعض يوم ... بل هي ثمار المراتب
الطويل شهوراً وسنين . وليس من هؤلاء الفتيان من لم ياخذ نفسه بأنواع
من الجد والدأب وبالحرمان من ضروب اللهو والعبث ، كي يبلغ هذه
المرتبة العالية من القوة ومن الرشافة ومن الجمال والفتوة ، والرجولة الصحيحة .
ان الرياضة قد أدبت هؤلاء الفتيان فأحسنن تاديبهم ... انظر اليهم
كيف تركوا ضيوفهم يسبقونهم الى الملعب ، وفي اثرهم ينزل اصحاب
الدار على مهل كأنما يمشون على استحياء . وهم على هذا كله خصوم
ستدور بينهم معركة لا هوادة فيها ولا اين ، ولا محاباة فيها ولا مداراة
معركة سيدوء فيها الضعيف بالخزي والخسران ، ويرقى النصر بالمتعمرين
الى أعلى مراتب السمو .

هذه المعركة هي بيت القصيد . وان في صورها العديدة لما تنشرح
له الصدور وتطمئن القلوب .. فها هنا معركة تنشب بين فريقين قد تكافأ
في العدة وتماتلوا في العدد . فلن يكون الفوز فيها الا للجد والجلد والبراعة
والاقدام . ونحن في عالم طالما نشهد فيه تالب الاقوياء على الضعفاء ،
وطغيان جيوش الظلم على جنود الحق . واستبداد الكثرة الغاشمة التي تزهى
بعديتها وعديدها ويحلو لها ان تمن في الجور وتسرف في العدوان . فها
أسعدنا اليوم اذ تتناسى ذكر هؤلاء حيناً لكي تنعم ابصارنا بشهود
معركة نظيفة بريئة بين اكفاء وانداد ...

اجل وان لهذه الحرب الضروس لقواعد وشروطاً قد نصت عليها

نسخة مجانية

حديث ليلي الاخيلية مع الحجاج

حدث ابو بكر الانباري قال : حدثني ابي قال : اخبرنا احمد بن سعيد عن ابي الحسن المدائني عن حدثه عن مولى لعنيسة بن سعيد بن العاصي قال :

« كنت ادخل مع عنيسة بن سعيد بن العاصي اذا دخل علي الحجاج فدخل يوماً فدخلت اليها وليس عند الحجاج احد الا عنيسة فاقعدني فجاء الحجاج بطبق فيه رطب فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني به ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الاطباق وجعل لا يأتون بشيء الا جاءني منه شيء حتى ظننت ان ما بين يدي اكثر مما عندهما ثم جاء الحاجب فقال : امرأة بالباب فقال له الحجاج : ادخلها . فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت ان ذقنه قد اصاب الارض فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فإذا امرأة قد اسنت حسنة الخلق ومعها جاريتان لها وإذا هي ليلي الاخيلية .

فسألها الحجاج عن نسبها فابتسمت له فقال لها : يا ليلي ماذا أتى بك ؟ فقالت : اخلاف النجوم^(١) وقلة الغيوم وكتب البرد^(٢) وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرغد^(٣) .

فقال لها (صفى لنا الفجاج^(٤)) فقالت الفجاج مفبرة والارض

(١) اخلاف النجوم: اخلفت النجوم التي يكون بها المطر فلم تأت بمطر . (٢) كلب البرد : شدته والاصل ان الكلب سعار يصيب الكلاب والذئاب . (٣) الرغد بكسر الراء المعوثة وبفتحها العطية . (٤) الفجاج جمع فج وهو كل سعة بين نشازين :

مقشعرة والمبرك معتل^(١) والهالك للقل^(٢) والناس مسنتون^(٣) رحمة الله
يرجون . واصابتنا سنون مجحفة مبلطة^(٤) لم تدع هبعاً ولا ربعاً^(٥) ولا
عافطة ولا نافطة^(٦) اذهبت الاموال ومزقت الرحال واهلكت العيال ثم
قالت اني قلت في الامير قولاً ، قال : هات فأنشأت تقول :

احجاج لا يفلل سلاحك انها	المنايا بكف الله حيث تراها
احجاج لا تعطى العصاة منام	ولا الله يعطي للعصاة مناهما
اذا هبط الحجاج ارضاً مريضة	تتبع اقصى دائها فشفاهما
شفاهما من الداء العضال الذي بها	غلام اذا هز القناة سقاهما
سقاهما فرواها بشرب سجاله ^(٧)	دماء رجال حيث مال حشاها
اذا سمع الحجاج رز ^(٨) كتيبة	اعد لها قبل النزول قراها
اعد لها مسمومة فارسية	بأيدي رجال يجلبون صراها ^(٩)
فما ولد الابكار ^(١٠) والعون مثله	ببجر ولا ارض يحف تراها

قال فلما قالت هذا البيت قال الحجاج قاتلها الله والله ما اصاب صفقي
شاعر مذ دخلت العراق غيرها . ثم التفت الى عنبة بن سعيد فقال : والله
اني لأعد للأمر عسى ان يكون ابدأ . ثم التفت اليها فقال : (حسبك)
قالت اني قد قلت اكثر من هذا قال (حسبك ويحك حسبك) ثم قال :
يا غلام اذهب الى فلان فقل له اقطع لسانها ، فذهب بها فقال له : يقول

(١) المبرك المعتل أي الابل عليه كناية عن الضعف والحاجة والمبرك في الاصل مكان الابل تبرك
فيه فكنت به عنها . (٢) الهالك للقل أي هلك بسبب القلة . (٣) مسنتون : مقحطون محتاجون .
(٤) مبلطة : ملصقة بالارض . (٥) الهبع ما نتج في الصيف والربيع ما نتج في الربيع .
(٦) العافطة والنافطة : الضانة والماعزة . (٧) شرب سجاله الشرب جزء من ماء والسجال
(٨) لرزبكسر الراء : الصوت تسمعه من بعيد . جمع سجال بفتح السين وهو الدلوفيه ماء .
(٩) الصرى : اللبن المتجمع في ضرع الشاة . (١٠) العون جمع عوان وهي النصف من النساء
المتوسطة السن .

الامير اقطع لسانها قال فأمر بأحضار الحجام فالتفت اليه فقالت ، ثكلتك امك اما سمعت ما قال ؟ انما امرك أن تقطع لساني بالصلة فبعث اليه يستثبته فاستشاط الحجاج غضباً وهم بقطع لسانه وقال ارددها فلما دخلت عليه قالت : « كاد وامانة الله يقطع مقولي » .

ثم انشأت تقول :

حجاج انت الذي ما فوقه أحد
حجاج انت شهاب الحرب ان لقت
الا الخليفة والمستغفر الصمد
وانت للناس نور في الدجى يقدا

ثم اقبل الحجاج على جلسائه فقال : (اتدرون من هذه) ؟ قالوا :
لا والله ايها الامير الا انا لم نر قط أفصح لساناً ولا احسن محاوره ولا
املح وجهاً ولا أرصن شعراً منها :

فقال : هذه ليلى الاخيلية التي ماتت توبة الخفاجي من حبها ثم التفت
اليها فقال : انشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة . قالت . نعم ايها
الامير هو الذي يقول :

وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها
كما لو اصاب الموت ليلى بكيتها
واغبط من ليلى بما لا اناله
ولو ان ليلى الاخيلية سلمت
لسلمت تسليم البشاشة او رقاً
وقام على قبري النساء النوائح
وجاد لها دمع من العين سافح
بلى كل ما قرت به العين طائح^٢
علي ودوني جنـدل وصفائح
اليها صدى من جانب القبر صائح^٣

فقال زيدنا من شعره يا ليلى . قالت هو الذي يقول :

حمامة بطن الوادين ترنمي
سقاك من الغر الغواذي مطيرها

(١) لقت الحرب كبرت واشتدت . (٢) طائح ذاهب زاهل (٣) زقا الصدى بزقو صاح .

أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً
وكننت اذا ما زرت ليلى تبرقعت
وقد رايتي منها صدود رأيتي
واشرف بالقور اليفاع لعني
يقول رجال لا يضيرك نأيتها
بلى قد يضير العين ان تكثر البكا
وقد زعمت ليلى بأني فاجر
ولا زلت في خضراء غض نظيرها
فقد رايتي منها الغداة سفورها
واعراضها عن حاجتي وبسورها^١
ارى نار ليلى ان يراني بصيرها^٢
بلى كل ما شف النفوس يضيرها
ويمنع منها نومها وسرورها
لنفسى تقاها او عليها فجورها

فقال الحجاج : يا ليلى ما الذي رابه من سفورك ؟ فقالت : ايها
الامير كان يلم بي كثيراً فأرسل الي يوماً : اني آتيتك . وفطن الحي فأرصدوا
له فلما اتاني سفرت عن وجهي فعلم ان ذلك لشر فلم يزد على التسليم
والرجوع .

فقال لله درك فهل رأيت منه شيئاً لتكرهينه ؟ فقالت : لا والله
الذي اسأله ان يصلحك ، غير انه قال مرة قولاً ظننت انه خضع لبعض
الأمر وانشأت تقول :

وذي حاجة قلنا له لا تبج بها فليس اليها ما حبيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وانت لاخرى صاحب و خليل

فلا والله الذي اسأله ان يصلحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت
بيني وبينه . قال : ثم مه قالت : ثم لم يلبث ان خرج في غزاة له فأوصى
ابن عم له اذا اتيت الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك :

هفا الله عنها هل ابنت ليلة من الدهر لا يسري الى خيالها

(١) البسور العبوسة . (٢) القور اليفاع الاراضي المرتفعة .

وانا اقول :

وعنه عفا ربي واحسن حاله فعمزت علينا حاجة لا ينالها

قال ثم منه قالت ثم لم يلبث ان مات فأنا ناعيه فقال : انشدينا
بعض مراثيك فيه فأنشدت :

لتبك عليه من خفاجة نسوة بمساء شؤون العبرة المنحدر

قال لها : فانشدينا ، فأنشدته :

كان فتى الفتيان توبة لم ينسخ قلائص يفحصن الحصى بالكرراكر (۱)

فلما فرغت من القصيدة قال محسن الفقي : وكان من جلساء الحجاج
من الذي تقول هذا فيه ؟ فوالله اني لأظنهما كاذبة فنظرت اليه ثم قالت :
ايها الامير ان هذا القائل لو رأى توبة لسره ان لا تكون في داره عذراء
الا هي حامل منه . فقال الحجاج هذا وابيك الجواب وقد كنت عنه غنياً .

ثم قال لها : سلي يا ليلى تعطي . قالت : اعط فمثلك اعطي فأحسن .
قال : لك عشرون . قالت : زد فمثلك زاد فاجل . قال : لك اربعون .
قالت زد فمثلك زاد فاكمل . قال : لك ثمانون . قالت : زد فمثلك
زاد فتمم . قال : لك مائة واعلمي انها غنم . قالت : معاذ الله ايها
الامير انت اجود جوداً وأجد مجداً واورى زنداً من ان تجعلها غنماً .
قال : فما هي ؟ ويحك يا ليلى . قالت : مائة من الابل برعاتها فأمر
لها بها .

« ۱ » القلائص جمع قلوص بفتح اوله وهي الناقة الشابة او الطويلة القوائم . والكرراكر جمع
كركرة بكسر كافيهما وهي رحي زور البعير او صدر كل ذي خف .

ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قلت : تدفع الى النابغة الجعدي .
قال : فعلت . وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك فخرج
هارباً عائداً بعبد الملك فاتبعته الى الشام ، فهرب الى قتيبة بن مسلم
بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج الى قتيبة فمات بقومس^(۱)
ويقال بحلوان .

قصص العرب

(۱) قومس بضم أوله وفتح الميم: صنع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، وحلوان بلد العراق.

مصرع الزبباء

كان جذية^(١) الابرش ملك ما على شاطيء الفرات وكانت الزبباء ملكة الجزيرة وكان جذية قد وترها بقتل ابيها فلما استجمع أمرها وانتظم شمل ملكها احبت ان تغزو جذية ثم رأت ان تكتب اليه انها لم تجد ملك النساء الا قبحا في السماع وضعفاً في السلطان وانها لم تجد لملكها موضعاً ولا لنفسها كفواً غيرك فأقبل إلي لأجمع ملكي الى ملكك وأصل بلادي ببلاك وتقلد أمري مع أمرك .

فلما أتى كتابها جذية وقدم عليه رسلها استخفه ما دعته اليه ورغب فيما اطعمته فيه فجمع أهل الحجا والرأي من ثقاته - وهو يومئذ بيقنة من شاطيء الفرات - وعرض عليهم ما دعته اليه وعرضت عليه فاجتمع رأيهم على ان يسير اليها فيستولي على ملكها .

وكان فيهم قصير بن سعد اللخمي - وكان أريباً حازماً اثراً عند جذية - فخالطهم فيما اشاروا به وقال : « رأي فاتر وغدر حاضر » فذهبت كلمته مثلاً ، ثم قال لجذية الرأي ان تكتب اليها فإن كانت صادقة في قولها فلتقبل اليك والالم تكنها من نفسك ولم تقع في حبالتها وقد وترتها وقتلت اباه . فلم يوافق جذية ما اشار به وقال له : « رأيك في الكن لا في الضح^(٢) » فذهبت كلمته مثلاً .

ودعا جذية عمرو بن عدي ابن اخته فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان قومي مع الزبباء ولو قد رأوك صاروا معك فأحب جذية ما

«١» كان يقال له جذية الابرش وجذية الوضاح وذلك أنه كان ابرص فهابت العرب ان تقوله فقالت الابرش وكانت تقول للذي به البرص به وضح تفادياً من البرص فقالوا جذية الوضاح وهو جاملي . «٢» الشمس وضوءها والكن وقاء كل شيء .

قاله وعصى قصيراً فقال قصير : « لا يطاع لقصير امر » فذهبت مثلاً .
واستخلف جذية عمرو بن علي عدي ملكه وسلطانه وسار في وجوه
اصحابه فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي فلما نزل دعا
قصيراً فقال : ما الرأي يا قصير؟ فقال قصير : « ببقه خلفت الرأي » فذهبت
مثلاً ، قال : وما ظنك بالزباء ؟ قال : « القول رداف والحزم عثراته
تخاف » فذهبت مثلاً .

واستقبلته رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال : يا قصير كيف ترى ؟
قال : « خطب يسير في خطب كبير » فذهبت مثلاً ، وستلقاك الجيوش
فان سارت أمامك فالمرأة صادقة وان اخذت جنبتك وأحاطت بك من
خلفك فالقوم غادرون بك « فاركب العصا فانها لا يشق غبارها » فذهبت
مثلاً - وكانت العصا فرساً لجذية لا تجارى - واني راكبها ومسارك
عليها .

فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر
اليه جذية على متن العصا مولياً فقال : « ويل امه حزما على متن العصا »
فذهبت مثلاً وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت (١) وقد قطعت
ارضاً بعيدة .

وسار جذية وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزباء فلما رآته
قالت : اشوار (٢) عروس ترى ؟ فقال : امر غدر أرى . ثم دعت
بالسيف والنطع (٣) وقالت : ان دماء الملوك شفاء من الكلب فامرت
بطست من ذهب قد اعدته له وسقته الخمر حتى سكر واخذت منه الخمر
مأخذها فامرت براهشيه (٤) فقطعا وقدمت اليه الطست - وقد قيل لها ان
قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه - فلما ضعفت يداه سقطتا

«١» نفقت ماتت . «٢» الشوار الهيئة والزينة . «٣» النطع بساط من جلد .

«٤» الراهشان عرقان باطن الذراعين .

فقطر من دمه في غير الطست فقالت : تضيعوا دم الملك . فقال جذية :
« دعوا دماً ضيعه أهله » فذهبت مثلاً فهلك جذية .

وخرج قصير من الحي الذي هلكت العصا بين اظهريهم حتى قدم
على عمرو بن عدي - وهو بالحيرة - فقال له قصير : أثائر أنت ؟
فقال : « بل ثائر سائر » فذهبت مثلاً . ووافق قصير الناس وقد اختلفوا
فأصلح بينهم ثم قال لعمرو بن عدي : تهباً واستعد ولا تظن^(١) دم
خالك . قال : « وكيف بها وهي أمنع من عقاب الجو ؟ » فذهبت مثلاً .
وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها فقالت : أرى هلاكك
بسبب غلام مهين غير أمين وهو عمرو بن عدي ولن تموت بيده ولكن
حتفك بيدك ومن قبله ما يكون ذلك .

فحذرت عمراً واتخذت لها نفقاً من مجلسها الذي كانت تجلس فيه الى
حصن لها في داخل مدينتها . وقالت : ان فاجأني أمر دخلت النفق الى
حصني ودعت رجلاً مصوراً من أجود أهل بلاده تصويراً واحسنهم
عملاً فجهزته واحسنت اليه وقالت : سر حتى تقدم علي عمرو بن عدي
متنكراً فتخلو بحشمه فتتضم اليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم
بالصور ثم اثبت لي عمرو بن عدي ممرقة فصوره جالساً وقائماً وراكباً
ومتفضلاً^(٢) ومتسلحاً بهيئته ولبسته ولونه فإذا احكمت ذلك فاقبل الي .
فانطلق المصور حتى قدم علي عمرو بن عدي وصنع الذي أمرته به
الزباء وبلغ من ذلك ما أوصته به ثم رجع الى الزباء بعلم ما وجهته له
من الصورة علي ما وصفت وأرادت ان تعرف عمرو بن عدي فلا تراه
علي حال إلا عرفته وحذرتة وعلمت علمه .

وقال قصير لعمرو بن عدي اجدع انفي واضرب ظهري ودعني
واياها فقال عمرو ما انا بفاعل وما انت لذلك مستحقاً عندي فقال قصير :

(١) ظل دمه مدره أو الايثار به . (٢) المتفضل اللابس ثوباً واحداً اذا أراد الخفة في العمل .

« دخل عني اذن و خلاك ذم » فذهبت مثلاً . فقال له عمرو فانت أبصر ، فجدع قصير أنفه وأثر آثاراً بظهره ، فقالت العرب : « لأمر ما جدع قصير أنفه (۱) » فذهبت مثلاً .

ثم خرج قصير كأنه هارب وأظهر ان عمراً فعل ذلك به وانه زعم انه مكر بخاله جذية وغره من الزباء فسار حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيراً بالباب فأمرت به فأدخل فإذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب فقالت : ما الذي بك يا قصير قال : زعم عمرو اني قد غررت خاله وزينت له المصير اليك وغششته ومالأتك ففعل بي ما ترين فأقبلت اليك فأكرمته وأصابته عنده من الرأي والحزم ما أرادت .

فلما عرف انها استرسلت اليه ووثقت به قال : ان لي بالعراق اموالاً كثيرة وطرائف وثياباً وعطراً فابعثني الى العراق لأحمل ما لي واحمل اليك من بزها (۲) وطرائفها وثيابها وطيبها لتصيبني من ذلك ارباحاً عظيمة وبعض ما لا غنى للملوك عنه وكان اكثر ما يطرفها من الصرفان (۳) وكان يعجبها فلم يزل يزين ذلك حتى اذنت له ودفعت اليه اموالاً وجهزت معه عبيداً .

فسار قصير بما دفعته اليه حتى قدم العراق واتي الحيرة متنكراً فدخل على عمرو بن عدي فأخبره الخبر وقال : جهزني بصنوف البز والامتعة لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثارك وتقتل عدوك فاعطاه حاجته . فرجع بذلك الى الزباء فاعجبها ما رأت وسرها وازدادت به ثقة وجهزته ثانية فسار حتى قدم عمرو فجهزه وعاد اليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لي ثقات اصحابك وهسيء الغرائر واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين فإذا دخلوا مدينة الزباء اقمتهك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وان اقبلت الزباء تريد النفق جلاتها بالسيف .

(۱) ذهبت امثالاً . (۲) البز الثياب . (۳) الصرفان : تمر رزين صلب .

ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمّن النهار ويسري بالليل فلما صار قريباً من مدينتها تقدم قصير فبشرها واعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف وقال لها : « آخر البز على القلوص »^(١) فذهبت مثلاً وسألها ان تخرج فتتنظر الى ما جاء به وقال لها : « جئت بما صاء وصمت »^(٢) فذهبت مثلاً .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل احمالها فقالت يا قصير :

ما للجمال مشيها وثيداً أجنديلاً يحمان ام حديدا

ام صرفانا تارزا^(٣) شديدا ؟

فقال قصير في نفسه : بل الرجال قبضاً قعوداً .

فدخلت الابل المدينة حتى كان آخرها بعيداً مر على بواب المدينة وكانت بيده منخسة فنخس بها الغرارة فاصابت خاصرة الرجل الذي فيها فسمع له صوتاً فقال : « شر في الجوالق » فذهبت مثلاً .

فلما توسطت الابل المدينة انيخت ودل قصير عمراً على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله وأرته اياه قبل ذلك وخرج الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق واقبلت الزباء تريده فأبصرت عمراً فعرفته بالصورة التي صورت لها فمست خاتمها - وكان فيه السم - وقالت : « بيدي لا بيد عمرو فذهبت مثلاً . وتلقاها عمرو فجلبها بالسيف وقتلها واصاب ما اصاب من المدينة واهلها وانكفاً راجعاً الى العراق .

قصص العرب

(١) القلوص : الطويلة القوائم من الابل . (٢) صاء وصمت : أراد بما صاء الشام والابل وبما صمت : الذهب والفضة . يريد أنه جاء بكل شيء . (٣) النار : اليابس .

عكاظ

في الجنوب الشرقي من مكة المكرمة وعلى بعد نحو عشرة أميال من الطائف ونحو ثلاثين ميلاً من مكة مكان منبسط في واد فسيح به نخل وبه ماء وبه صخور يسمى هذا المكان عكاظ ، وكانت تقام به سوق سنوية تسمى سوق عكاظ . وقد اختلف اللغويون في اشتقاق الكلمة فقال بعضهم اشتقت من تعكظ القوم اذا تجسسوا لينظروا في امورهم ، وقال غيرهم عكاظ لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضاً بالمفاخرة اي يمركه ويقهره كما اختلفت القبائل في صرفها وعدم صرفها ، فالحجازيون يصرفونها وتيم لا تصرفها ، وعلى اللغتين ورد الشعر : قال دريد بن الصمة : تغيبت عن يومي عكاظ كليهما .

وقال ابو ذؤيب :

اذا بنى القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الالوف

وكان للعرب اسواق كثيرة محلية كسوق صنعاء وسوق حضرموت وسوق صحار وسوق الشحر ، انما يجتمع فيها غالباً أهلها واقرب الناس اليها . ويجانب هذه الأسواق الخاصة اسواق عامة لقبائل العرب جميعها أهمها سوق عكاظ .

وكان يأتي عكاظ قريش وهوازن وغطفان والأحابيش وطوائف من افناء العرب ، وكانت كل قبيلة تنزل في مكان خاص من السوق . ففي الخبر ان رسول الله ﷺ ذهب مع عمه العباس الى عكاظ ليريه العباس منازل الاحياء فيها ويروى كذلك ان رسول الله جاء كندة في منازلهم

بعكاظ .

بل كان يشترك في سوق عكاظ اليمينيون والحيريون . يقول المرزوقي :
كان في عكاظ أشياء ليست في أسواق العرب كان الملك من ملوك اليمن
يبعث بالسيف الجيد والحلة الحسنة والمركوب الفاره ، فيقف بها وينادي
عليه ليأخذه أعز العرب يراد ذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة
عليه ويحسن صلته وجائزته .

واختلفت الأقوال في موعد انعقادها وأكثرها على انه كان في ذي
القعدة من اوله الى عشرين منه او من نصفه الى آخره . قال المرزوقي
في تاريخ مكة : فاذا كان الحج خرج الناس الى مواسمهم فيصبحون
بعكاظ يوم هلال ذي القعدة فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها اسواقهم
بعكاظ والناس على مداعيمهم وراياتهم منحازين في المنازل تضبط كل قبيلة
اشرافها وقادتها ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ويجتمعون في
بطن السوق فاذا مضت العشرون انصرفوا الى مجنة فاقاموا بها عشراً
اسواقهم قائمة فاذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي الحجاز ثم الى
عرفة وكانت قريش وغيرها من العرب تقول لا تحضروا سوق عكاظ
والجنة وذا الحجاز الا محرمين بالحج ، وكانوا يعظمون ان ياتوا شيئاً
من المحارم او يعدو بعضهم على بعض في الأشهر الحرم وفي الحرم .

وكانت سوق عكاظ تقوم بوظائف شتى فهي أول كل شيء متاجر
تعرض فيه السلع على اختلاف انواعها يعرض فيه الادم والحريير والوكاء
والخذاء والبرود من العصب والوشي ويباع به الرقيق ويعرض فيه كل
سلعة عزيزة وغير عزيزة فما يهديه الملوك يباع بسوق عكاظ .

ولم تكن العروض التي تعرض في سوق عكاظ قاصرة على منتجات
جزيرة العرب فالنعمان يبعث الى سوق عكاظ بمتاجر من حاصلات الحيرة
وفارس لتباع ويشترى بثمنها حاصلات اخرى بل كان يباع في عكاظ

نسخة مجانية

سُلع من مصر والشام والعراق .

وكانت السوق تقوم بأعمال مختلفة اجتماعية فمن كانت له خصومة عظيمة انتظر موسم عكاظ . كانوا اذا غدر الرجل او جنى جناية عظيمة انطلق احدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ فيقوم رجل فيخطب بذلك الغدر فيقول الا ان فلان ابن فلان غدر فاعرفوا وجهه ولا تصاهروه ولا تجالسوه ولا تسمعوا منه قولاً فان اُعتب وإلا جعل له مثل مثاله في رمح فنصب بعكاظ فلعن ورجم .

ومن كان له حاجة استصرخ القبائل بعكاظ كالذي حكى الالفهاني ان رجلاً من هوازن اسر فاستغاث اخوه بقوم فلم يغيثوه فركب الى موسم عكاظ وأتى منازل مذحج يستصرخهم .

ومن كان صعلوكاً فاجراً خلعتة قبيلته ان شاءت بسوق عكاظ وتبرأت منه ومن فعاله كالذي فعلت خزاعة خلعت قيس بن منقذ بسوق عكاظ واشهدت على نفسها بخلمها اياه وانها لا تحمل له جريرة ولا تقالب بجريرة يجرها أحد عليه .

ومن كان داعياً الى اصلاح اجتماعي أو انقلاب ديني كان يرى ان خير فرصة له سوق عكاظ والقبائل من انحاء الجزيرة مجتمعين فمن قبل الدعوة كان من السهل ان يكون داعياً في قومه إذ عاد اليهم فترى قس بن ساعدة يقف بسوق عكاظ يدعو دعوته ويخطب فيها خطبته المشهورة على جبل له أورق فيرغب ويرهب ويحذر وينذر .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجه الى دعوة الناس بعكاظ لانها مجمع القبائل . روى الواقدي ان رسول الله اقام ثلاث سنين من نبوته مستخفياً ثم اعلن في الرابعة فدعا عشر سنين يوافي الموسم يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ والمجنة وذو المجاز يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة فلا يجد أحداً ينصره حتى يسأل عن

القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة حتى انتهى الى بني عامر بن صعصعة فلم يلق من أحد من الاذى ما لقي منهم .

كذلك كان لعكاظ أثر كبير لغوي وأدبي فقد رأينا قبائل العرب على اختلافها من قحطانيين وعدنانيين تنزل بها وملك الحيرة يبعث تجارتها اليها ويأتي التجار من مصر والشام والعراق فكان ذلك وسيلة من وسائل تفاهم القبائل وتقارب اللهجات واختيار القبائل بعضها من بعض ما ترى انه ألقى بها وأنسب لها ، كما ان التجار من البلدان المتمدنة كالشام ومصر والعراق كانوا يطلعون العرب على شيء مما رأوا من أحوال تلك الامم الاجتماعية ، وفوق هذا كانت عكاظ معرضاً للبلاغة ومدرسة بدوية يلقى فيها الشعر والخطب وينقد ذلك كله ويهذب . قال ابو المنذر : كانت بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد ما أثره وايام قومه من عام الى عام فيما اخذت العرب ايامها وفخرها .

وكان على سوق عكاظ كلها رئيس اليه أمر الموسم واليه القضاء بين المتخاصمين قال ابو المنذر : وتزعم مضر ان أمر الموسم وقضاء عكاظ كان في بني تميم .

ومن العسير جداً ان نحدد بدء عكاظ فلم نجد في ذلك خبراً يصح التعويل عليه . وظلت سوق عكاظ تقوم كل سنة وكانت فيها قبيل الاسلام حروب الفجار . وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة وشهدها النبي وهو ابن اربع عشرة سنة مع اعمامه وقال : كنت يوم الفجار أنبل على عمومي . واستمرت هذه الحروب نحو اربع سنوات .

واستمرت عكاظ في الاسلام وكان يعين فيها من يقضي بين الناس فعين محمد بن سفيان بن مجاشع قاضياً لعكاظ وكان ابوه يقضي بينهم في الجاهلية وصار ذلك ميراثاً لهم . ولكن يظهر ان هذه الاسواق ضعف

نسخة مجانية

شأنها بعد الفتوح فاصبحت البلاد المفتوحة أسواقاً للعرب خيراً من سوق عكاظ وصار العرب يغشون المدن الكبرى لقضاء اغراضهم فضعفت أسواق العرب ومنها عكاظ ومع ذلك ظلت قائمة وكان آخر العهد بها قبيل سقوط الدولة الأموية .

فعكاظ عاصرت العصر الجاهلي الذي كان فيه ما وصل إلينا من شعر وأدب وجرت فيها أحداث تتصل بحياة النبي ﷺ قبيل مبعثه ومهدت السبيل لقبيل الاسلام لتوحيد اللغة والادب وعملت على ازالة الفوارق بين عقليات القبائل وقصدها النبي ﷺ يبت فيها دعوته وعاصرت الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي ولكن كانت حياتها في الاسلام أضعف من حياتها قبله وبدا ضعفها من وقت الهجرة لما كان من غزوات وحرروب بين مكة والمدينة أو بين المؤمنين والمشركين فلما فتحت الفتوح رأى العرب في أسواق المدن المتحضرة في فارس والشام والعراق ومصر عوضاً عنها ثم كانت ثورة ابي حمزة الخارجي بمكة فلم يأمن الناس على أموالهم فخربت السوق وختمت صحيفة حياة حافلة ذات أثر سياسي واجتماعي وأدبي .

أحمد أمين

« باختصار »

في صحن الجامع الأموي

في امسية طلقة (من صيف سنة ٨٤٩ هـ) خرج الناس - على عادتهم - الى صحن المسجد الأموي فبسطوا فيه البسط واسرجوا السرج حتى (كاد المسجد يقطر ذهباً ويشتعل لهباً) واقبلوا عليه زرافات ووحداً يقضون بالصلاة حق الله عليهم وبالاجتماع والتعاون حتى بعضهم على بعض ويعودون بثواب الله واطمئنان النفس وراحة البال .

وليس أشهى الى النفس ولا احلى في العين من صحن الأموي في ليالي الصيف وان المرء ليطوف ما يطوف وينشق عبير الازهار ويسمع تغريد الاطيار ويصعد الجبال تتفجر منها العيون ويدخل الجنان تجري من تحتها الانهار ثم يعود الى الأموي فيراه اجمل من ذلك كله ويجد في نفسه حين يجلس فيه هزة طرب ونفحة انس لا يجدهما في شيء من ذلك .

وكانت عشية ريحة تنسم نسماً منعشاً فامتأ المسجد بالناس وهم بين متوضئ يخلع رداءه فيلقي به على بلاط المسجد الابيض الناعم ويسرع الى قبة الماء وهي (في وسط الصحن) وهي صغيرة مشمئة من رخام عجيب محكم الالصاق قائمة على اربع سوار من الرخام الناصع وتحتها شبك حديد وفي وسطه انبوب نحاسي يمج الماء الى علو فيرتفع ثم يثني كأنه قضيب (لجين)^(١) وقد زينت جوانبها بالمصابيح .

ومصل يتغني جماعة فلا يلبث حتى يجدها فيقوم في الصف خاشعاً يشغله جلال الله الذي يقف بين يديه عن الدنيا التي خلفها وراء ظهره . وجالس الى حلقة من هذه الحلقات الكثيرة يستمع الى محدث او فقيه

«١» هذا الوصف لابن بطوطة وقد زارها في آخر الربع الاول من القرن الثامن .

او واعظ او ينصت لقاريء او يذكر الله مع الذاكرين او مستند الى اسطوانة من الاساطين او محتب تحت رواق من الأروقة يقرأ في مصحف او ينظر في كتاب او يسبح على أصابعه او يتفكر في شأن من الشؤون او ينتظر الصلاة فينعم بحمال المسجد ورقة النسيم ويكون من انتظاره الصلاة كأنه في صلاة .

وكان حيال قبة زين العابدين (قبة الساعات) في شرق المسجد رجل رث الثياب ما عليه الا مزق مردمة وخلقان بالية يرنو بعينه الى الناس تارة ، وينظر الى المسجد اخرى فيقرأ فيه تاريخاً جليلاً يقرأه في هذه القبة الباذخة قبة النسر وهي (من اعجب مباني الدنيا ومن اي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة اللسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد) وليس في دمشق شيء أعلى ولا أبهى منظراً منها .

وهذه المنارة العالية التي يسميها الناس (منارة عيسى) لما جاء في الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ويعجب من سموها وارتفاعها وهذه المنارة الغربية التي بناها المسلمون فأجادوا بنيانها ووضعوا فيها العجائب من براعة الزخرف ودقة النحت والضبط والاحكام والمنارة الشمالية (منارة العروس) وقد ازينت واوقدت فيها المصابيح وقام في شرفتها المظلة على الصحن الموقت ليعلن دخول العشاء .

ودخل المسجد قروي له مسألة فسأل عن مجلس المفتين حتى دل عليه عند قبة عائشة فجاء فعرض عليهم مسأله فلم يجد عند واحد منهم جوابها فذهب يدور على الفقهاء والمحدثين يسألهم فلم يفرز منهم بطائل فيئس منهم وهم بالخروج من المسجد... والفقير ينظر اليه ويعجب من حاله وحالهم ، وعز عليه ان ينصرف آيساً فإشار اليه فلما جاءه قال : اعرض علي مسألتك .

فضحك القروي وصاح : انظروا يا قوم الى هذا المجنون يزعم انه

يجيبني عن مسألي وقد اعجزت المفتين والفقهاء واصحاب الحديث فأقبل الناس على الصوت وطفقوا يتكلمون فقال قائل : دعه فإنه مجنون وقائل لا عليك ان تسأله فلعل عنده علماً وقائل سله واحمل جوابه الى المفتين فانظر ما هم قائلون ؟

ثم سكتوا وسكت كل من في المسجد وانقطعت أصوات القراء والمدرسين والذاكرين ولم يبق فيهم متكلم لأنها قد تكلمت فوق رؤوسهم النبوة وسمعوا (الله اكبر) تدوي في نواحي المسجد تهبط عليهم من المآذن كأنما هي هابطة من السماء فيها روعة الوحي وجلال الدين وجمال الايمان فتقوضت المجالس ورضت الصفوف وتحاذت المناكب وقال الامام الله اكبر فهانت الدنيا في نفوسهم وأمحت منها الشهوات وطمست فيها الميول لأنه مهما يكن من كبير فالله اكبر ولا إله إلا الله .

فلما قضيت الصلاة عادوا الى القروي فقالوا له اذهب فسل صاحبك فذهب اليه فقال :

يا هذا زعمت انك قادر على الجواب فهل انت على قولك ؟ قال : استعين بالله . قال : وقد اعجزت المفتين وحيرتهم أفأنت تستطيع ان تجيب عليها ؟

قال : استعين بالله .

قال : هي كذا وكذا وقال : الجواب كيت وكيت وابتدر الفقير الباب وخف الناس بالقروي فقالوا : هل اجابك ؟ بـم اجابك قل لنا بماذا اجابك ؟

فقال : وما انا بقائل لكم حرفاً حتى القى المفتين وأسرع وأسرع معه الناس الى المفتين وقد عادوا الى مجلسهم فقال : رأيتم ذلك الفقير ؟ قالوا : نعم . قال : قد أجابني عن مسألي .

فضحكوا من جهالة وجهالته وقالوا : بـم اجابك ؟ قال بكذا وكذا .

فلما سمعوه وأخذ منهم الجذ مأخذه ونظر بعضهم الى بعض وكلمهم
مشدوه حائر لا يدري مم يعجب أمن كثرة علم الرجل مع رثاثة هيئته
أم من رثاثة هيئته مع كثرة علمه ثم انتهوا فقالوا : ويحكم ادركوا
الرجل ان له لساناً وما نظنه الا آية من آيات الله جاءت ترينا حقيقة
العلم وسمو الفقر وجلال التواضع وأدركوا الرجل فقالوا : قد خرج .

قالوا : او ليس فيكم من يعرفه ؟

فقال رجل من القوم والله ما رأيناه إلا في السيمصاتية^(۱) وقد نزلها
منذ ايام فكان ينظف كنفها ومراحيضها ويتخذ مجلسه على الباب حتى
اذنوا له بالدخول وما رأيناه الا عاكفاً على صلاة او مشتغلاً بتسبيح
ولم يكلم احداً .

قال المفتون : ويحكم قوموا بنا اليه .

فلما دخلوا عليه قالوا له : من انت ؟

قال : رجل من الناس .

قالوا : قد سمعنا جوابك وانا نسألك بالله الذي لا إله إلا هو الا ما

اخبرتنا من انت .

قال : انا لله وانا اليه راجعون اما وقد اقسمتم فانا ابو حامد الغزالي .

فصاحوا حجة الاسلام وانكبوا على يديه يقبلونها ويسألونه ان يعقد

لهم مجلساً في الغد ثم انصرفوا .

فلما كان الغد نظروا فإذا الشيخ قد فارق دمشق .

علي الطنطاوي

« ۱ » الخانقاه السيمصاتية وراء جدار الاموي الشمالي حيال الحديقة التي فيها اليوم قبر صلاح الدين الايوبي وهي قديماً قالوا انها كانت منزل عمر بن عبد العزيز وقد انشئت في السنين الاخيرة انشاء جديداً لتكون مدرسة نظامية لتدريس العلوم الاسلامية .

وفود العرب على كسرى

- ١ -

حدث ابن القطامي عن الكلبي قال :
قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ،
فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع
الامم لا يستثنى فارس ولا غيرها .
فقال كسرى - وأخذته عزة الملك - يا نعمان يا نعمان لقد فكرت
في أمر العرب وغيرهم من الأمم ونظرت في حال من يتقدم علي من
وفود الامم فوجدت الروم لها حظ في اجتماع ألفتها وعظم سلطانها
وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها .
ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة انهار بلادها
وثمارها وعجيب صناعاتها وطيب اشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها
وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات ايديها وفروسياتها وهمتها في
آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها ملكاً يجمعها والترك والخرز - على ما
بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف (١) والمثار والحصون وما هو
رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس - لهم ملوك تضم قواصيمهم
وتدبر امهم . ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا
دنيا ولا حزم ولا قوة ومع ان مما يدل على مهانتها وذلها وصغر
همتها محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون

نسخة مجانية

(١) أرض فيها خصب وزرع .

أولادهم من الفاقة (١) ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل التي يعافها (٢) كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها. وان قرى (٣) احدهم ضيفاً عدها مكرمة وان أطمع أكلة عدها غنيمة - تنطق بذلك اشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ما خلا هذه التنوخية التي اسس جدي اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها فجرى لها ذلك الى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثاراً ولبوساً (٤) وقرى وحصوناً وأموراً تشبه بعض امور الناس (يعني اليمن) ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقللة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا ان تنزلقوا فوق مراتب الناس.

قال النعمان: «اصلى الله الملك حق لأمة (٥) الملك منها ان يسمو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجاتها، الا ان عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فان أمني من غضبه نطقت به، قال كسرى قل فانت آمن قال النعمان:

أما امتك - ايها الملك - فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها واحلامها وبسطة محلها وبجبوحه (٦) عزها وما اكرمها الله به من ولاية آباتك وولايتك، واما الامم التي ذكرت فاي امة تقرنها بالعرب الا فضلتها. قال كسرى: بماذا؟ قال النعمان:

بعزها ومنعتها وحسن وجوها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها.

فأما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآباتك الذين دوخوا البلاد، ووطدوا الملك وقادوا الجند ولم يطمع فيهم طامع ولم ينلمهم نائل، حصونهم

(١) الفقر. (٢) يكرمها ويزهد فيها. (٣) اكرمه وقدم له الطعام وغيره. (٤) المراد منه هنا الدرع. (٥) يحق لها ويجدر بها. (٦) سعة العيش ورغده.

ظهور خيلهم ومهادم الارض، وسقوفهم السماء، وجنتهم^(١) السيوف
وعدتهم الصبر، اذ غيرها من الامم انما عجزها الحجارة والطين وجزائر
البحور.

واما حسن وجوها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم
من الهند المنعرفة والصين المنحفة والترک المشوهة والروم المقشرة.
واما انسابها واحسابها فليست امة من الأمم الا وقد جهلت آباءها
واصولها وكثيراً من اولها، حتى ان احدهم ليس لعن وراه ابيه دنيا^(٢)
فلا ينسبه ولا يعرفه وليس احد من العرب الا يسمى آباءه ابا فاباً احاطوا
بذلك احسابهم وحفظوا انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب
الى غير نسبه ولا يدعى الى غير ابيه.

واما سخاؤها فان ادناهم رجلاً تكون عنده البكرة والناب^(٣) عليها
بلاغة^(٤) في حمولة^(٥) وشبعه وريه فبطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة^(٦)
ويجتزىء بالشربة فيعقرها^(٧) له ويرضى ان يخرج عن دنياه فيما يكسبه
حسن الاحدوثة وطيب الذكر.

واما حكمة ألسنتهم فان الله تعالى اعطاهم في اشعارهم رونق كلامهم
وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضرهم للأمثال وابلاغهم في
الصفات ما ليس لشيء من السنة الاجناس ثم خيلهم افضل الخيل ونسائهم
أعف النساء ولباسهم افضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة
جبالهم الجزع^(٨) ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها
بلد قفر.

واما دينها وشريعته فانهم متمسكون به حتى يبلغ احدهم نسكه

(١) الترس ونحوه يتخذ للوقاية . (٢) يقال هو ابن عمي دنيا أي لحا . (٣) المسن من الابل .
(٤) الكفاية . (٥) جمع حمل كالأحمال . (٦) القطعة من الشيء . (٧) بكسر القاف
أي بضرب قوائمه بالسيف ليندبجها . (٨) الخرز الياني الصيني فيه سواد وبياض .

ان لهم اشهرأ حرماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوراً ينسكون فيه مناسكهم
ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل ابيه او اخيه وهو قادر على
أخذ ثأره وادراك رغمه (١) منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله
بأذى .

واما وفاءها فان احدهم يلحظ اللحظة ويومئء بالايماة فهي ولث (٢)
وعقدة لا يحلها الا خروج نفسه وان احدهم يرفع عوداً من الارض
فيكون رهنا بدينه فلا يفلق رهنه (٣) ولا تخفر ذمته (٤) وان احدهم
ليبلغه ان رجلاً استجار به وعسى ان يكون ثانياً عن داره فيصاب فلا
يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي اصابته او تفنى قبيلته لما اخفر من
جواره وانه ليلجا اليهم المحرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون
أنفسهم دون نفسه واموالهم دون ماله .

اما قولك ايها الملك يثدون اولادهم فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث
انفة من العار وغيره من الازواج .

واما قولك ان افضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها فما
تركوا ما دونها الا احتقاراً له فعمدوا الى اجلها وافضلها فكانت مراكبهم
وطعامهم مع انها أكثر البهائم شحوماً واطيبها لحماً وأرقها الباناً واقلها
غائلة (٥) واحلاها مضغة وانه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به
لحمها الا استبان فضلها عليه .

واما تحاربهم واكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم
ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا أنست من نفسها ضعفاً
وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه إنما يكون في المملكة العظيمة
أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون اليهم أمورهم

«١» اذلاله والرغم القسر والاذلال . «٢» العهد . «٣» استحققه المرتين . «٤» لا ينقض
عهده . «٥» الشر .

وينقادون لهم بأزمتههم وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا
ن يكونوا ملوكاً اجمعين مع انفتهم من اداء الخراج .
واما اليمن التي وصفها الملك فإنما اتى جد الملك الذي أتاه عند غلبة
الجيش له على ملك متسق وأمر مجتمع فأناه مسلوباً طريداً مستصرخاً قد
تقاصر عن ابوانه وصغر في عينه ما شيد من بناثه ولولا ما وتر به من
يليه من العرب لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ويفضرب للاحرار
من غلبة العبيد الاشرار .
فمجب كسرى لما أجابه النعمان به وقال : انك لاهل لموضعك من
الرياسة في أهل اقليمك ولما هو افضل ثم كساه من كسوته ومرحه الى
موضعه من الحيرة .

٢

فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من نقص
العرب وتهجين^(١) أمرهم بعث إلى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة
التميميين وإلى الحرث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين وإلى خالد بن
جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين وإلى عمرو بن الشريد
السلمي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي والحرث بن ظالم المري فلما
قدموا عليه في الخورنق قال لهم :

قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من
كسرى مقالات تخوفت ان يكون لها غوراو يكون انما اظهرها لأمر أراد
ان يتخذ به العرب خوفاً كبعض طباطمته^(٢) في تأنيهم الخراج اليه كما
يفعل بملوك الامم الذين حوله فقص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه .
فقالوا : ايها الملك وفقك الله ما أحسن ما رددت وابلغ ما حججت

(١) التقيح . (٢) الذين في سنتهم عجمة مفردة طمطم وطمطمي وطمطماني .

به فمرنا بأمرك وادعنا بما شئت .

قال : انما انا رجل منكم وانما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم . وليس شيء أحب إلي مما سدد الله به أمركم وأصلح به شأنكم وادام به عزكم ، والرأي ان تسيروا بجماعتكم - ايها الرهط - وتنطلقوا إلى كسرى فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن او حدثه نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يفضبه فإنه ملك عظيم السلطان كثير الاعوان مترف معجب بنفسه ولا تنخذلوا^(١) له انخذال الخاضع الذليل وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم وفضل منزلتكم وعظيم اخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام اكنم بن صيفي لسنى حاله ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها فإنما دعاني الى التقدمة اليكم علمي بميل كل رجل منكم الى التقدم قبل صاحبه فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطمئناً فإنه ملك مترف وقادر متسلط .

ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك لكل رجل منهم حلة وعممه عمامة وختمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنجبية مهربية^(٢) وفرس نجبية^(٣) وكتب معهم كتاباً ، اما بعد فإن الملك القى الي من العرب ما قد علم واجبته بما قد فهم بما احببت ان يكون منه على علم ولا يتاجلج في نفسه ان امة من الامم التي احتجرت دونه لملكها وحمى ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الامور التي يعززها بها ذور الحزم والقوة والتدبير والمكيدة وقد أوفدت - ايها الملك - رهطاً من العرب لهم فضل في احسابهم وانسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليغمض عن جفاء ان ظهر من مناطقهم وليكرمهم باكرامهم وتعجيل سراحهم وقد

(١) لا تمشوا بتثاقل . (٢) نسبة الى مهره وهي منطقة لنسب اليها الابل النجبية .

(٣) البعير أو الفرس العتيق الكرم .

نسبتهم في أسفل كتابي هذا الى عشائريهم ، .
فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمداين فدفعوا
اليه كتاب النعمان فقراه وأمر بإزالتهم الى ان يجلس لهم مجلساً يسمع
منهم فلما ان كان بعد ذلك بأيام أمر الرؤساء ووجوه أهل مملكته فحضروا
وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الولاة^(۱) والمراتب
التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترجمان يؤدي اليه كلامهم ثم
اذن لهم في الكلام .

فتكلم كل رجل بما حضره وكسرى يسمع فيقبل ما يعجبه ويقوم
ما يراه معوجاً حتى انتهوا فقال :

قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم وتفنن فيه متكلموكم ولولا اني اعلم
ان الادب لم يثقف اودكم^(۲) ولم يحكم امركم وانه ليس لكم ملك يجمعكم
فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقتم بما استولى على السنتكم
وغلب على طباعكم - لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به وأني لأكره ان
أجبه وفودي او احنق صدورهم والذي احب اصلاح مُدبركم وتألف
شواذكم والاعذار الى الله فيما بيني وبينكم وقد قبلت ما كان في منطقتكم
من صواب رصفت عبا كان فيه من خلل فانصرفوا الى ملككم فأحسنوا
مؤازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم واقيموا اودكم واحسنوا أديهم -
فإن في ذلك صلاح العامة .

(۱) التوالي من والي . (۲) الاعوجاج .

سفينة الصحراء

كان الجمال من أهم الدواب التي استأنسها الانسان ليستخدمها في خدمة أغراضه المختلفة على مر العصور ، فقد كان هذا الحيوان وما زال يستخدم في مناطق كثيرة كدابة من دواب الحمل ووسيلة من وسائل النقل عبر الفيافي والقفار ، وكان عماداً لقوافل التجارة عبر الصحراء العربية ، وبين البحرين الأبيض والأحمر ، وبين مصر والسودان ، وفي غيرها من طرق القوافل ودروبها ، كما انه يستخدم في اعمال الزراعة والحرث في كثير من مناطق القارة الافريقية وكذلك في آسيا . والنوق لم تبخل على الانسان بما تدره من لبن كان له غذاء مستساغاً . اما وبر الجمال او صوفه فقد صنع منه الانسان أردية وأغطية تقيه قارس البرد ولافح الريح ، ومن جلود الإبل صنع الاعراب خيامهم التي يجمعون اليها طلباً للراحة واتقاء للقيظ .

ومن غريب ما يطالعنا به علماء الجيولوجيا ان العائلة التي تنتمي اليها الجمال ظهرت اول ما ظهرت في امريكا الشمالية ثم ما لبثت حيوانات تلك العائلة ان انتشرت على مر الملايين من السنين الى امريكا الجنوبية والى آسيا عبر قناطر أرضية كانت تصل بين هذه القارات في تلك العصور ، على ان الاسلاف التي كانت تقطن امريكا الشمالية ما لبثت ان لحقها الانقراض جميعاً ولم يبق بأمرিকা الجنوبية على قيد الحياة سوى أقارب للجمال تمثلها أنواع اللاما التي تقطن مرتفعات جبال الأنديز والتي يستخدمها الاهالي ايضاً كدواب للعمل كما انهم يصنعون من وبر بعض انواعها اردية ومعاطف ثمينة .

ولم يبق على قيد الحياة من انواع الجمال في القارتين الافريقية والاسيوية سوى نوعين هما الجمال العربي ذو السنام الواحد والمعروف في شبه جزيرة العرب وبلدان الشرق الاوسط وشمال افريقيا المسمى (الدروميدياري) اما النوع الآخر فهو يقطن بلدان آسيا الوسطى وهو ذو سنامين وجسمه



الجمال سفينة الصحراء

مغطى بشعر طويل كثيف يقيه شدة البرد مما يجعله أكثر ملاءمة للحياة في المناطق المرتفعة الباردة ، وتقتصر الإشارة في هذا المقال على النوع الاول او الدروميدياري .

والابل تعمل في خدمة الانسان منذ ما يقرب من خمسة آلاف عام ، فقد كان الجمال معروفاً في الصين القديمة كما كان البابليون يستخدمونه

نسخة مجانية

منذ ثلاثة آلاف سنة . وقد تردد ذكر الجمل في كنب التوراة في اكثر من موضع .

والجمل على ما يبديه من صبر وهدوء واستسلام عنيد صعب المراس لا يرضى سوء المعاملة كما ان له ذاكرة قوية فهو يحمل الضغينة لفترة طويلة ويظل يتحين الفرص للأخذ بثأره ويتخير لذلك لحظة يكون فيها غريمه غافلاً عن أمره .

وقد حبيت الابل بصفات فادرة جعلت منها حيوانات مثالية لا غنى للانسان عنها في مواطنها الصحراوية وفي المناطق القاحلة ، فأصبح الجمل ذا قيمة اقتصادية عظيمة في بعض بلاد افريقيا وآسيا ، فهو حيوان قوي يستطيع ان يتحمل شظف العيش وطول الحرمان ، ومن الصفات التي يتحلى بها الجمل ويوائم بها حياته في الصحراء فتساعده على تحمل ما في تلك الحياة من قسوة وجود صفين من الرموش الطويلة حول العينين تعمل هذه الرموش المزدوجة على وقاية العين من حبات الرمال التي تذررها العواصف الصحراوية كما ان المنخرين مزودان بشعر كثيف ، ويسهل على الحيوان اغلاقهما اذا ما عصفت الريح واشتد زئيرها ، وارجل الجمل طويلة وأخفافه عريضة مفلطحة مما يساعده على الخطو فوق الرمال الناعمة وبكل قدم اصبعان فقط والقدم مزود بوسادة سميكة مرنة تتفلطح الى الجانبين عندما تطاء القدم الارض ، ويتصل بكل قدم من الامام ظفران صغيران ، اما السنم الذي يعتلي ظهر الجمل فهو عبارة عن كتلة من النسبج الدهني المختزن يلتجأ اليه الحيوان فيستغل ما به من مواد دهنية اذا ما نقص الغذاء او تعذر عليه العثور على ما يقنات به ، ويختلف حجم السنم باختلاف الظروف التي تمر بالحيوان ، فهو يضمم جداً ويكاد يختفي بعد فترات من العمل الشاق او قلة الغذاء ، ويكبر حجمه ويصبح مكثراً بعد فترات من الراحة والغذاء الكافي .

وينتمي الجمل الى مجموعة الحيوانات المجتررة وهو يشترك مع تلك الحيوانات في ان معدته مقسمة الى عدة تجاويف تقوم كل منها بوظيفة معينة في مراحل هضم الطعام ، على ان جدار احدى تجاويف المعدة في الجمل به تركيب لا يوجد في اى من المجترات الاخرى اذ يحتوي على مجموعات من الحجرات الصغيرة تعرف بالأكياس المائية ، وتنشأ الأكياس المائية نتيجة لنمو حواجز رأسية واخرى افقية تبرز من جدار المعدة الداخلي وتتقاطع فتحصر بينها تلك الأكياس ، ولكل كيس غطاء عضلي يمكن بواسطته اغلاق فوهته المطللة على فراغ المعدة .

وتعتمد المدة التي يقضيها الجمل دون ان يشرب الماء على الظروف المحيطة به . فهو يستطيع اثناء شتاء ممطران يستغني تماماً عن شرب الماء مكتفياً بما يحصل عليه من عصارة تحتويها النباتات الصحراوية التي يتغذى عليها والتي تكون غنية بالماء خلال فصل المطر . على ان فصول الشتاء في المناطق الصحراوية متباينة من حيث شدة المطر . وقد يمر الشتاء كله دون ان تجود السماء بقطرة ماء وبذلك تكون النباتات الصحراوية جافة عجفاء . وفي هذه الحالة لا بد للجمل ان تشرب الماء بين حين وآخر . وإذا اقتصر اغتذاء الحيوان على الاعشاب الجافة فإنه يتحمل الانقطاع عن شرب الماء لمدة اسبوعين في فصل الشتاء ، وفي خلال هذه المدة يفقد الجمل الماء من أنسجة جسمه عن عدة طرق مثله في ذلك مثل غيره من الحيوانات الثديية . فهو يفقد ماء يستهلك في تكارين السائل البولي كما يتبخر الماء من رئتيه في اثناء التنفس وبذلك ينقص وزن الحيوان يومياً بمقدار ما فقده جسمه من ماء . فإذا ما قدم للحيوان ماء بعد انقضاء الاسبوعين اللذين انقطع خلالها عنه فإنه يشرب منه مقداراً يعادل ما فقده من وزن جسمه فيعود وزنه إلى ما كان عليه .

ولا شك ان هناك ظلاً من الحقيقة في ان الجمل يخزن الماء في

نسخة مجانية

سنامه . اذ ان الحيوان عندما يلجأ الى استغلال ما بالسنام من دهن مختزن في انتاج الطاقة اللازمة لحياته فإن بعض ما يحتويه ذلك الدهن من عنصر الهيدروجين يتأكسد باتحاده بالاكسجين مكوناً الماء . على ان كمية الماء الناتجة عن هذه العملية من الضالة بحيث لا يمكن ان تفي بحاجة الحيوان خاصة وانه يعود فيفقد مع هواء الزفير الخارج من الرئتين في عملية التنفس .

وقد ثبت أن أهم العوامل التي تجعل للجمل القدرة على تحمل العطش هو قدرته على تحمل النقص الشديد في الماء الموجود بأنسجة جسمه وانه في خلال ذلك لا يفقد الماء من سائله الدموي إلا بنسبة ضئيلة جداً وهو يختلف في هذا الشأن عن معظم الحيوانات الثديية الاخرى والتي تفقد نسبة كبيرة من الماء الموجود في دماغها اذا تعرضت لنفس الظروف مما يؤدي الى الموت السريع إذا لم يبادر الحيوان الى تجموع الماء . ونخلص من ذلك الى ان الجمل يحتاج الى كميات من الماء تقل كثيراً عن تلك التي تحتاجها معظم الثدييات الاخرى الا انه لا بد له ان يشرب الماء إذا كان ما يغتذي عليه من نباتات صحراوية خلواً منه .

رمسيس لطفي

« باختصار »

عروة وعفراء

هلك حزام وترك ابنه عروة صغيراً في حجر عمه عقال ، وكانت عفراء ترباً لعروة يلعبان جميعاً ويكونان معاً حتى الف كل واحد منهما صاحبه الفاً شديداً ، وكان عقال يقول لعروة لما يرى من الفهما : ابشر فان عفراء امتك ان شاء الله .

فكانا كذلك حتى كبرا فلحقت عفراء بالنساء ولحق عروة بالرجل فأتى عروة عمه له يقال لها هند ، وقال لها في بعض ما يقول : يا عمه إني لمكلمك في أمر عفراء واني منك لمستحي ، ولكن لم افعل هذا حتى ضقت ذرعاً بما انا فيه .

فذهبت عمته الى اخيها فقالت له : يا اخي قد اتيتك في حاجة احب ان تحسن بها فان الله يأجرك لصلة رحمك بي . فقال لها : قولي فلن تسالي حاجة الا رددتك بها . قالت : تزوج عروة ابن اخيك بابنتك عفراء . فقال : ما عنه مذهب ولا هو دون رجل يرغب فيه ولا بنما عنه رغبة ، ولكنه ليس بذئبي مال وايسر عليه عجلة .

فطابت نفس عروة وسكن بعض السكون ، وكانت امها سيئة الرأي فيه تريد لابنتها ذا مال ووفر .

فلما تكاملت سن عروة وبلغ أشده عرف ان رجلاً من قومه ذا يسار ومال كثير يخطبها . فأتى عمه فقال : يا عم قد عرفت حقي وقرابتي واني ولدك وربيت في حجرك ، وقد يلغني ان رجلاً خطب عفراء فان اسعفته بطلبته قتلتني وسفكت دمي فأنشدك الله ورحمي وحقي . فرق له وقال : يا بني انت معدم وحالنا قريبة من حالك ولست نخرجها الى سواك وامها

قد أبت ان تزوجها الا بمهر غال .

فضرب في الارض يبتغي الرزق ثم جاء الى امها فألطفها وداراها ، فأبت ان تجيبه الا بما تحتكمه من المهر وبعد ان يسوق شطره اليها ، فوعدها بذلك وعلم انه لا تنفعه قرابة ولا غيرها الا المال الذي يطلبونه فعمل على قصد ابن عم له موسر وكان مقيماً بالري فجاء الى عمه وامراته فأخبرهما بعزمه فصوباه ووعدها الا يحدث أمراً حتى يعود .

وصار في ليلة رحيله الى عفراء فجلس عندها هو وجواري الحي يتحدثون حتى أصبحوا ثم ودعها وودع الحي وشد على راحلته وصحبه في طريقه فتيان كانا يألفانه وكان طول سفره ساهماً بكلماته فلا يفهم - فكره في عفراء - حتى يردا عليه القول مراراً .

وسار الى ان قدم على ابن عمه فلقيه وعرفه حاله وما قدم له فوصله وكساه وأعطاه مائة من الابل فانصرف بها إلى اهله .

وقد كان رجل من أهل الشام من انساب بني أمية نزل في حي عفراء فنحر ووهب وأطعم وكان ذا مال فرأى عفراء وكان منزله قريباً من منزلهم فأعجبته وخطبها الى ابيها فاعتذر اليه وقال : قد سميتها إلى ابن أخ لي يعد لها عندي وما اليها لغيره سبيل فقال : اني ارغبك في المهر قال : لا حاجة لي بذلك فعـدل الى امها فوافق عندها قبولاً لبذله ورغبت في ماله فأجابته : ووعدته وجاءت الى عقال وقالت : اي خير في عروة حتى تحبس ابنتي عليه وقد جاءها الغني يطرق بابها ؟ والله ما تدري أحي عروة أم ميت ؟ وهل ينقلب اليك بخير أو لا ؟ فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً فلم تزل به حتى قال لها : فان عاد لي الاموي خاطباً أجبته .

فوجهت اليه ان عد اليه خاطباً فلما كان من غد نحر جزراً عدة واطعم ووهب وجمع الحي معه على طعامه وفيهم ابو عفراء فلما طعموا اعاد

القول في الخطبة فأجابه وزوجه وساق اليه المهر وحولت اليه عفراء
وقالت : قبل ان يدخل بها .

يا عرو ، ان الحي قد نقضوا عهد الاله ، وحاولوا الغدرا
فلما كان الليل دخل بها زوجها ، وأقام فيهم ثلاثاً ثم ارتحل بها الى
الشام وعمد ابوها الى قبر عتيق فجدده وسواه وسأل الحي كتمان أمرها ،
وقدم عروة بعد ايام فنعاهما ابوها اليه وذهب به الى القبر فمكث يختلف
اليه اياماً وهو مضى هالك حتى جاءت جاريتة من جوارى الحي فأخبرته
الخبر فتركهم وركب بعض ابله واخذ معه زاداً ونفقة ورحل الى الشام
فقدمها وسأل عن الرجل فأخبر به ودل عليه فقصدته وانتسب اليه في
عدنان فأكرمه وأحسن ضيافته فمكث اياماً حتى أنسوا به .

ثم قال لجاريتة لهم : هل لك في يد تولينها ؟ فقالت : نعم . قال :
تدفعين خاتمي هذا الى مولاتك فقالت : سواة لك؟ اما تستحي لهذا القول
فأمسك عنها ثم عاد عليها وقال لها : ويحك هي والله بنت عمي ومسا
احد منا الا وهو اعز على صاحبه من الناس ، فاطرحي هذا الخاتم في
صحنها فان أنكرت عليك فقولي لها اصطحب ضيفك قبلك ولعله سقط منه .

فرقت له الجارية وفعلت ما امرها به ، فلما شربت عفراء اللبن رأت
الخاتم فعرفته فشبهت ثم قالت : اصدقيني الخبر فصدقته فلما جاء زوجها
قالت له : اتدري من ضيفك هذا ؟ قال : نعم فلان ابن فلان (للنسب
الذي أنسبه له عروة) فقالت : كلا والله بل هو عروة بن حزام بن
عمي وقد كنتك نفسه حياء منك فبعث اليه فدعاه وعاتبه على كتمان
نفسه اياه وقال له : بالرحب والسعة نشدتك الله ان رمت هذا المكان أبداً
وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان واوصى خادماً له بالاستماع عليهما
واعادة ما تسمعه منها عليه .

نسخة مجانية

فلما خلوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق ، فطالت الشكوى وهو يبكي
احر بكاء ، ثم اتته بشراب وسألته ان يشربه فقال : والله ما دخل جوفي
حرام قط ولا ارتكبته منذ كنت ولو استحللت حراماً لكنت قد استحللته
منك ، فانت حظي من الدنيا وقد ذهبت مني ، لقد ذهبت بعدك فما
أعيش ، وقد اجمل هذا الرجل الكريم واحسن وانا استحي منه ووالله
لا أقيم بعد علمه مكاني واني لأعلم اني راحل الى منيتي فبكت وبكى
وانصرف .

فلما جاء زوجها أخبرته الجارية بما دار بينهما قال : عفراء امنعي ابن
عمك من الخروج : فقالت : لا يمتنع هو والله اكرم واشد حياء من ان يقيم
بعد ما بينكما فدعاه وقال له : يا اخي اتق الله في نفسك فقد عرفت
خبرك وانك ان رحلت تلتفت ووالله لا امنعك من الاجتماع معها أبداً ،
ولئن شئت لأفارقنها ولأنزلن عنها لك فقال له : جزاك الله خيراً واثني
عليه وقال : انما كان الطمع اليها آفتي ، والآن قد يئست وحملت نفسي
على الصبر فان اليأس يسلي ، ولي أمور لا بد من رجوعي اليها فان وجدت
بي قوة على ذلك والا عدت اليكم وزرتكم حتى يقضي الله من امري ما
يشاء ، فزودوه واكرموه وشيعوه فانصرف فلما رحل عنهم نكس بعد
صلاحه وتماسكه واصابه غشي وخفقان فكان كلما اغمي عليه القي على
وجهه حمراً لعفراء زودته اياه فيفيق .

ولقيه في الطريق ابن مكحول عراف اليمامة فرآه وجلس عنده وسأله
عما به وهل هو خبل او جنون ؟ فقال له عروة : ألك علم بالأوجاع ؟
قال : نعم ، فانشأ يقول :

فما خبل عندي ولا بي جنة ولكن عمي يا أخي كذوب
اقول لعراف اليمامة داوني فانك ان داويتني لطيب
فيا كبداً أمست رفاتاً كأنما يلذعها بالموقدات طيب

فتسلو ولا عفراء منك قريب
وما تقبتهما في الرياح جنوب
لهما بين جلدي والعظام دبيب

عشية لا عفراء منك بعيدة
فوالله لا انساك ما هبت الصبا
واني لتعروني لذكراك هزة

وقال يخاطب صاحبيه بقصته :

بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
فأنكما بي اليوم مبتليان
بشحط النوى والبين معترفان
تقر بها عيناى ، ثم كلاني
جديد وبردأ يمنه زهيات
بي الضر من عفراء يا فتيان
بلين وقلبا دائم الحفقان
وعيناى من وجدى بها تكفان
وعفراء عني المعرض المتواني
من الناس والانعام يلتقيان
ويرعاهما ربي فلا يربان
واني واياهما لمتخلفان
ولا للجبال الراسيات يدان
على كبدي من شدة الحفقان
حديثا وان ناجيته ونجاني
وعراف نجد ان مما شفياني
وقامما مع العواد يبتدران
ولا شربة الا وقد سقياني

خليلي من عليا هلال بن عامر
ولا تزهدا في الاجر عندي واجلا
أما على عفراء انكما غدا
فيا واشي عفرا دعاني ونظرة
اغركما مني قميص لبسته
مق تكشفافني القميص تبينا
وتعترفنا لهما قليلا وأعظما
على كبدي من حب عفراء قرحة
فعفراء أرجى الناس عندي مودة
فيا ليت كل اثنين بينهما هوى
فيقضي حبيب من حبيب لبانة
هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى
تحملت من عفراء ما ليس لي به
كان قطاة علققت يحناحها
وقد تركتني لا أعبي لحدث
جعلت لعراف اليامة حكمة
فقالا نعم تشفى من الداء كله
فما مراكا من رقية يعلمانها

وما شفيا الداء الذي بي كله
وقالا : شفاك الله والله ما لنا
فويل على عفراء ويلا كأنه
احب ابنة العذري حبا وان نأت
فيا رب انت المستعان على الذي
ولا ذخرا نصحا ولا ألواني
بما ضمنت منك الضلوع يدان
على الصدر والاحشاء حد سنان
ودانيت فيها غير ما متدان
تحملت من عفراء منذ زمان
ثم توفي وهو راجع من الشام ، ولما بلغ عفراء موته قالت لزوجها :
قد كان من خبر ابن عمي ما بلغك ووالله ما عرفت منه قط الا الحسن
وقد مات في وبسبي ولا بد لي من ان انذبه فأقيم مأتما عليه . قال :
افعلي فما زالت تندبه ثلاثا حتى توفيت في اليوم الرابع ، وبلغ معاوية
ابن ابي سفيان خبرهما فقال : لو علمت بحال هذين الحرين الكريمين
لجمت بينهما .

قصص العرب

المربد

المربد ضاحية من ضواحي البصرة في الجهة الغربية منها مما يلي البادية بينه وبين البصرة نحو ثلاثة اميال كان سوقاً للابل وهو واقع على طريق من ورد البصرة من البادية ومن خرج من البصرة اليها ويظهر انه نشأ سوقاً للابل انشاء العرب على طرف البادية يقضون فيه شؤونهم قبل ان يدخلوا الحضرة او يخرجوا منه .

وقد كان للعرب في بادية العراق قبل الفتح الاسلامي ونزلت فيه قبائل من بكر وربيعة ، وكوتوا فيه امارات المناذرة في الحيرة فكان هذا الاقليم معروفاً لهم قبل الاسلام ، وكانت الرحلات من البادية الى العراق ومن العراق الى البادية في حركة مستمرة ، ومعلوم ان البصرة انما خططت في الاسلام في عهد عمر بن الخطاب ، ونزل بها العرب على منازلهم من يمنية ومضرية ، ولكن يظهر ان المربد كان قبل ان تخطط البصرة وكان قبل الاسلام .

واخباره في الجاهلية منقطعة او معدومة مما يدل على قلة خطره اذ ذاك ، انما كان له الخطر بعد ان فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة ، فقد انشئت فيه المساكن بعد ان كان مربداً للابل فقط ، واتصلت العمارة بينه وبين البصرة . وقد كان المربد في الاسلام صورة معادلة لمكاظ ، كان سوقاً للتجارة وكان سوقاً للدعوات السياسية وكان سوقاً للأدب .

وليس يهمننا هنا أثره التجاري وانما يهمننا أثره السياسي والادبي وهما مرتبطان ببعضهما البعض اشد الارتباط فلا داعي للتفريق بينهما ، فقد كانت

نسخة مجانية

الأحزاب السياسية تفتج أدباً من خطب وشعر ، وكانت الخطب والشعر تقوي الأحزاب السياسية وتساعد في تكوينها والحروب بينهما .

كانت أهم أخبار المربد في عصر الخلفاء الراشدين ما كان بعد قتل عثمان بن عفان من سير عائشة ام المؤمنين الى البصرة فأنها نزلت بفناء البصرة ورأت ان تبقى خارجها حتى ترسل الى أهلها تدعوهم بدعوتها وهي المطالبة بدم عثمان ، وبعبارة اخرى الخروج على علي ، وكان معها طلحة والزبير ، ثم سارت الى المربد معها وخرج اليها من قبل دعوتها وخرج الى المربد كذلك عامل عليّ على البصرة وهو عثمان بن حنيف ومن يؤيده ، وأصبح المربد وهو يموج بمن أتى من الحجاز ومن خرج من البصرة مجالاً للخطباء ممن يؤيد عائشة ومن معها ومن يؤيد علياً وعامله ، اصحاب عائشة في ميمنة المربد واصحاب علي في ميسرته .

وهكذا ينتقل المربد الى مجمع حافل فيه الدعوات السياسية مؤيدة بالحجج والبراهين وفيه معرض البلاغة من خطب طويلة وجمل قصيرة متينة وفيه الجدل والمناظرة وبحث أهم الاحداث في ذلك العصر وهو مقتل عثمان بن عفان ولم تغد هذه الحرب اللسانية فانتقلت الى حرب بالسلاح وأصبح المربد ساحة للقتال .

وكان العصر الأموي أزهى عصور المربد ذلك لان العرب كانوا قد هداوا من الفتح واستقرت الممالك في أيديهم وأصبح العراق مقصد العرب يؤمه من أراد الغنى وخاصة البصرة . جاء في الطبري ان عمر بن الخطاب سأل انس بن حجية وكان رسولاً الى عمر من العراق فقال له عمر كيف رأيت المسلمين : فقال انثالث عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة فرغب الناس في البصرة فأتوها وكان المربد باب البصرة يمر به من ارادها من البادية ويمر به من خرج من البصرة الى البادية ويقطنه قوم

من العرب كرهوا معيشة المدن كما يقصده سكان البصرة يستنشقون فيه هواء البادية فكان ملتقى العرب يحيون فيه حياة تشبه حياة الجاهلية من مفاخرة بالانساب وتعاضم بالكرم والشجاعة .

وكان الامويون على وجه العموم يعيشون عيشة عربية ويحتفظون بعربيتهم ان اخذوا شيئاً من الحضارة صبغوه بصبغتهم وحولوه الى ذوقهم وكذلك فعل عرب البصرة أرادوا ان يكون لهم من مربد البصرة ما كان لهم من سوق عكاظ في الحجاز فبلغوا غايتهم وأحيوا العصبية الجاهلية .
ورأينا المربد في العصر الاموي يزخر بالشعراء يتهاجون ويتفاخرون ويعلي كل شاعر من شأن قبيلته ومذهبه السياسي ويضع من شأن غيره من الشعراء ومذاهبهم السياسية .

ومن أجل هذا خلف لنا المربد أجل شعر أموي من هذا النوع فكثير من نقائض جرير والفرزدق والاخلطل كانت أثراً من آثار المربد قيلت فيه وصدرت عما كان بينهم من منافرة وخصومة . يروي الاغاني ان جريرا والفرزدق اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجاج والاخلطل وكعب بن جعيل (الخ) في خبر طويل .

كان كل من جرير والفرزدق يلبس لباساً خاصاً ويخرج الى المربد ويقول قصائده في الفخر والهجاء ، والرواة يحملون الى كليهما ما قاله الآخر فيرد عليه .

وكان لكل شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون منه .

وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره . فقد روى الاغاني ايضاً ان جريراً بات يهمهم بالشعر في هجاء الفرزدق والراعي فما زال كذلك حتى كان السحر وقد قالها ثمانين بيتاً في بني نمر فلما ختمها بقوله :

فغض الطرف انك من نمر فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

كبر ثم أصبح حتى اذا عرف ان الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد
وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا بدهن فادهن ولف رأسه ودعا غلامه
فأسرج له حصاناً وقصد مجلسهم وانشدها فنكس الفرزدق وراعي الابل .
ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعني جريراً والفرزدق والاخلط طائفة
أخرى من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم .

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعنده جماعة مجتمعة وهو قائم عليه
برد قيمته مائتا دينار وينشد بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقداً
شديداً ويسخف بعض تشبيهاته فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد
حتى يموت الخياط . والامراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء
وقد يهيجون بعضهم على بعض خدمة لاغراض حزبية أو سياسية .

وهكذا كان المربد في العهد الاموي معهداً كبيراً انتج ادباً غزيراً من
جنس خاص وكاد هذا الشعر يكون امتداداً للشعر الجاهلي لاتحاد الاسباب
والبواعث فأما الشعر الغزلي ككشعر عمر بن ابي ربيعة وأمثاله فليس له
كبير اثر في المربد لانه فوق النزال والمهاجاة والمفاخرة فليس مجاله حياة
المربد التي وصفناها .

والمربد في العصر العباسي يؤدي غرضاً آخر غير الذي كان يؤديه في
العهد الاموي ذلك ان العصبية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجاة
الفرس للعرب وأحس العرب بما هم فيه جميعاً من خطر من حيث هم
أمة لا فرق بين عدنانهم وقحطانهم فقوي نفوذ الفرس وغلبوا العرب
على امرهم وبدا الناس في المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هي أقرب
الى حياة الفرس من حياة العرب وانصرف الخلفاء والامراء على مثل
النزاع الذي كان يتنازعه جرير والفرزدق والاخلط وظهرت العلوم تزامم
الادب والشعر وفشا اللحن بين الموالي الذين دخلوا في الاسلام وأفسدوا
حتى على العرب الخالصة لغتهم فتحول المربد يؤدي غرضاً يتفق وهذه

الحياة الجديدة .

أصبح المربد غرضاً يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ولكن ليأخذوا عن
اعراب المربد الملكة الشعرية يحتذونهم ويسرون على منوالهم فيخرج الى
المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما ويخرج الى المربد اللافيون يأخذون
اللغة عن اهله ويدونون ما يسمعون .

والنحويون يخرجون الى المربد يستمعون من أهله ما يصح قواعدهم
ويؤيد مذاهبهم فقد اشتد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة
في النحو وتعصب كل لمذهبه وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد وفي تراجم
النحاة تجد كثيراً منهم من كان يذهب الى المربد يأخذ عن أهله ويخرج
الادباء الى المربد يأخذون الادب من جمل بليغة وشعر بليغ وأمثال
وحكم مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آباءهم كما فعل الجاحظ يقول
ياقوت : ان الجاحظ اخذ النحو عن الاخفش وأخذ الكلام عن النظام
وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد .

وبعد هذه الحياة الحافلة عفى أثر المربد ولم نعد نجد له ذكراً ذا
قيمة وأخني عليه الذي اخني على عكاظ ومات بموته معهدان ادبيان
اتصلت حياة الثاني منها بحياة الأول فقاما نحو ستة قرون يخرجان
شعراً وأدباً ونقداً كان من تراث العرب .

أحمد امين

« باختصار »

نسخة مهنانية

حاکم زاهد

رب آتني من لدنك حكمة ، وهيء لي من امري رشدا ، وارزقني قناعة لا تنفد ورضا بنعمتك لا يتزعزع ، رب قد وهبت جزيلاً واعطيت كثيراً فأعني على شكرك ، فأني لا أقدر ان أقوم ببعض حقك .

بمثل هذا الدعاء كان عمير بن سعد يدعو ربه وهو قادم من ولايته على حمص الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فقد استدعاه بعد ان ولاه بعام ليدسأله عن شؤون الولاية وصالح الشعب .

قدم عمير من حمص الى المدينة في ملبسه الخشن وسمته (١) الزاهد فان الولاية لم تغير شيئاً من زهادته بل لعلها زادته تقشفاً وزهادة ، وجاب الطريق الطويل الشاق على مركب خشن وبغير وسائل تكفل بعض الراحة لكنه كان بهذا راضي النفس ، ولو أنه اراد غيره لقدر عليه .

وبعد الرحلة الشاقة دخل على عمر في ملبسه القشيف وخفيه الباليين وبيده عكازته وعلى ظهره قصعته ومزوده (٢) وأدواته (٣) فسلم وجلس فدهش عمر من مرآه وقال له : ما بك يا عمير ؟ أولابتك ذات جذب وندور خير ؟ أم أهلوها أصحاب سوء لا يدفعون الخراج ؟ .

فدهش عمير بن سعد وقال : ولم تظن ذلك يا امير المؤمنين ؟ قال عمر : لأن مرآك يحمانى على ذلك .

قال عمير : وما الذي انكرت من مرآي ، وقد جئت اليك أحمل الدنيا جميعها ؟

(١) سمته : مظهره . (٢) المزود : وهاء الزاد . (٣) الادوات : وعاء طهور .

فابتسم عمر قائلاً : وما معك من الدنيا ؟
قال عمير : هذه عكازتي اتوكأ عليها وأسوق بها ناقتي وادفع بها
عدواناً تصدى لي .

قال عمر : هيه .

قال عمير : وهذه قصعة أتوضأ فيها لصلاتي واغسل فيها رأسي
وآكل طعامي .

قال عمر : حسن ثم ماذا ؟

قال عمير : وفي هذه الأدوات أحمل ماء شربي وطهوري ، وفي هذا
المزود أحمل طعامي .

فلما سمع عمر حديث عمير اغرورقت^(١) عيناه ثم بكى .

فدهش عمير وقال له : ماذا يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ لم يكن
معي شيء غير هذا فأحدثك عنه أو اطلعك عليه .

ولما سمع عمر ذلك رفع يديه الى السماء وقال : اللهم اجعلني من
الراغبين في الآخرة والزاهدين في الدنيا ، اللهم الحقني بصاحبي غير
مفتضح ولا مبدل ، اللهم صل على نبيك الذي هدانا بعد ضلالة وارض
عن ابي بكر الصديق .

ثم التفت الى عمير وقال : ما صنعت في عملك يا عمير ؟

فقال عمير : أخذت الزكاة من اهل الزكاة ، وقبضت الجزية من
اهل الجزية .

قال عمر : وما الذي فعلته بها ؟

قال عمير : قسمتها بين الفقراء والمساكين وابناء السبيل .

«١» اغرورقت : دمعت عيناه .

قال عمر : وماذا بقي عندك ؟

قال عمير : والله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لأتيتك به .

قال عمر : وكيف حال المسلمين واهل الذمة ؟

قال عمير : اسأل الله ان يكون ظني حقاً ، لقد تركتهم وهم جميعاً

راضون ليس لأحد منهم حاجة ولا مظلمة .

قال عمر : قد عرفت ذلك من قبل فأردت ان استوثق منك

عد يا عمير الى عملك راشداً .

قال عمير : استأذنتك يا أمير المؤمنين ان ازور اهلي واقضي بينهم

بضعة ايام .

قال عمر : لك ذلك .

ذهب عمير الى اهله بعيداً عن المدينة ولم يكن احد منهم يعلم بمقدمه

فتلقته زوجته في شوق وقابله أبناءه في لهفة ، وكان هو مثلهم شوقاً ولهفة .

ثم نظرت زوجته اليه فقالت : ما هذا عمير ؟ لقد تركتنا بحال

خير من حالك هذه ، ما هذا القميص الخلق ؟ وما هذا الرداء البالي ؟

وما هذه النعل التي لا تكاد تستر القدم ؟ ألم يكن في الولاية من المال

ما يجعلك أبر بنفسك وأرعى لسمعتك ؟

قال عمير : وهل كانت الولاية مغنماً يا نائلة ؟

قالت زوجته : لست أقصد ان تتخذها مغنماً فأين عطاؤك ؟ وفيم

كنت تنفقه ؟

قال لها : عطائي انفقته في سبيل الله فاشتريت آخرتي بدنياي فاغتاظت

زوجته ولكنها جاهدت ان تكتم غيظها وقالت : ألسنا أحق بمالك من

الذين اخذوه ؟ قال لها : ان عندكم ما يكفيكم أما أولئك فلا يملكون شيئاً .

وحينئذ جرى صبي من ولده اليه وجلس على حجره وقال له :

- ابن الطرفة^(۱) التي جئت بها إلي يا أبي ؟
فتبسم عمير وقبّل جبين ابنه وقال له : نسيتها هذه المرة وسأتيك
بها في المرة القادمة .
فانبرت زوجته قائلة : المرة القادمة ؟ وهل سنعيش الى المرة القادمة .
فقال عمير : في غير اكثر ان سنعيش جاءت الطرفة وان متنا فما
كان نقصاننا اياها هو الذي عجل بالموت وما كان حصولنا عليها ليؤخر
في اجلنا ساعة او ليغني عنا في القبر قليلا^(۲) .
قالت الزوجة في ضجر : اف من احوالك يا عمير انك لقياس على
نفسك فلا تقس على صفارك هكذا .

قال عمير : واني بهم لرحيم .
قالت : أية رحمة ؟ تؤثر بمالك من لا نعرف وتحول بين نفسك
وزرجتك وولدك وبين ما أحل الله لك من المال كأنك لم تقرأ قول الله
تعالى : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الرِّزْقِ » ؟ ولم تسمع قوله تعالى : « وَأَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا كَسَبْتُمْ » .

فرد عليها بقوله : لا يا نائلة لقد قرأت ذلك وفهمته وليس فيما
أتيت تحريم لكنك غافلة عن قوله تعالى : وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى
حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . وعن قوله تعالى . وَيُؤْتِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^(۳) وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَنَآوَلَتْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، فقطبت جبينها وقالت : لكن جيراننا لا
يفعلون ما تفعل فقال لها : وما لنا وجيراننا ؟ لكل اناس في حياتهم
منزع .

قالت في تهكم : لست أقدر على فهمك .

« ۱ » الطرفة: الهدية الثمينة الفضة. « ۲ » القليل: الخيط الذي في شق النواة. « ۳ » الخصاصة: الفقر.

فقال لها في صوت قوي : بل تقدرين لكن هواك مع الدنيا ومع متاعها الزائل . دعينا من هذا الآن وقومي لتحضري لنا طعاماً فإني جائع . وقامت نائلة لتحضر الطعام وأخذ عمير يلاطف ابناه في حنان وشوق ومسرة برويتهم ، وبعد قليل جاءت نائلة لهم بكسر من خبز الشعير وادام بالزيت ، وقالت له : هذا خير ما عندنا نقدمه اليك يا ابا زيد . فقال : الحمد لله على نعمائه خبز وادام كثير من الفقراء لا يجدون الخبز .

فقالت نائلة : لكأنك علمت بحاجتنا اليك فجئت اليوم ، فانه لم يبق مما تركت لنا إلا طعام بضعة ايام . فقال لها : حمداً لله .

وما هي الا لحظات حتى كان رسول عمر بن الخطاب يقرع باب عمير ، فقد دهش عمر من حال عمير وأراد أن يزداد من أمره ثقة فبعث الى رجل حصيف^(١) اسمه حبيب وقال له : اختبر لي عمير بن سعد بهذه الدنانير المائة ، فانزل عنده ثلاثة ايام لترى حاله فإن وجدته في ضيق فادفع اليه مائة الدينار على انها عطاء له من بيت المال . فلما قرع حبيب باب الدار أذن له فدخل ودعاه عمير الى الطعام فلبى وأقام عند عمير ثلاثة ايام لم ير له طعاماً هو واسرته الا خبز الشعير . وطعاماً مآدوماً بالزيت ، وكان حبيب لم يأخذ بمثل هذا العيش الحشن ثلاثة ايام متوالية فضاق بالضيافة الكريمة ايما ضيق وكاد يعود الى عمر قبل ان يكمل الايام الثلاثة ، وأحس كأن عمر بن الخطاب قصد من ارساله الى عمير ان يعاقبه او يمرنه على الزهادة . لذلك ما كان اليوم الثالث ينقضي حتى قال لعمير : هذه مائة دينار

«١» حصيف : كامل العقل .

بعثني بها اليك عمر عطاء لك من بيت المال ، فقد همه حالك (١) التي رأى وهو يجب ان توسع بها على عيالك .

وسمعت زوجة عمير الحديث ورأت الدنانير تبرق من خلال الصرة ، فندمت في نفسها على جدالها لزوجها وودت لو انها كانت قد صمتت حتى يكون لها في نظر زوجها فضل الصمت والصبر والرضا ، واخذت تمني نفسها بتوسعة تعوض ما وجدت من الضيق .

لذلك اسرعت حين قال لها عمير يا نائلة آتني بفروك الخلق (٢) ، وحسبت انه يريد ان يريه لحبيب ليعلم حاجة البيت الى مال ، وجاءت بفروها الخلق منشوراً بين يديها لتظهر ثقبه ويتضح بلاه وقالت في بشاشة ما هو ذا يا ابا زيد فرو خلق عمره عندي عشرة أعوام ألسنت امرأة مدبرة ؟ وما راعها الا أن عميراً اقبل على الفرو يمزقه قطعاً قطعاً ويصف بعضها الى بعض وهي تنظر اليه لا تريد ان تسأله عما يفعل وحبيب ينظر اليه لا يدري ماذا يريد . ثم جعل يصر الدنانير في القطع خمسة خمسة وهي تقول في نفسها . لعله يقسمها لتنفق كل صرة منها في زمن .

لكنه خيب ظنهما بقوله : اشهد الله ان هذه الصرر لفلان وفلان وفلان وجعل يسمي من يعرف من الفقراء . ثم بعث اليهم وسلمهم الصرر على مرأى من زوجته الحانقة وحبيب المدهوش .

فاستأذن حبيب وعاد الى عمر يقول جئتكم يا أمير المؤمنين من عند أزهد الناس وما عنده من حطام (٣) الدنيا كثير ولا قليل وقص عليه ما شاهد في ثلاثة الايام وما سمع ، فرفع عمر يديه الى السماء قائلاً : الحمد لله ان جعل في المسلمين من يؤثر على نفسه ويعني نفسه بشؤون الشعب ويشترى آخرته بدنياه .

احمد محمد الحوفي

(١) هم : أهمة ، احزنه . (٢) الخلق : البالي (٣) حطام الدنيا : بقايا متاعها .

مروءة ووفاء

خرج النعمان بن المنذر ملك الحيرة يوماً يتصيد على فرسه اليعجوم فأجراه على اثر عير^(١) فذهب به الفرس في الارض ولم يقدر عليه ، وانفرد عن أصحابه وأخذته السماء فطلب ملجأً يلجأ اليه فدفع الى بناء فاذا فيه رجل من طيء يقال له حنظلة ومعه امرأة له فقال لهما : هل من مأوى ؟ فقال حنظلة : نعم فخرج اليه فأنزله ، ولم يكن للطائي غير شاة وهو لا يعرف النعمان ، فقال لامرأته : أرى رجلاً ذا هيئة وما اخلقه ان يكون شريفاً خطيراً فما الحيلة ؟ قالت : عندي شيء من طحين كنت ادخرته فاذبح الشاة لأتخذ من الطحين خبز^(٢) ملة . واخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه ، وقام الطائي الى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فاتخذ من لحمها مرققة مضية^(٣) واطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتمل حتى وجد له شراباً فسقاه وجعل يتحدث بقية ليلته . فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ثم قال : يا اخا طيء اطلب ثوابك انا الملك النعمان . قال افعل ان شاء الله . ثم لحق الخيل فمضى نحو الحيرة ، ومكث الطائي بعد ذلك زماناً حتى اصابته نكبة وجهد وساءت حاله ، فقالت له امرأته : لو أتيت الملك لأحسن اليك فأقبل حتى انتهى الى الحيرة ، فوافق يوم بؤس النعمان فاذا هو واقف في خيله في السلاح . فلما نظر اليه النعمان عرفه وساءه مكانه فوقف الطائي المنزول به بين

(١) العير الحمار الوحشي . (٢) الملة الرماد الحار والجمر وخبز الملة ما يصنع فيها .

(٣) المضية ان يطبخ اللحم باللبن البحت الصريح حتى ينضج اللحم .

يدي النعمان فقال له : انت الطائي المنزول به ؟ قال : نعم . قال :
أفلا جئت في غير هذا اليوم ؟ قال : أبيت اللعن وما كان عامي بهذا
اليوم ؟ قال : والله لو سنج لي في هذا اليوم قابوس ابني لم اجد بدأ
من قتله فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فانك مقتول . قال :
أبيت اللعن وما اصنع بالدنيا بعد نفسي ؟ قال النعمان : انه لا سبيل
اليها قال : فان كان لا بد فأجلني حتى ألم بأهلي فأوصي اليهم وأهبيهم
حالمهم ثم انصرف اليك . قال النعمان : فأقم لي كفيلاً بموافاتك ،
فالتفت الطائي الى شريك^(١) بن عمرو وهو واقف يجنب النعمان ،
فقال له :

يا شريكاً يا بن عمرو هل من الموت محاله^(٢)
يا اخاً كل مضاف يا اخا من لا اخا له^(٣)
يا اخا النعمان فك اليوم ضيفاً قد أتى له

فأبى شريك ان يتكفل به فوثب اليه رجل من كلب يقال له قراد
ابن جدع فقال للنعمان : أبيت اللعن هو علي قال النعمان : أفعلت؟
قال : نعم . فضمنه اياه ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة فمضى الطائي الى
اهله وقد جعل الاجل حولاً من يومه ذلك الى مثل ذلك اليوم من قابل
فلما حال عليه الحول وبقي من الاجل يوم قال النعمان لقراد : ما اراك الا
هالكاً غداً فقال قراد :

فان يك صدر هذا اليوم ولتى فان غدا لناظره قريب
فلما اصبح النعمان ركب في خيله ورجله متسلحاً كما كان يفعل حتى

(١) كان شريك هذا رديف النعمان يجاس عن يمينه ويشرب بعده ويخلفه اذا غزا .

(٢) محالة : حيلة . (٣) المضاف الذي احيط به والذي الجيء وأخرج واثقل بالشر .

أتى الغريين (١) فوقف بينهما وأخرج معه قراداً وأمر بقتله فقال له وزراؤه
ليس لك ان تقتله حتى يستوفي يومه فتركه وكان النعمان يشتهي ان يقتل
قراداً ويفلت الطائي من القتل فلما كادت الشمس تجب (٢) وقراد قائم
مجرد في ازار على النطع (٣) والسياف الى جنبه اقبلت امرأته وهي تقول:
ايا عين ابكى لي قراد بن اجدعا رهيناً لقتل لا رهيناً مودعاً
أتمه المنايا بفتنة دون قومه فأمسى أسيراً حاضر البيت اضرعاً
فبينما هم كذلك اذ رفع لهم شخص من بعيد وقد امر النعمان بقتل
قراد فقبل له ليس لك ان تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو؟ فكف
حتى انتهى اليهم الرجل فاذا هو الطائي .

فلما نظر اليه النعمان شق عليه مجيئه فقال له : ما حملك على الرجوع
بعد افلاتك من القتل؟ قال الوفاء : قال : وما دعاك الى الوفاء؟
قال : ديني . قال النعمان : وما دينك؟ قال : النصرانية . قال النعمان :
فاعرضها علي فعرضها عليه فتنصر النعمان وأهل الحيرة اجمعون وترك
القتل منذ عام ذلك اليوم وأبطل تلك السنة وأمر بهدم الغريين وعفا عن
قراد والطائي وقال : والله ما أدري ايها أوفى وأكرم هذا الذي نجما
من القتل فعاد ام هذا الذي ضمنه؟ والله لا اكون الأم الثلاثة فأنشا
الطائي يقول :

ما كنت اخلف ظنه بعد الذي اسدى إلي من الفعال الخالي
ولقد دعيتني للخلاف ضلالي فابيت غير تمجدي وفعالي
اني امرؤ مني الوفاء سجية وجزاء كل مكارم بذال (٤)
قصص العرب

(١) زعموا ان النعمان غضب ليلة على نديمين له وهو سكران فأمر أن يحفر لكل منهما حفرة
ويلقى فيها حياً فنفذ أمره فلما أفاق سأل عنها فأخبر بخبرها فأمر ان يبني على قبرها بناء جميل
وسمى البنائين الغريين وجعل لنفسه كل سنة يومين يوم بؤس ويوم نعيم فيقتل يوم بؤسه أول من
يلقاه ويحسن الى اول من يلقيه يوم نعيمه بمائة ناقة . (٢) تجب : تغيب . (٣) النطع بساط من
جلد . (٤) كارهه فكرمه كنصره غالبه في الكرم فغلبه فيه .

العلم والغذاء

عندما تجرب عضة الجوع وهي وسيلة الطبيعة في اخبارك بأنك في حاجة الى الغذاء ، ذلك ان الأكل بنظام احد الاشياء التي يجب علينا جميعاً ان نقوم بها لكي نبقى احياء اصحاء .

ويعتبر جسمك من بعض الوجوه شبيهاً بآلة ، فهو في حاجة للغذاء لكي يظل عاملاً ، وبعض اجزاء الجسم يجب ان تصلح من حين لآخر كما ينبغي ان تبنى اجزاء جديدة ، ولكن جسم الانسان يختلف عن الآلة في كونه يستطيع ان يعوض اجزائه ويقويها بنفسه .

وتمكن الطاقة والمواد الضرورية للنمو والاصلاح في الغذاء ، غير ان الاغذية تختلف كثيراً في تركيبها ، فقد تنقص بعض الاغذية واحداً او اكثر من الاشياء التي يحتاج اليها جسمك ، ولكي يظل جسمك صحيحاً اي في صحة جيدة ينبغي لك ان تأكل الانواع الصحيحة من الأغذية لا ان تأكل مقادير وافرة من الغذاء .

ولكن كيف تحصل على الطاقة ؟ اننا نحصل عليها من اتحاد الغذاء الذي تأكله باوكسجين الهواء الذي تتنفسه ، فجسمك يشبه من هذه الناحية الآلة البخارية ، ففي الآلة البخارية يولد احتراق الفحم الطاقة الحرارية التي تولد البخار الذي يدير الآلة ، ففي جسمك يحترق الغذاء ليولد الحرارة التي تدفئ جسمك وتعينك على الحركة هنا وهناك .

ويتركب جسمك من ملايين لا حصر لها من وحدات دقيقة تسمى بالخلايا : فانت اذا نظرت الى بناء الأجر من بعيد لا يمكنك ان ترى

نسخة مجانية

او تدبين قوالب الآجر التي يتركب منها البناء ، غير انك اذا اقتربت من البناء فإنك سوف تلاحظ وترى الوحدات الصغيرة ، اي قوالب الآجر . وذراعك والاجزاء الاخرى من جسمك ، كذلك تبدو كأنها كتلة مصمتة واحدة ، واذا حدث ان فحست مقطعاً من ذراعك تحت المجهر المركب فإنك قد ترى انها تتركب من وحدات صغيرة جداً ، هذه الوحدات هي الخلايا .

وتساعد كل خلية القيام بعمل جسمك ، فهي تتسلم غذاء مضموماً وتحوله الى مادة حية ، ومن ثم تنمو وعندما تصل الى حجم معين قد تنقسم وتكون خليتين ، وعندما تنمو الخليتان الى حجم الخلية الأم فإنهما قد تنقسمان ، وبهذه الطريقة المستمرة من نمو الخلايا وانقسامها تكبر الكائنات الحية في الحجم وتزيد في الوزن ، فالغذاء كما ترى ضروري لهذه العملية الحيوية . وان اجزاء من جسمك لا بد ان تعوض فمثلاً تموت الخلايا الموجودة على سطح جلدك وتحل محلها خلايا جديدة كما ان بعض اجزاء جسمك في حاجة الى اصلاح فعندما يصلح الجراح عظمة من عظام الجسم كسرت فهو يضع طرفي العظمة عند الكسر الى جوار بعضها ثم يضع العضو في قالب من الجبس وعندئذ تنمو الخلايا العظمية وتلتئم العظمة في النهاية والغذاء مطلوب لتكوين خلايا جديدة .

وجمل القول ان الغذاء يمد الجسم بالطاقة اللازمة التي يستخدمها في القيام بعمله ويمده بالمواد اللازمة للنمو ويمده بالمواد اللازمة لإصلاح الاجزاء التي اعترها اذى ومن ثم يعوضها .

والاطعمة التي نحتاج اليها كثيرة منها الخبز واللحم والجن والبيض واللبن والفواكه والخضر المختلفة وكل هذه الاطعمة جيدة ولكنها ليست كلها متشابهة في التركيب فكل من هذه الاغذية يتركب من واحد او اكثر من ستة انواع من المواد الغزائية وهي الفعماثيات (الكربوايدرات)

ثم الدهن والزيوت ثم البروتينات ثم الاملاح المعدنية ثم الفيتامينات ثم الماء وجسمك يتغذى من هذه الانواع الستة من المواد الغذائية وانت تحصل على الطاقة من بعض منها ولكي يمكنك ان تختار الاطعمة اختياراً موفقاً يجب عليك ان تعرف تركيب اغذيتنا الشائعة .

فالفحائيات توجد في السكر والارز والزيت والمكرونة والخبز والفاصوليا الجافة والتفاح وهي تمدنا بالطاقة الحرارية التي تحفظ اجسامنا دفيئة كما انها تساعد الجسم على القيام بعمله فهي كالفحم تؤدي عمل الوقود الذي يجعلنا نسير عجلة الحياة .

والدهون والزيوت توجد في زيت كبد الحوت وزيت الزيتون والزبد والفاصوليا السوداني والخبز وهي تمدنا بالطاقة الحرارية اللازمة للجسم كما انها افضل الاغذية التي تمدنا بالطاقة لارتفاع كمية الدهن الموجودة فيها . والبروتينات وتوجد في الجبن والفاصوليا المجففة ولحم البقر والسمك وبيض الدجاج ولحم الدجاج والخبز وتمدنا بالانسجة اللازمة لبناء الجسم فالبروتينات اذن هي المواد الاساسية التي تبني بها اجسام النباتات والحيوانات كما انها تمدنا بالطاقة الحرارية ولكنها اساساً بناءة للجسم ولذلك فصغار الناس النامية اجسامهم في حاجة اليها اكثر من آباءهم الذين وقفت اجسامهم .

والاملاح المعدنية كالكلسيوم والفسفور وهما لازمان لبناء عظام واجسام قوية وقد يؤدي نقصها الى لين في العظام وتسويس في الاسنان ونقص في النمو كما ان الفسفور لازم لبناء المخ والاعصاب وهذان العنصران يوجدان في اللبن واللحوم والجبن والحبوب .

ومن الاملاح المعدنية الحديد والكالسيوم والصوديوم وهي اساسية في بناء الدم وتوجد في الكبد واللحوم الحمراء وصفار البيض والسبانخ .

نسخة مجانية

ومن الاملاح اللازمة للجسم ملح الطعام والماء ويوصي الاطباء بأن
تشرب من اربعة الى ستة اكواب يومياً .

والفيتامينات وهي متعددة الانواع وتوجد في الخضراوات واللبن والبيض
والفواكه وزيت كبد السمك والزبد واللحم وهذه الفيتامينات تمنع الانسان
من ان يمرض بمرض (البري بري) و (الاسقربوط) وتسويس الاسنان
ومرض البلاجرا ولين العظام وتساعد على نمو الجسم وتزيد من مقاومته
للاصابات بالجراثيم وتساعد على الهضم وعلى تكوين العظام القوية وعلى
حفظ الاسنان قوية .

ومن يتتبع الارشادات الآتية تساعد على بقاء جسمه سليماً .
تناول ثلاث وجبات يومياً بانتظام ، كُـلُّ من الفحائيات ضعفين او
ثلاثة اضعاف ما تأكله من البروتينات والدهنيات مجتمعة .

تناول طعاماً متنوعاً يحتوي على اصناف من الاغذية النباتية والحيوانية
لكي تشبع شهيتك العادية .

تناول كثيراً من الخضراوات كل يوم وأن يكون من بينها نبات مورق
أخضر .

تناول كثيراً من الفواكه كل يوم ودينبغي ان يؤكل البرتقال
والجريب فروت والليمون والطماطم طازجة ذلك ان الطهو يفسد فيتامين ج
الذي بها .

اشرب رطلين ونصف رطل على الاقل من اللبن يومياً وعلى البالغين
ان يشربوا نصف هذه الكمية على الاقل يومياً .

تناول يومياً بعض الاغذية مثل خبز القمح وكعك السن (النخالة)
او الفواكه او الخضراوات ذات الالياف الكبيرة ذلك ان مثل هذه تعمل
على ملء الامعاء الغليظة بمواد غير مهضومة فتنبهها لإفراغ محتوياتها
بانتظام .

تناول بين الحين والآخر اغذية ذات قيمة حرارية عالية مثل الكعك بأنواعه وبخاصة بين الوجبات او قبيل ميعاد الوجبة الرئيسية، وينبغي ان تؤكل مثل هذه الاشياء كنوع من الحلوى فلا تفقد الشهية للأغذية الأساسية، وأخيراً اشرب كثيراً من الماء .
هذا هو العلم، وهذا هو دوره في كشف الاغذية اللازمة للجسم، وفائدة كل غذاء، فما أعظم العلم وما اجل فائدته .

باختصار من كتاب « العلم في حياتنا اليومية »

الحطيئة والزبرقان بن بدر

قدم الزبرقان بن بدر على عمر بن الخطاب في سنة مجدبة ليؤدي صدقات قومه فلقية الحطيئة بقرقرى^(١) ومعه اولاده وامراته فقال له الزبرقان -- وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة -- اين تريد؟ قال: العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال: وتصنع ماذا؟ قال: وددت ان اصادف بها رجلاً يكفيني مؤونة عيالي واصفيه مدحي ابدأ.

فقال له الزبرقان: قد اصبته فهل لك فيه يوسعك لبناً وتمراً ويجاورك احسن جوار واكرمه؟ فقال له الحطيئة هذا (وأبيك) العيش وما كنت أرجو هذا كله. قال: قد اصبته، قال: عند من؟ قال: عندي، ومن انت؟ قال: الزبرقان... الزبرقان بن بدر، قال: وأين محلك؟ قال: اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس وسل عن القمر^(٢) حتى تأتي منزلي.

ثم كتب الى امه وكان اسمها ام شذرة ان احسني اليه واكثرني له من التمر واللبن وكان الحطيئة دميماً سيء الخلق لا تأخذه العين ومعه عيال كذلك فلما رأت ام شذرة حاله هان عليها وقصرت به^(٣). ونظر بنو بغيض وبنو انف الناقة^(٤) الى ما تصنع به ام شذرة فأرسلوا اليه ان ائتنا فأبى عليهم وقال: ان من شأن النساء التقصير

(١) قرقرى ارض باليامة فيها قرى وزروع كثيرة ونخيل وهي ما سمي بم بضمى (٢) الزبرقان: البدر وسمي به الحصين بن بدر لحسنه وكان رسول الله قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره ابو بكر. توفي ايام معاوية سنة ٤٥ هـ وكان فصيحاً شاعراً. (٣) قصرت به لم تكرمه ولم تبلغ ما يرضيه. (٤) كانت بغيض وانف الناقة ينازعون الزبرقان الشرف.

والغفلة ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها فلما ألح عليه بنو انف الناقة قال لهم : لست بجامل على الرجل ذنب غيره فان تركت وجفيت تحولت اليكم فاطعموه ووعدوه وعداً عظيماً .

فلما لم يجبهم دسوا الى هنيذة زوجة الزبرقان ان الزبرقان انما يريد ان يتزوج ابنة مليكة - وكانت جميلة كاملة - فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذلك ثداريه ثم ارادوا النجعة^(١) فقالت له ام شذرة قد حضرت النجعة فاركب انت وأهلك هذا الظهر الى مكان كذا وكذا ثم اردده الينا حتى نلحقك فانه لا يسعنا جميعاً فأرسل اليها : بل تقدمي انت فأنت أحق بذلك ، ففعلت .

وتثاقلت عن رده اليه وتركته يومين او ثلاثة وألح بنو انف الناقة عليه وقالوا له : قد تركت بمضيعة ، فلما ألحوا عليه اجابهم . فقال : اما الان فنعم انا صائر معكم ، وتحمل معهم فضربوا له قبة وربطوا لكل طناب من اطناها جلة^(٢) هجرية وأراحوا^(٣) عليه ابلهم واكثروا له من التمر والابن واعطوه لقاحاً^(٤) وكسوه .

فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته فركب فرسه وأخذ ربحه وسار حتى وقف على ناديتهم فقال : ردوا على جاري فقالوا : ما هو لك يجار وقد اطرحته وضيعته فألم^(٥) ان يكون بين الحيين حرب فحضرهم اهل الحجا من قومهم ولاموا بغيضاً وقالوا : اردد على الرجل جاره فقال : لست مخرجه وقد آويته وهو رجل حر مالك لأمره فخبروه فان اختارني لم اخرجه وان اختاره لم اكرهه .

فخبروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه فجاء الزبرقان ووقف عليه

(١) النجعة : طلب الكلأ في موضعه . «٢» الجله : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكتز فيه ، وهجرية : نسبة الى هجر وهي ارض البحرين ويكثر فيها التمر . «٣» اراحة الابل : ردها في المشى . «٤» القاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب . «٥» ألم : قرب .

وقال له : ابا مليكة افارقت جوارى عن سخط ودم ؟ قال : لا فانصرف وتركه .

وجعل الحطيئة يمدحهم من غير ان يهجو الزبرقان وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول : لا ذنب للرجل عندي حتى ارسل الزبرقان الى رجل من النمر بن قاسط فهجا بغيضاً .

فحينئذ قال الحطيئة - يهجو الزبرقان - ويناضل عن بغيض - قصيدته التي يقول فيها :

والله ما معشر لاموا امرأ جنباً^(١)
ما كان ذنب بغيض لا ابا لكم
لقد مريتم^(٥) لو ان درتكم^(٤)
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم
لما بدا لي منكم عيب انفسكم
ازمعت بأساً مبيناً من نوالكم
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً
جاراً لقوم اطالوا هون منزلة
ملوا قراه وهرت^(١٠) كلابهم
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

في آل لاي بن شماس بأكياس
في بائس جاء يحدو آخر الناس
يوماً يجيء بها مسحي وابساسي^(٥)
كيا يكون لكم متحي^(٦) وامراسي^(٧)
ولم يكن لجراحي فيكم آسي
ولن ترى طارداً للحر كالباس
ذا فاقة حل في مستوعر شاسي^(٨)
وغادروه مقيماً بين ارماس^(٩)
وجرحوه بأنياب وأضراس
واقعد فانك انت الطاعم^(١١) الكاسي
لا يذهب العرف بين الله والناس

«١» الجنب : الغريب . «٢» جمع كيس اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه .
«٣» مري الناقة يريها مسح ضرعها والمراد مدارتهم ومدحهم ليدروا عليه العطاء . «٤» الدرة اللبن
«٥» الابساس : التلطف بالناقة عند الحلب بان يقال لها بس بس تسكيناً لها لتدر . «٦» المنح
نزع الماء من البئر ، «٧» الامراس وضع حبل البئر في البكرة بعد ان انزلق منها . «٨» المستوعر
المكان الوعر والشامي المكان الغليظ المرتفع . «٩» الرمس القبر وجمعه ارماس والهون المذلة اي
تركوه كاليت . «١٠» هرتة الكلاب : نبخته وهو كناية عن انه كان غريباً مضطهداً بينهم .
«١١» الطعام المطعوم والكاسي المكسو .

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب فرفعه عمر اليه واستنشده فقال عمر : ما اسمع هجاء ولكنها معاتبة فقال الزبرقان : او ما تبلغ مروءتي إلا ان آكل وألبس ؟ فقال عمر : علي بحسان فجيء به فسأله : فقال أتراه هجاء ؟ فقال : نعم وسلح عليه فحبسه عمر فقال في الحبس قصائد يستعطف بها عمر فلم يلتفت اليه حتى قال :

ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ^(۱) زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذي من بعد صاحبه اقت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر^(۲)
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر^(۳)
اهل فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية^(۴) تعمى بها الخير
فبكى عمر حين قال « ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ » فقال عمرو
ابن العاص ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اعدل من رجل يبكي
على تركه الحطيئة فقال عمر : علي بالكروسي فأتى به فجلس عليه ثم
قال : اشيروا علي في الشاعر فإنه يقول الهجر وينسب بالحرم ويمدح
الناس ويندمهم بغير ما فيهم . ما اراني الا قاطعاً لسانه ثم قال : علي
بالطست فأتي بها ثم قال : علي بالمخصف^(۵) علي بالسكين لا بل علي
بالموسى فهو أوحى^(۶) فضج الحطيئة وقال : اني والله يا أمير المؤمنين
قد هجوت ابي وامى وامرأتى ونفسي فتبسم عمر ثم قال : ما الذي
قلت ؟ قال : قلت لابي وامى :

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وابا بنك فساءني في المجلس

(۱) ذر مرخ : واد بالحجارة . (۲) الاثر واحدهما اثره ومعناها الاستئثار والمكرمة .
(۳) القرر جمع قررة وهي البرد . (۴) الداوية الفلاة الواسعة . (۵) خصف النعل : خرزها
والمخصف آلة الخرز وكان عمر يريد ان يخرز لسانه . (۶) اوحى : اسرع .

قلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ انت لدى تميم وبئس الشيخ انت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحي واجلسي مني بعيداً اراح الله منك العالمينا
اغربالا (١) اذا استودعت سرأ وكانونا (٢) على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا
وقلت لامراتي :

اطوِّف ما اطوِّف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع
وقلت لِنفسي :

ابت شفتاي اليوم الا تكلماً بسوء فما أدري لمن انا قائله
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبج من وجهه وقبح حامله

فقالوا : لا يعود يا امير المؤمنين واثاروا اليه ان قل لا اعود فقال :
لا اعود يا امير المؤمنين فقال : له النجاء ثم قال له عمر : يا حطيئة كأنى
بك عند فتى من قريش قد بسط لك نمرقة (٣) وكسر لك اخرى وقال :
غننا يا حطيئة فطفقت تغنيه بأعراض الناس .

قال ابن أسلم فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن
عمر قد بسط له نمرقة وكسر له اخرى وقال : غننا يا حطيئة فجعل
يغنيه فقلت له يا حطيئة اتذكر قول عمر ؟ ففزع وقال : يرحم الله
ذلك المرء اما انه لو كان حيا ما فعلت .

قصص العرب

(١) الغربال : النمام . (٢) الكانون الثقيل الوخم من الناس، وقيل الكانون الذي يجلس حتى
يتحمى الاخبار والاحاديث . (٣) النمرقة : الوسادة .

صاحب النقب

ليتك ابصرت ذلك الجمع الغفير من الجنود ، يحيط بالحصن المنيع في ارض الروم ، لترى فيهم عجباً ... اولئك هم ابناء الجزيرة ونبت صحرائها . اولئك هم العرب من جنود أمية وان قائدهم المغامر يدفعهم الى الموت حين يندفع امامهم على صهوة جواده ليسبقهم اليه ؟ انه مسلمة بن عبد الملك القائد الشجاع الباسل الذي لم يعرف الهزيمة فيما خاضه من حروب .

ولكن ما لهذا الحصن يستعصي عليهم . لقد صمد لهجماتهم المتوالية ولم يززع جدرانها وابل مجانيقهم ، كأنما هو جبل من الحديد لا تحركه قارعه .

ويح مسلمة بن عبد الملك ماله لم يدر كيف يصنع اتراه نفذت حيلته : اتراه سيولي الادبار ليثمت به حاسدوه ويقولوا : افل نجم ابي سعيد ؟ هيهات ان يقع ذلك . بل الموت اقرب منه .

وما هو الليل يرخي سدوله والقائد الحائر يجلس وحيداً في خيمته حين استأذن عليه جماعة من قواده يشيرون بان يندب من فرسانه من يبيع نفسه لله بثواب الشهادة في سبيله . ويتقدمون جميعاً الى جدار هذا الحصن ليحدثوا فيه نقباً يدخل منه من يفتح الباب لرفاقه ويكون من وراء ذلك الفوز المرتقب ...

وكان ما اشار به اولئك القواد وتقدم الفتية المغامرون يتلقون بصدورهم

نسخة مجانية

سهام العدو من فوق الاسوار وجعلوا يتناقصون عند كل خطوة يخطونها ثم تمكنوا اخيراً من احداث ذلك النقب . وتقدم واحد منهم فألقى بنفسه فيه وما لبث ان فتح الله الباب على يديه فاذا هو يقف عنده ويكبر بأعلى صوته ليتقدم خلفه الجيش الاموي فاتحاً مظفراً .

واكبر القائد ذلك الفتى المغامر واعجب به اعجاباً ليس بعده اعجاب وازمع ان يرفع امره الى الخليفة لينال الحظوة عنده وآلى على نفسه ان يكرمه اكراماً يجعله به قدوة لغيره من الجند ليتشبهوا به ويقلدوه . وما كاد ينتهي من امر ذلك الحصن حتى انصرف الى البحث عن ذلك الفتى الجريء المقدم (صاحب النقب) .

وارسل من يسأل عنه القواد فلم يجد فيهم من يعلم عنه شيئاً ارسل من يبحث عنه بين الجنود أنفسهم فلم يجد فيهم من يعرفه . فجعل مناديه ينادي في الجنود صباح مساء : (الا من كان منكم صاحب النقب فليتقدم الى قائد الجند ليصله بما يعلي قدره وليوصي به عند أمير المؤمنين فيرفعه فوق المكان الذي هو فيه ..)

وواظب على ندائه ذلك اياماً ولكن صاحب النقب لم يستجب لذلك النداء كأنما هو ارتقى الى السماء او غاص في جوف الارض .

وها هي ذي ليلة حالكة الظلمة يجلس فيها الامير الى نفر من خاصة اتباعه يتحدثهم عن صاحب النقب وعجبه من امره وكيف انه تخلف عن اجابة ندائه وهو إنما يدعوه ليكرمه ويحدث عنه امير المؤمنين . وقال أحدهم وهو يظن انه قد اهتدى الى ما لم يصل اليه علم احد : ايها الامير . لم لا يكون (صاحب النقب) ملك من السماء أمدك الله به فأدى مهمته على أتم وجه ثم مضى في سبيله واني لك ان تجد له اثراً ولو كان بشراً سوياً لما تخلف عن دعوة الامير والظفر بصلته فهل عسيتك ان تجد غازياً قد خرج الا طالباً للشهادة في سبيل الله او طالباً

لمنم يصيبه . وما دامت لم تكتب له الشهادة فما له لا يقبل مكافأة الامير
على ما صنع ؟

ولم يشف حديث الرجل غلة الامير كما لم يجد في حديث سواه ما
يكشف له عما استغلق عليه . وانصرف القوم حين امتد بهم الليل وبقي
الامير وحيداً في خيمته وكان يتأهب الرقاد حين استأذن رجل يضع
اللثام على وجهه لم يصرح عن اسم ولا كنية . واذن له وهو مرتاب في
امره وما كاد يقف بين يديه حتى قال له : « افلا احدثك عن صاحب
النقب ؟ فقال - وقد اعتدل في جلسته « بلى والله . حدثني بأبي انت
قال : وان لي عليك شرطاً قال : وما شرطك ؟ قال : ان لا تسألني عن
امري ولا تحاول ان تكشف عن اسمي فظنه عابر سبيل تطوع للكشف
عن صاحب النقب فقال : لك ذلك ... فأخبرني من صاحب النقب ؟
فقال « انا هو » فمعجب من امره غاية العجب وقال : وما حملك على
هذا التكتم ؟ فقال ايها الامير انما صنعت ما صنعت يوم النقب تقرباً الى
الله وزلفى بين يديه واني لأطمع ان ينالني رضوانه فما لك تفسد علي
ثواب الله بشوابك ؟ ناشدتك الله الا ما تركتني وشأني .. »

وانصرف الرجل والامير يعجب من امره اشد العجب . وجعل (مسلة

ابن عبد الملك (١) بعد ذلك اليوم لا يقف موقفاً للصلاة بين يدي ربه
الا دعاه من قلب خاشع ضارع :

(اللهم اجعلني مع صاحب النقب بين يدي رحمتك ...)

ذلك هو صاحب النقب المؤمن الصادق الايمان ، حين يجاهد في سبيل
الله ، ويكون جهاده خالصاً لله وحده ...

(١) يعتبر مسلمة بن عبد الملك من كبار القواد زمن الدولة الاموية وقد حرمه عبد الملك
ابوه من الخلافة لان أمه كانت جارية كما تقول بعض الروايات وكأنما اراد الخليفة ان يكون
عربياً خالصاً لا تعيبه هجته الانتساب لغير العرب .

وقد ولاه اخوه (الوليد) حرب الروم فوقف لهم بالمرصاد وفتح من بلادهم طرسوس وعمورية
ومرقلة وكثيراً ما أغار عليهم المرة بعد المرة حتى ارهبهم وادخل الرعب في قلوبهم ولما كافت
خلافة اخيه سليمان ارسله لفتح القسطنطينية فحاصرها مدة عام ونصف ثم رجع عنها بامر من
عمر بن عبد العزيز الذي كان لا يميل الى الحروب .

ولما بويع هشام بن عبد الملك (بالخلافة ولاه على الجزيرة فأوغل في ارمينية وكان اهلمها قد
اغاروا قبل ذلك على حدود الجزيرة فكانت له مع العدو هناك مواقف رائعة دحره فيها امامه
لا يلوي على شيء .

من معجزات الهجرة

قال :

- هل لك يا سراقه في مائة من الابل ؟

- قال سراقه ما احوجني الى عشرين فكيف السبيل الى مائة ؟

- قال ترد على قريش صاحبها فقد خرج من مكة حين مكثت به

قريش وأجمعت على قتله مهاجراً الى المدينة فبثت قريش عيوبها في سبل

مكة وشعابها ، وبعثت رسلها فنفضوا الصحراء نفضاً فيما وقعوا له على

أثر فعادوا الى قريش بالاياس منه فأذنت قريش في العرب ان من رء

علينا محمداً فله مائة من الابل وقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علي أنفاً واني

لأراهم طلبة قريش ... فهل لك ان نلحق بهم فتردهم الى مكة ونأخذ

مائة الناقة فنقسمها بيننا .

فرقص قلب سراقه فرحاً ولعب به الطمع وكان سراقه بن مالك

الجعشمي رجلاً متعفرتاً متشيطناً فعقد النية على ان يستأثر وحده بالفئيمة

حتى تكون خالصة له فقال لصاحبه :

- ما هؤلاء من تريد هؤلاء بنو فلان ينشدون ضالة لهم فصدق الرجل

وانصرف وذهب سراقه ليجلس في ندى قومه كما كان يجلس كل عشية

فما اطمأن به مجلس وما وعى من احاديث القوم شيئاً وإنما كان يخيل

اليه انه يرى قطاراً طويلاً من الابل يمر امامه ويدور من حوله فيخفق

لمرآه قلبه وتتقلب اشداقه ثم طمى به الطمع فبرح النادي الى بيته يلوص

بعينه آفاق المستقبل ويقلب أوجه الممكن ويفكر في مائة الناقة .

ايملكها حتى تكون طوع أمره يصرفها كما يشاء فتلد وتتكاثر فينصر

نسخة مجانية

منها ، ويطعم الجائع ويقري الضيف ويرفد الوافد فيسير ذكره في العرب
وتنتجعه الشعراء وتمشي بمذائحه الركبان ؟ ام هو لا ينالها ولا يفيد من
سفره الا لذع الشمس وبرح العطش وطول التعب ؟

وامتد به التفكير حتى ما يكاد يخرج منه ولا يكاد يستقر على الرأي
لحظة حتى ينتقل الى غيره ، لم لا اذهب ؟ اني سأجدهم فأردم على
قريش ... ولكن ألم تعجز رسل قريش عن ان تهتدي اليهم ؟ فكيف
أجدهم انا ؟ بسأل سأجدهم اني سالك كل طريق يؤدي الى المدينة ..
ولكن يا للسخف ، ألم تسلك رسل قريش هذه الطرق كلها ؟

ولما أضناه التردد ازمع ان يستفيظي الحظ وتهتدي بالمصادفة - فأخرج
ازلامه فاستقسم بها وحاول يشرف الغيب من خلالها ان خرج الزلم
الذي اكره (لا يضره) لم تكن النياق لي وان خرج الذي احب (يضره)
كانت لي ان الحكم للأزلام .

وضرب بيده فخرج الزلم الذي يكره فتألم واشتد ذلك عليه لأنه انما
عمد الى الالزام ليستمد منها العزم على الذهاب لا الرغبة في القعود
ثم قال :

انها أول مرة وهي للشيطان واني ضارب الثانية ان الثانية لآهتنا
وضرب الثانية فخرج الزلم الذي يكره فقال لنفسه : مالي : وهل يقنع
امرؤ بمرتين ؟ ان الممول على الثالثة وضرب الثالثة فخرج الزلم الذي يكره
فتصبب على جبينه العرق البارد فألقى الالزام حنقاً وأمر غلامه ان يسرج
فرسه ويقوده الى بطن الوادي .

وتريث سراقه حتى اذا تصرم الليل اسحر سالكاً طريق المدينة فسار
فيه الى الصباح فلم يقع من القوم اثر فعاد ادراجه يتبع طريق الساحل
فلا يلقي فيه احداً حتى زالت الشمس وحميت الظهيرة وتسعرت الارض
واحرق جوفه العطش وكان ينهزه الطمع فيعدو فرسه عدواً شديداً حتى

يرى الاكام هي التي تسير عن يمينه وشماله يأخذ بعضها بسفوح بعض
ثم يدركه القنوط فيدع الفرس يمشي متباطئاً متخاذلاً ... حتى اذا بلغ
منه التعب والعطش والجوع واليأس نظر فاذا عند الغار من جبل ثور
محمد وصاحبه فصبت القوة في عضلاته وعادت اليه الحمية والنشاط
فصاح في الفرس فانطلق نحو الغار كالسهم المرسل .

قال ابو بكر رضي الله عنه .

فقلت هذا الطالب قد لحقنا يا رسول الله فبكيت فقال : ما يبكيك؟
قلت ما والله على نفسي ابكي وانكن ابكي عليك فدعا علي رسول
الله ﷺ وقال : اللهم اكفناه بما شئت ، فساخت فرسه في الارض الى
بطنها :

فلما رأى سراقه ما رأى وثب عن الفرس وقد طار الخوف بلبه
وابراه الفزع داء الطمع وصاح :

- يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله ان ينجيني مما انا فيه
فوالله لأعين علي من ورائي من الطالب ، فدعا له رسول الله ﷺ فأنقذه
الله وكلمه فكان من قوله له :

- كيف بك يا سراقه اذا لبست سوارى كسرى ؟

ورجع سراقه وقد اجتمعت عليه منذ ذلك اليوم المتناقضات من الافكار
والعواطف وهاج في نفسه الطمع والخوف والامل واليأس فجعل يترقبه في
هذه البادية ويصرخ كمن به جنة ولم لا يحزن ؟ وقد كان يأمل ان ينال
الغنى ففاته ما كان يأمل وقد فتحت فاهاً لتبلعه الارض فنجاً ولم يصدر
بعد هذا كله الا بوعده دونه خرط القتاد وخرق النار وخوض البحار .
- ماذا؟ أبعثني محمد سوارى كسرى شاهنشاه ملك الملوك وهو

يقطع الصحراء هارباً من قومه مختفياً في غار ؟ !

ليس معه الا رجل واحد ، ايتلغ هذا الفار ملك كسرى وجبروته
وجلاله ؟ انتتصر هذه الصحراء على ملك كسرى وجنائه وانهاره ؟
ايغلب هذان المهاجران كسرى على خزائنه وجنوده وبلاده ؟ ولو ان
العرب اجتمعت كلها ورمت من قوس واحدة ما نالت من كسرى
منالا على انها ان تجتمع العرب قط ومن ذا الذي يجمع مضر بن نزار
وقحطان وبكرأ وتغلب وعبساً وذبيان وابن يذهب ما بينها من دماء ؟
اما ان قريشاً كانت ادري بصاحبها حين قالت عنه ما قالت فما
اراه يعجبه ان ينجو من قريش ويفلت من اذاها حتى يكون له ملك
كسرى انه والله ما يريد الا ان يتركنا نحن ايضاً مجانين .

وانطلق يقيهه ويصرخ :

ويح لك يا سراقه ! ستلبس سوارى كسرى شاهنشاه ملك
الملوك . والفرس ينفر من صراخه فيظير على وجهه حتى اختفى وراء
الاکام .

ومرت السنون .

وكان يوم صائف متوقد فر سراقه من حره الى حائط له فما استقر
فيه حتى سمع منادياً منادى :

- يا سراقه بن مالك الجمشمي يا سراقه ، فصاح ان لييك وانطلق يؤم
الصوت اذا رسول عمر يدعوه ان اجب امير المؤمنين .

واذا الشمس بين يدي عمر تأخذ الابصار بريقها ولمعائها واذا بين
يديه تاج كسرى ومنطقته .

قال عمر :

- هلم يا سراقه اتذكر خبر الفار وسوارى كسرى شاهنشاه ملك
الملوك ؟

- قال : نعم .

- قال قد اذهب الله بالاسلام ملك كسرى فلا كسرى بعد اليوم
هات يديك .

فالبسه السوارين وقال : ارفعهما ، فقال :

- الله اكبر الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز والبسها سراقه
ابن مالك اعرابياً من بني مدلج .

يا سراقه لقد انتصر المهاجران على كسرى وقيصر وكان لهما ملك
الارض ، يا سراقه لقد اضاء النور الذي انبثق من بطن مكة الدنيا
جميعاً يا سراقه لقد ظفر الغار بالعراق والشام وغلبت الصحراء العالم
يا سراقه لقد كان ملك كسرى وقيصر كبيراً قوياً ولكن الله مع
الذين آمنوا والله اقوى ... والله اكبر .

علي الطنطاوي

من امثال العرب

ان العصا من العصية

قالوا : ان نزار بن معد كان له اولاد اربعة فلما حضرته الوفاة جمعهم و اشار الى نصيب كل منهم في ميراثه وأوصاهم اذا اختلفوا ان يذهبوا الى حكم اسمه الأفعى الجرهمي فلما مات تنازعوا فذهبوا الى الأفعى وبينما هم في طريقهم رأى الاول عثبا قد رعى فقال : ان البعير الذي رعى هذا المشب اعور وقال الثاني : انه لأزور (اي مائل الشق) وقال الثالث انه لأبتر (اي مقطوع الذنب) وقال الرابع انه لشرود . ولم يسيروا قليلا حتى قابلهم رجل يبحث عن جملة الضال فأخبروه بتلك الاوصاف فاتهمهم بأنهم وجدوه وأخذوه وخاصمهم الى الأفعى الجرهمي وساروا حتى وصلوا الأفعى فأنكروا أخذ الجمل فلما سألهم كيف وصفوه بتلك الاوصاف ولم يروه ؟ قال الاول : رأيت رعى جانبا وترك جانبا فعلمت انه أعور . وقال الثاني : رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدته فعلمت انه أزور لأنه افسده بشدة وطئه عليه . وقال الثالث : عرفت انه ابتر لأن بعره كان مجتمعا ولو كان له ذيل لقذف به البحر . وقال الرابع : عرفت انه شرود لأنه كان يرعى في المكان الملتف النبات ثم يتركه الى مكان أخبت منه نباتا فقال : الحكم للرجل هؤلاء ليسوا اصحاب بعيرك ثم سألهم من يكونون ؟ فلما أخبروه بانهم اولاد نزار بن معد قال : أتحتاجون الى حكم وأنتم كما ارى ؟ ان العصا من العصية اي انهم يشبهون اباهم كما ان الفصن الكبير أصله من غصن صغير . وهكذا يقال في مشابهة الفرع لاصله .

انفك منك وان كان اجدع

قالوا : كان للربيع بن كعب المازني فرس كريمة وكان له اخ احمق اسمه كميث وكان هناك رجل دامية من بني مالك اسمه قراد يريد اختطاف هذه الفرس فقدم على اصحابها واقام بينهم وهم لا يعرفون من هو .

وذات يوم دفع الربيع الفرس الى اخيه ليأتي بها اهله فركب قراد ناقته واعترض كميثاً وقال له : هل لك في قطيع من الوحش لم ار مثله سناً وعظماً وفي قافلة معها كثير من الذهب ؟ فقال كميث : ومن لنا بذلك ؟ قال : انا لك به ولكنه لا يدرك الا على فرسك هذه . فقال كميث : فدونهاكها فاذهب واعطاه الفرس واعطاه قراد الناقة وقال له : امسك انت براحمتي وانتظرنى في هذا المكان الى مثل هذه الساعة من غد ، ثم ركب الفرس وذهب بها .

ولم يعد قراد في الموعد فانصرف كميث الى اهله فلما رآه اخوه صاح به : اين الفرس ؟ فقال كميث : تحولت ناقة . فصاح اخوه : واين السرج ؟ قال : لم اذكر السرج فصرعه الربيع ليقتله ، فاجتمع الناس يمنعوناه وقال رجل منهم : اترك ما فاتك يا ربيع ودع اخاك فانفك منك وان كان اجدع .

اي لا تستطيع ان تبرأ منه وان كان قبيحاً ، كما لا تستطيع ان تبرأ من اخيك وان كان احمق ، وهكذا يقال لكل من يقطع ذويه .

فإن الانسان لا يستطيع ان ينفصل من انفه او يتبرأ من عضو من اعضائه مهما كان ذلك العضو .

زر غباً تردد حباً

إذا زار المرء أهله أو اصدقائه يوماً وترك يوماً ، أو اسبوعاً وترك اسبوعاً فقد زار غباً .

قالوا : كان معاذ الخزاعي فارس خزاعة ، وكان يكثر من زيارة أخواله من قبيلة أخرى وكان أخواله يكرمونه ما نزل فيهم ويحتفون به . وذات يوم زار معاذ أخواله واستعار منهم فرساً وعاد به إلى قومه فدعاه رجل من قومه ليسابقه على أن من يسبق يأخذ فرس الآخر فسبقه معاذ وأخذ فرسه ثم أراد أن يزيد من غيظه فطعن الفرس بالسيف فقتله فشتمه الرجل ، فضربه معاذ فقتله ثم لحق بأخواله فأقام فيهم زمناً .

وذات يوم خرج معاذ مع بني أخواله للصيد فحمل على حمار وحش فلحقه ابن خاله وطلب منه أن يترك له الحمار فأبى فقال له ابن خاله : أما والله لو كان فيك خير ما تركت قومك .

وسمع معاذ ما قاله ابن خاله ، وتأثر له وأحس بأن طول إقامته بين أخواله قد أدى إلى مللهم إياه واجترأهم عليه فقال : (زر غباً تردد حباً) .

وهكذا خلق الإنسان ملولاً يسأم المنظر الواحد ويزهد لون الطعام الواحد إذا بعد عن الشيء اشتاق إليه وإذا حرمه تلهف عليه يفارق أهله فتشتد رغبتهم في رؤيته فإذا عادوا طفاؤا منه شوقهم أصبح لا يثير شوقاً ولا لفة .

ولكي يزيد حب المرء للشيء ينبغي تركه حيناً فتجد النفس إليه حيناً ولذلك يقال (زر غباً تردد حباً) .

والشاعر العربي يقول :

عليك بأغياب الزيارة أنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكاً

لامر ما جدع قصير أنفه

إذا قطع احد انف امرىء او اذنه او يده او شفته فقد جدع ذلك الأنف او الأذن او اليد او الشفة .

قالوا : كان الملك جذية الابرش قد قتل ابا الزباء فلما ارادت الثأر منه رأت ان تاخذه بالحيلة فارسلت اليه برغبتها في الزواج منه وضم ملكها الى ملكه ، فانخدع وسار اليها رغم نصيح رجل مجرب يدعى قصير بن سعد اللخمي ، ورغم تذكيره اياه بانه قتل اباها ولا يؤمن ان يكون ما تعرضه خدعة لتثأر منه .

ولما اقترب جذية من بلاد الزباء احاط به جندها وأسلموه اليها ، فقتلته وتولى ملكه بعده ابن اخته عمرو بن عدي .

فعزم على الثأر الخاله واشتشار قصيراً فيما يصنع ، وكانت الزباء قد سالت كاهنة عن هلاكها فاخبرتها انه سيكون على يد عمرو بن عدي فاحتاطت لذلك .

وأشار قصير على عمرو قائلاً : اجدع انفي واضرب ظاري بالسياط حتى يحدث آثاراً ودعني اذهب اليها .

فأبى عمرو ان يصنع بقصير ما اشار به فجدع قصير أنفه بيده واحداث بظهره آثاراً واضحة ، فكانت العرب اذا رآته على هذه الحالة عجبت ولكنها كانت تعرف قصيراً ومكره ، وتعلم أنه ما صنع ذلك بنفسه الا لامر عزم عليه وان كانوا لا يعرفون ذلك الامر فصاروا يقولون : لامر ما جدع قصير أنفه ؟

ثم سار قصير الى الزباء وأومها بان عمراً غضب عليه وما زال بها حتى وثقت به وأخذ يحتال حتى ادخل عليها عمراً فقتلها .

وهكذا يقال في كل امر ينسب مظهره عن شيء ولا يعرف ما يكون ذلك الشيء وفي عمل كل ماكر وتدبيره وفي كل تدبير يعمل المرء ليصل من ورائه الى غاية يخفيها في نفسه .

وافق شن طبقة

قالوا : كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شن . اراد ان يتزوج فعزم ان يطوف بأحياء العرب حتى يعثر على امرأة في مثل دهائه وعقله فبينما هو في بعض مسيره اذ وجد رجلا في الطريق يريد الموضع الذي يريده هو فسارا معاً وبينما هما يسيران قال له شن : احممني ام احمك ؟ فدهش الرجل وقال : يا جاهل انا راكب وانت راكب فكيف احمك او احممني ؟

فسكت شن عنه ثم سارا حتى بلغا قرية فاذا بزرع قد قرب حصاده فقال شن للرجل : اترى هذا الزرع أكل ام لا ؟ فقال الرجل يا جاهل ترى نباتاً مستحصداً فنقول اكل ام لا ؟

فسكت شن حتى دخلا قرية فلقبتهما جنازة فقال شن للرجل : اترى صاحب هذا النعش حياً ام ميتاً ؟ فقال الرجل : ما رأيت اجهل منك اترى جنازة وتسال عنها اميت صاحبها ام حي ؟ فسكت عنه شن ثم اراد مفارقتها فابى الرجل ان يتركه حتى يذهب معه الى منزله فمضى شن معه .

وكان للرجل بنت يقال لها طبقة فلما دخل عليها ابوها سأله عن ضيفه فقص عليها ما حدث معه فقالت : يا ابت ما هذا يجاهل . اما قوله احممني ام احمك فأراد احدثني ام احدثك حتى نقطع طريقنا ونسهلها بالحديث .

واما قوله اترى هذا الزرع اكل ام لا فأراد هل باعه اهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟

وأما قوله في الجنازة فقد اراد هل ترك الميت عقباً يجيبهم ذكره ام لا ؟

فخرج الرجل فقمعد مع شن فحادثه ساعة ثم قال له : التحب ان
افسر لك ما سألتني عنه ؟ قال نعم . فلما فسر قال شن : ما هذا من
كلامك فاخبرني عن صاحبه ؟ فقال الرجل : صاحبه ابنتي فقال شن :
هذه هي التي ابحت عنها وخطبها فزوجها الرجل اياها وحملها شن الى
اهله فلما رأوا عقلها ودهاءها قالوا . (وافق شن طبقة) .
وهكذا يقال في الصديقين المتفقين والزوجين المؤتلفين وفي كل شيئين
متماثلين متوافقين .

محمد عبد الغني حسن

عبد السلام المشري

المالاريا

هناك من الشواهد ما يدل على ان افريقية هي مهد المالاريا ، فيها نشأت ومنها انتقلت الى سائر انحاء العالم ، حيث سببت متاعب كثيرة للأمم بلغت اوج المجد ، ولا نبالغ اذا قلنا انها كانت من اهم العوامل التي هدمت الامبراطورية الرومانية والاعريقية ، اذ انتشرت فيها انتشاراً ذريعاً ، وقد دلت الاحصاءات على ان ما احدثته من الخسارة في الأرواح يربو كثيراً على ما احدثه اي مرض وبائي آخر ، وقد كانت لحسن الحظ من اكبر العوامل التي منعت الاوروبيين من استعمار مناطق كثيرة ، كما انها عاقت او افنت بعثات علمية هامة وليس ببعيد عهدنا ببعثة (لفينجستون) في مجاهل افريقيا وبعثة (ستانلي) التي لحقتها وما سببته لها المالاريا من المتاعب .

توصف المالاريا دائماً بأنها مرض من امراض المناطق الحارة ، وليس معنى هذا انها لا تظهر الا في هذه المناطق ، ولكنها تنتشر فيها اكثر مما تنتشر في المناطق الاخرى ، وذلك للفرق الشاسع في المعيشة وأسباب الراحة والمدنية بين سكان المناطق الحارة وغيرها ، واعلمها في غابر الزمان ايام كانت معيشة الاوروبيين لا تختلف كثيراً عن معيشة سكان اواسط افريقيا الآن منتشرة في اوروبا انتشارها في المناطق الاستوائية او على الأقل في فصل الصيف ، ان جو انكلترا نفسه لم يمنع المرض من ان ينتشر فيها حتى اواخر القرن التاسع عشر .

والمالاريا انواع مختلفة منها الخبيث وغير الخبيث ، وقد كان النوع الاول ولا يزال الى عهدنا هذا يصعب تمييز من الحميات الاخرى ،

وللتحقق منه كان الأطباء كثيراً ما يلجأون الى استشارة المعمل ، وكثيراً ما كان يختلط عليهم الملاريا بحمى التيفوس او التيفود او الحمى الصفراء . ويظهر ان الناس منذ عهد قديم كانوا يعرفون العلاقة الوثيقة بين الملاريا والمستنقعات ، لهذا كانوا ينسبونها الى هواء المستنقعات الفاسد ، وربما كان هذا هو السبب في تسميتها باسم (ملاريا) اي الهواء الفاسد ، وكانوا يعرفون انهم اذا ما جففوا هذه المستنقعات قل انتشارها ، وقد زعم بعضهم ان حيوانات صغيرة جداً لا تراها العين تنشأ في هذه المستنقعات فاذا ما وصلت الى الأنف أحدثت المرض ، وكان هذا الزعم الذي وافق الحقيقة منهم (رمية من غير رام) اذ الواقع ان الذي يسبب الملاريا هو كما سنرى طفيلي صغير جداً ذو خلية واحدة يعيش على كرات الدم الحمراء اما فيما يختص بطريقة العدوى فقد كانوا يعمدون كل البعد عن الحقيقة ، فناقيل الملاريا هو البعوض ولم يعرف ذلك الا من عهد قريب .

حوالي سنة ١٨٧٥ م زعم عالم ألماني وآخر ايطالي انها وفقاً الى معرفة جرثومة الملاريا ووصفها بأنها جرثومة مستطيلة حاملة للبذور تعيش في الارض والمستنقعات ، ومنها تنتشر في الجو حيث تصل الى الفم او الانف فتتمو في الجسم ويحدث المرض ، وزعموا ايضاً انها حقتنا الكلاب بالماء الملوث بهذا الجراثيم فأصبحت بحمى متقطعة وتضخم في الطحال وهي اعراض لا تختلف عن اعراض هذا المرض في الانسان .

ولما لحظ ان اكثر الناس تعرضاً للعدوى هم اللذين يضطرونهم عملهم الى البقاء خارج منازلهم بعد غروب الشمس قالوا ان ذلك يرجع الى انه في هذا الوقت يتكون ضباب منخفض لا يزيد ارتفاعه عن قامة الرجل وان هذا الضباب يحمل الجرثومة (الميكروب) او بذوره فضلاً عن انه في هذه الحالة يحيط به غشاء من الماء يحميه ويزيد في ضراوته وهو نسخة مجانية

تعليل يبين لنا كيف ان الناس حتى اكثرهم ثقافة يتهمون احياناً الاعذار ويحاولون خلق الاسباب لتعليل فكرة علقنا بأذهانهم منها كان نصيبها من الخطأ .

اما الكاشف عن الجرثومة الحقيقية فهو طبيب عسكري فرنسي يدعى (لافيزان) رأى في نماذج الدم الماخوذة من مرضى الملاريا طفيليات صغيرة جداً ذات خلية واحدة داخل خلايا الدم الحمراء ، ورأى أيضاً حبيبات صغيرة جداً قائمة لم يكن بها عهد من قبل فظن - ولم يجزم - انه كشف عن جرثومة الملاريا وليتأكد من ذلك - شان الباحث المدقق - ذهب الى الجزائر حيث المرض اكثر انتشاراً ، وأعاد الفحص على مئات النماذج من دم المرضى فكان في كل مرة يشاهد الصورة نفسها ، فلما وثق ببحثه تقدم في سنة ١٨٨٠ م الى (اكااديمية) العلوم في باريس برسالة قصيرة عن سبب الملاريا فقبل كشفه اول الامر كغيره من الاستكشافات العظيمة خصوصاً اذا كان صاحبها غير معروف - بالشك ، كما قبل في بعض المجتمعات بالاستهزاء والسخرية ، ولكن العالم الطبي ما لبث ان تحقق من صحة كشفه وتوالت الرسائل العلمية تؤيد هذا الكشف ولعل نجاحه هذا احقد رؤساءه عليه فعملوا على ابعاده عن البحث ، وخبروه بين ان يقبل الترقية الى وظيفة ادارية او يستقيل فرفض العرض الاول كما كان يفتظر من رجل مثله ، وترك الجيش وانضم الى معهد (باستير) حيث استمر يعمل الى ان وافته المنية سنة ١٩٢١ م بعد ان حصل جائزة (نوبل) .

لم يحل الكشف عن طفيلي الملاريا مشكلة نقلها ولكن هذا ايضاً ما لبث ان كشف القناع عنه .

ويرجع الفضل في ذلك الى طبيب انكليزي يدعى (رونالدروس) ولو ان طبيباً ايطالياً يدعى (جراسي) نازعه شرف السبق الى هذا

الكشف ، غير ان العالم الطبي يكاد يجمع على الاعتراف بأسبقيه (روس) على الرغم من ان جل بحثه كان منصباً على ملاريا الدجاج ، الا ان الشبه بين المرضين كبير ، فاذا كان (جراسي) قد طبق نتائج روس على ملاريا الانسان فهو لم يأت بجديد .

وكان (روس) كذلك طبيباً عسكرياً بدأ حياته العملية في الجيش البريطاني بالهند ، ولكنه لم يكن مفرماً بالطب بل كان شديد الكره له ولعله اضطر الى دراسته اضطراراً تحقيقاً لرغبة أبداها والده .

كان شديد الوله بالأدب وله قصائد وقصص كثيرة ، وهي وان لم ترفعه الى مرتبة الأدباء الذين تذبأوا له بمستقبل باهر في عالم الأدب ، وكان على وشك ان يهجر الطب ويحترف الادب لولا انه تزوج وأصبح رب اسرة ، وزادت تبعته واشتدت حاجته الى المال فخشي ان يفامر بمركزه في الجيش وهو في ذلك الحين مورد رزقه الوحيد ، سافر الى الهند تصحبه زوجته ومجهره الذي اشتراه بما ادخره من مال ، ولم يكن مألوفاً ان يحمل طبيب عسكري مثل هذا الجهاز ، فتمك عليه زملاؤه وسخروا منه ، وقد املى لهم في التهمك به ان المجهر كان عتيقاً او عرض على طالب طب مبتدىء لرفض ان يشتغل به .

ولم يكد روس يستقر في مكتبه حتى اخذ يلهو بما سماه زملاؤه العوبته ، اي بمجهره العتيق مهملاً عمله الرسمي ، وأثار غضب رؤسائه اللذين نهوه واضطهدوه وهددوه بالنقل بل بالطرد من خدمة الجيش ان هو لم يقلع عن هذا اللهو ، ولكنه لم يكن بالرجل الذي يخضع بسهولة للوعيد او التهديد ، وحدث ان انتشرت الملاريا في الهند في ذلك الوقت فرأى الفرصة سانحة في البحث في طريقة عدواها ، وكان هناك رأي ابداه العلماء الالمان والفرنسيون والانكليز والايطاليون ، وهو انها تنتقل بالبعوض ولكنه كان رأياً لا يستند الى برهان قاطع ولم يؤيد بتجارب

عملية تثبت صحته ، فأخذ يفحص عن الآلاف من الحشرات بأنواعها المختلفة دون جدوى .

ولما خبت نار وباء الملاريا استعاض عنها بملاريا الدجاج واستمر على هذا الحال ثلاث سنوات ، أصيب في اثناؤها بالملاريا ثم بالكوليرا التي كانت تقضي عليه ، وقد ضعف بصره من كثرة استعمال المجهر الذي تلفت عدساته وبلغ به القدم مبلغاً جعله يكاد لا يصلح للعمل ، واخيراً حدث ان فحص يوماً عن بعوضة من (الانوفيل) فوجد في الخلايا المبطنة لمعدتها طفيلي الملاريا .

هنا كاد يطير له من الفرح وقام من فوره وكتب قصيدة طويلة ارسلها الى زوجه يصف ما وصل اليه ويشكر العناية الالهية التي قدرت له ان يكشف سرأهاماً من اسرار الطبيعة وان جهده لم يذهب سدى .
قوبل كشف روس في اول الامر ببعض الشك - كما تعود من معاصريه - ولكن سرعان ما تثبت صحته ، وأشاد العلماء بقيمته ورأى بعينه ثمرة بحثه ، ورأى الملاريا تمحى من جهات كثيرة ، رآها تدبر من تلك البقاع ادباراً ، ورأى ان اماكن كانت مقبرة للناس أصبحت بفضل كشفه جنة يعيش سكانها عيشة سعيدة ممتلئين صحة وقوة بعد ان كانوا ضعفاء قد انهكهم التعب وأذبلهم المرض بما امتصه من دماهم طفيلي الملاريا .

منح روس جائزة (نوبل) كما منحها (لافيزان) من قبل لكشفه عن الطفيلي ، وبما يدل على قيمة الكشف ان يحصل اثنان اشتغلا بالبحث فيه على اكبر جائزة علمية في فترة قصيرة ، ولو ان مستكشف (الكينين) قاتل طفيلي الملاريا عاش في عصر جائزة نوبل لحصل عليها كذلك .

للدكتور محمد عبد الحميد جوهر

هل الحروب تطوي الحضارات

ما من شك في ان للحروب كائنة ما كانت تأثيرها الا بالنسبة الى الجموع المتقابلة في الجبهات والميادين فحسب وإنما بالنسبة الى سواهم أيضاً وأعني اولئك الذين يسمونهم في لغة هذا العصر (السكان المدنيين) ومن الواضح الذي لا يحتاج الى دليل ان الغالب والمغلوب متساويان امام هذا التأثير .

فأول ظاهرة من ظاهرات هذا التأثير وأهمها هو ما يتكبده كل من الفريقين المتحاربين من خسارة مؤلمة في الارواح فمهما كانت الحرب المشتبكة بين فريقين من الناس بسيطة جداً او مهما كانت (بدائية) ، فالذي لا شك فيه أن خسارة الارواح فيها محققة .

الحرب شيء بغيض كل البغض لدى كل الناس

حتى اولئك السباقون الى ميادينها الذين اذا ما حمي الوطيس يظهرون ما يظهرون من بسالة واقدام ومن تضحية بالنفس واقبال على الموت حتى اولئك الابطال بحق انما يخوضون غمار الوغى اضطراراً لا اختياراً ... وإنما يقدمون الى الحرب في شجاعة ورغبة وحماس لا حبا في الحرب وإنما لأن السبب او الفكرة او بعبارة اخرى الايمان الذي يدفعهم اليها يحتم عليهم هذا الاقدام وهذه الرغبة وهذا الحماس اما شعور البغض للحرب من حيث هي فأحسب انه ما يزال كامناً في نفوسهم كمونه الذي لا يمكن ان يحول ذلك لأن نفوسهم لم تخرج عن كونها نفوساً انسانية لديها من الاحساس بحب الحياة ما يركز فيها هذا الشعور وسرعان ما ينتهي ما يخوضون غماره من حرب وتنتهي دوافع ذلك ودواعيه حتى ينكشف

نسخة مجانية

وجه الحق ويتجلى للعيان هذا البغض الغريزي المكبوت ويطفو من عقل الانسان الباطن الى عقله الواعي هذا العقل الذي تعود دائماً ان ينظر الى الاشياء كما هي على ضوء من التأمل والتفكير .

الحرب شيء بغيض كل البغض لدى كل النفوس .

قال عنها اشهر قواد الحروب في العصور الحديثة نابليون بوتابرت (انها عمل بربري وحشي) وقال عنها قائد شهير آخر (لو شهدت يوماً من ايام الحرب لتوسلت الى الله ان لا يريك يوماً ثانياً منها) وقال عنها هذا القائد أيضاً (ليس أفضح من الانكسار في المعركة الا الانتصار فيها) وقال عنها لويس نابليون (ما الحرب الا أعمال بربرية منظمة وهي من بقايا الصجيرة مهما اختلفت مظاهرها وأشكالها)

الحرب شيء بغيض كل البغض لدى كل النفوس .

ولكنها ماذا ؟

انها الشر الذي لا بد منه في هذه الحياة وقد شاء الله بحكمته السامية ان تكون الحياة ميداناً للنقائص والاضداد ليتحقق فيها التوازن ويعمل عمله تاموس التنازع على البقاء ويتم التمايز بين الشيء ونقيضه بين الخير والشر ، بين الكمال والنقص ، بين القوة والضعف ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين الامن والخوف ، بين الشدة والرخاء ، الى آخر ما هنالك من الاضداد والنقائص .

لا بد من وجود الحرب اذن وليكن ما يكون .

لا بد من وجود الحرب اذن بالرغم من شعور البغض العميق بازائها وبالرغم مما تجره وراءها من اخطر النتائج وأشد الاضرار وبالرغم من تحديها لهذا الانسان في اسمى ما يقدره ويحرص عليه من مثل عليا ومن افكار وفلسفات ومن حضارة وعمران وعلوم وفنون .

ولكننا نسأل هنا ما هو مدى تأثير الحروب في الحضارة يا ترى ؟

وهل صحيح ان الحروب تطوي الحضارات ام ان الامر على النقيض؟
اما ان يكون الرد هنا ايجاباً فقد لا يعدم الباحث في هذا الصدد
ادلة من التاريخ يستخرجها لاول وهلة من هنا ومن هناك لاثبات الدعوى
وكسب القضية .

هو ذا تاريخ الحروب جميعها في كافة العصور القديمة والوسيطه
والحديثه وفي الشرق وفي الغرب مائل امامنا هو ذا تاريخ الامم المتحضرة
التي خلدها التاريخ من يونانية ورومانية وفينيقية وقرطاجنية واسلامية
وسواها فماذا ليت شعري سيجد الباحث في هذا التاريخ من ادلة افناء
الحروب للحضارات؟

الواقع ان تاريخ كل هذه الشعوب الشهيرة مملوء بالحروب وبالدماء
والواقع ان بعضاً من هذه الشعوب (فينيقيا) و (قرطاجنة) فقد كان من
نتائج الحروب المتتابة عليها ان قضت عليها القضاء الاخير وطوت حياتها
طياً من هذا الوجود .

ولكن أحقاً ان ما دونه التاريخ من اصول الحضارتين : الفيليقية
والقرطاجنية قد قضي عليه ايضاً وطوته تلك الحروب طياً واصبح في
خبر كان؟

وهل حقاً ان حضارة اليونان القديمة قد طويت من الوجود منذ اليوم
الذي غلب فيه اليونانيون على أمرهم ودخلوا تحت سلطة روما بعد ان
أنهكتهم حروبهم المتوالية مع الرومانيين؟

وحضارة الرومان وحضارة مصر في العصر القديم ثم حضارة الاسلام
في العصر الوسيط ، كل هذه الحضارات العظيمة قد اصبحت بأضرار
من الحروب ، ولكن هل طوت كل هذه الحروب كل تلك الحضارات؟
لقد أضرت الحروب حقاً بكل تلك الأمم ، وألحقت بها من فادح

نسخة مجانية

النكبات ما قضى على البعض منها نهائياً وما قضى على البعض الآخر منها بعض الشيء ، وليس من شك في ان اعظم ما اصبحت به هذه الشعوب الأخيرة جمعياً هو ان الحروب التي نكبت بها قضت في طليعة ما قضت عليه على أهم آثار حضارتها ومظاهر عمراتها ، وهذا هو وحده ما عيناها حينما قلنا ان الباحث قد لا يعدم دليلاً من التاريخ على اثبات الدعوى التي تقول بأن الحروب لا بد ان تطوي الحضارات .

ولكننا بعد ان نفكر قليلاً سنرى ان القضاء على آثار حضارة ما ليس معناه القضاء الأبدي على اصول تلك الحضارة ، ان حضارة اي شعب لا بد ان تنتقل الى الشعوب الاخرى سواء أظل هذا الشعب عائشاً في الوجود ام اصبح من تلك الشعوب التي طواها التاريخ . ان حضارات مصر وفينيقيا وقرطاجنة واليونان والرومان ثم حضارة الاسلام في عصره الذهبي ما زالت اصولها قائمة الى يومنا هذا ، وهل حضارة اوروبا الراهنة الا مزيج من تلك الحضارات ؟

قد تختلف حضارة اليوم عن كل ما تقدمها من الحضارات وقد تمتاز عليها بشق المظاهر والعلوم والفنون ولكنها قد ضمت ولا جدال بين شتى مظاهرها وعلومها وفنونها خلاصة من كل حضارة سابقة وقد يكون هذا وحده هو سر تفوقها المشاهد الملموس .

وقد تطوي الحروب أمماً وشعوباً وقد تطوي من تلك الشعوب والأمم ما قد يكون في اوطانها من مظاهر حضارتها في الوقت الذي تكون الانسانية قد هضمت فيه اصول تلك الحضارة واخذت منها عنصرها الجوهري ، وفي الوقت الذي تغدو فيه تلك الحضارة ميراثاً للعالم اجمع وملكاً لكل امة في الوجود .

وكما ان الحروب لا يمكن ان تطوي الحضارات فهي ايضاً لا يمكن ان تعوق سيرها واستمرارها وتقدمها ، بل انه في كثير من الظروف

تكون الحروب اكبر معوان لانتشار الحضارة . ان الحاجة ام الاختراع كما يقولون ، والحروب بطبيعتها تشجع نواحي الاختراع والابتكار في كل شيء ، الحروب تدعو بطبيعتها الى تقدم الصناعات الحربية على اختلاف انواعها والى التفنن والاكتثار فيها من كل جديد ، وتقدم هذه الصناعات يدعو بطبيعة الحال الى تقدم سائر فروع الصناعات الاخرى .

والحروب بطبيعتها أكبر مساعد على تقدم الزراعة وانتشارها ، لأن الأمة المحاربة او المستعدة للحروب تحاول دائماً وبكل الوسائل ان تزرع أكبر مساحة ممكنة من اراضيها لكيلا تبقى اذا جد الجد عالة على سواها ولكي تغدو قادرة على تمويل بلادها وعلى الصمود أمام اي حصار يوجه اليها الأعداء .

وكلما استمر تقدم الفنون الصناعية والزراعية استمر تقدم العلم الذي هو العنصر الهام لدى كل الحضارات .

والحروب ايضاً تساعد بطبيعتها على سرعة انتقال الحضارة من بلاد الى بلاد ، ذلك لأن اختلاط كل فريق من المنحاربين في الميادين او في بلاد الفريق الآخر يدعو الى هذا الانتقال .

وفي تاريخ الحروب الاسلامية الاولى ثم في تاريخ الحروب الصليبية المشهورة اعظم الشواهد على هذا الذي نقول .

حروب الاسلام وفتوحاته الاولى ساعدت من غير شك على اقتباس الحضارات التي كانت قائمة في البلدان التي غزاها المسلمون ، ومن هذا الاقتباس ومن هذا الامتزاج والتصاقب بين عناصر تلك الحضارات وبين الروح الاسلامية ، والتعاليم الاسلامية والعادات الاسلامية تكوّنت تلك الحضارة الاسلامية العظيمة التي شع نورها في العالم في الوقت الذي كانت فيه سائر الممالك الاخرى تتخبط في ليل دامس من الجهل والاضمحلال . والحروب الصليبية ساعدت ولا جدال على اقتباس اوروبا لأصول

نسخة مجانية

الحضارة الاسلامية . ان تلك الحروب الطاحنة المدمرة ، تلك الحروب التي كانت بلاء على الشرق وعلى العرب وعلى الاسلام كانت في الوقت نفسه اول عوامل انتقال الحضارة من الشرق الى الغرب ، وكانت السبب المباشر لكل ما نشاهده اليوم من مظاهر الحضارة العصرية وتقدمها واتساعها . وبعد فهذا هو تأثير الحروب في الحضارات .

لا يمكن ان تطوي اولاهما اخراهما بأية حال من الاحوال . ولا يمكن ان تعوق اولاهما اخراهما من البقاء والاستمرار وفوق هذا جميعه نستطيع ان نزعّم ان في بقاء الحروب واستمرارها بقاء واستمراراً لكل الحضارات .

وهذه هي الحقيقة المرة مع الاسف الشديد .
او هذه هي المشكلة كما يقول شاعر الانكليز شكسبير .

من كتاب (من تاريخنا)
للاستاذ محمد سعيد العامودي

اعظم الوفاء^(١)

هذا هو امرؤ القيس بن حجر الكندي يحترق غيظاً ويلتهب موجدة
لانه لم يستطع ان يثأر من بني اسد قاتلي ابيه ملك كندة ثأراً يشفي نفسه
ويبيح له ما حرم عليها من نساء وخرم وطيب . فهو منذ مقتل ابيه في
شغل بالثأر له وقد حارب بني أسد في مواقع عدة وقتل كثيراً منهم
لكنه لم يقنع الا بإبادتهم وبوراثته ملك ابيه عليهم على حين ان اخواله
وانصاره من بكر وتغلب رأوا فيما بلغه من النصر شفاء لنفسه ومقنماً
فتخلوا عن مناصرته في حرب طاغية يريد امرؤ القيس الا يلقي سلاحها .
وجهد امرؤ القيس في ان يستديم الانصار القدامى وجهد في ان يستميل
انصاراً جدداً ووعد هؤلاء واولئك وعوداً شتى فذهبت جهوده عبثاً .
وآنثذ شعر بلوعة لم يشعر بمثلها قط واحس بضعف الفرد الذي يريد
ويعجز عن تحقيق ما يريد .

فلم يجد بدأ من الحيلة السياسية ليصل بها الى ملك ابيه فهو يعلم ان
الدولة الرومانية طالما طمحت الى ان يكون لها بقلب الجزيرة العربية منطقة
نفوذ وولاء كما ان لها بالشام منطقة نفوذ وولاء لتحد من نفوذ الدولة
الفارسية خصمها العتيد^(٢) وليس من صالح الرومان ان يكون للفرس
نفوذ على الحيرة وعلى البحرين وعلى اليمن على حين ان الرومان لا ولاء
لهم الا بأمانة غسان في الشام وليس من مصلحة الرومان ان تفتح سبل
التجارة واسواقها في بلاد العرب لخصومهم الفرس ولا يحدون لتجارهم

«١» الاصل في الاغاني للاصفهاني وغرر الخصائص الواضحة لأبي اسحاق الوطواط ١٩ .
والمستطرف ١ - ٣٠١ للابشيهي . «٢» العتيد : الحاضر المستعد .

في بلاد العرب مثل هذا المجال .

وحينئذ فكر امرؤ القيس في ان يفد على قيصر امبراطور الروم ليستنصر به على اعدائه ويستعين بقوته على استرجاع الملك ولن يضيره ان يكون حليفاً له لقاء ما سيقدم له من عون وتأييد .

ولكنه شغل بعض الوقت بسلاحه الذي حارب به فليس من الرأي وبعد النظر ان يتجه الى القسطنطينية ويخلف اوزار^(١) الحرب من دروع وسيوف ورماح وقسي فلعله ان يحتاج اليها اشد الحاجة اذا ما عاد وليس من اليسير ان تقع في ايدي خصومه او في ايد تبدأه بالخصام .

فماذا يصنع ؟

أحمل السلاح معه في رحلته انه اذا يكلف نفسه شططاً^(٢) لانه يريد لها سفرة سريعة خفيفة وهو على ثقة من طول الشقة وجهد الرحلة، ولقد يتصدى له في طريقه طامعون في أسلحته فيباغتوناه بل انه لو اراد ان يحمل سلاحه ما استطاع لانه حينذاك يحتاج الى ابل والى رجال والى زاد وماء وهذا يكلفه أمراً^(٣) إداً .

وليس من اللائق ان يقدم الامبراطور مستنجداً ومعه ما يملك من سلاح لم يفن عنه شيئاً وان الامبراطور ليملك من صنوف الاسلحة ما لا يعد سلاح امرىء القيس بالنسبة اليها شيئاً مذكوراً .

أخبىء أسلحته في كهف او يدفنها في الرمال ، انه اذا لاحق يدع قوته للصرور والظروف ويعرضها للتلف او للضياع .

لم يبق الا ان يودعها رجلاً شهماً اميناً ذا وفاء ، حتى اذا ما عاد استردها كما اودعها .

وليس احد أجدر بثقته من السموأل بن عاديا ، ولم تكده هذه الخاطرة

«١» اوزار الحرب : سلاحها . «٢» الشطط : مجارزة القدرة والحد .

«٣» اداً : فظيماً .

تمن له حتى جمع سلاحه ووفد به على السموال بحصنه الابلق وكشف له عن رغبته فمش له ورحب وعاهده على ان يحفظ الوديعة حتى يعود فيستردها وارسل معه الى قيصر كتاباً يؤبده فيه ، فشكر له الأمير واثني عليه الثناء المستطاب .

هذا هو امرؤ القيس بن حجر يجتاز الدروب على ناقته وقد لف على رأسه عمامة من الحرير الابيض كأنها ظلة تقيه وهج^(١) الشمس وبوسطه حزام من الجلد الفاخر يتدلى منه خنجر مرصع المقبض وعلى يمينه سيفه المركوز في الرحل وقد ارخى لناقته زمامها فأخذت ترقل^(٢) وتخطف الخطى خطفاً وهو يهتز على خطواتها السراع هزات منتظمة تذكره ببعض ما أنشد من قصائد اللهم والمراح^(٣) وتذكره ببعض ما قرض^(٤) من قصائد الجد والثار والوعيد لبني اسد والهجاء لشاعرهم عبيد بن الابرص وهو في خلال ذلك كله يتخيل لقاء قيصر ويزور^(٥) من الكلام ما يستميله به الى نصرته وتأييده ويحلم بالملك المسترد والمجد العائد ، فتبرق عيناه بريق الظفر ويمني نفسه باذلال بني اسد فيبتسم ابتسامة الرضا .

وبعد سفر طويل مجهد هبط القسطنطينية ورأى معالم حضارتها فلم تشغله طويلاً لأنه كان عنها في شغل بنفسه . ثم استأذن على قيصر فأذن له وتلقاه بقبول حسن ، وأخذ الأمير العربي يزين للامبراطور ما في مخالفته وتأييده من خير للدولة الرومانية وضر بنحسومها الفرس ومناه بأن يد رقعة كندة حتى اليمن ثم يحتل اليمن والبحرين ويطرد الفرس واولياء الفرس . فاستجاب الامبراطور لرغبة امرئ القيس وامر باعداد جيش لجب^(٦) يسير به الأمير العربي الى كندة .

واذ كان امرؤ القيس في حبرة^(٧) من دنو آماله وفي مجواله بمدينة

«١» الومج : الاشتعال . «٢» ترقل : تسرع . «٣» المراح : الفرح والاختيال . «٤» قرض الشعر : قاله . «٥» يزور : يعد وينمق . «٦» لجب : كثير . «٧» حبرة : فرح .

القسطنطينية يشهد معالمها ويتملى^(١) بالنظر الى قصورها وحدائقها ومتاجرها
وحسانها ويعالج القريض في تصوير بعض ما أعجبه وبعض ما شاهده^(٢)
ويبني نفسه بالملك والمجد كقوله :

بكبي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقان بقيصرا
نقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعدرا
وقوله .

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة كفاني - ولم اطلب - قليل من المال
ولكنها اسعى لمجد مؤثّل^(٣) وقد يدرك المجد المؤثّل امثالي

بينما كان كذلك اذا به يفاجأ بما صوح^(٤) امله وقوض عمله ، اجل
فقد تنكر له قيصر بعد المودة وأقصاه بعد التقريب وارتاب فيه بعد الثقة
فكف جيشه عن السفر مع الامير العربي الطموح . ولم يجد الامير العربي
عسراً في تعليل ما حدث لانه رأى خصمه الطماح الاسدي يتردد على
قصر الامبراطور فمن الطبيعي انه قد حذر الامبراطور المخاطرة بجيشه في
البيداء القاحلة الآكلة وخوفه مطامع امرىء القيس بما شاء له الحقد والعداء
من ضعف وهو ومجون واستهانة به من قومه ومن العرب اجمعين .

وكان الطماح يعتمد على تأييد من ملك غسان العربي حليف قيصر
فقد كتب معه كتاباً الى الامبراطور يشهد فيه بما قاله الطماح .

فلمّا يش امرؤ القيس لم يطق البقاء بعاصمة دولة الروم وعاد
أدراجه الى بلاده يحمل بين جنبه ما لا طاقة له باحتاله وكيف يحتمل

«١» يتملى بالنظر : يديه . «٢» شده : ادمشه . «٣» مؤثّل : عريق . «٤» صوح
امله : اذهب من صوحت الريح البقل والنبت اي جففته .

الحزن على والده القتيل بأيدي اتباعه الاسديين وضياع الملك الطويل العريض من يديه وشماتة اعدائه فيه ثم كيف يحتمل انتصار خصمه الطامح الاسدي عليه في ميدان السياسة بعد ما كان النصر بينهم سجالاتاً (١) في ميدان الحرب وكيف له ان يعود الى العرب خائب المسمى مسلوب الامل بعد ان اينع أمله وبعد ان تسامع العرب جميعاً برحيله الى قيصر ليستعيد ملكه كانت هذه الآلام تضطرم كلها في نفس الشاعر العربي الامير وكان خياله يزيدهما ضمناً (٢) واشتعالاً فلم يقدر على مقاومة الجدري الذي اصيب به في طريقه قبل ان يبلغ حدود الجزيرة العربية وتهراً (٣) جلده منه وسمي بسببه ذا القروح وهناك قضى نحبه (٤) واستراح .

وتناقل الناس خبر موته وعلم به الامير العربي الفساني فطمع في أسلحته المودعة عند السموأل بن عادياء .

فكتب اليه يطلبها فرفض فسار اليه في منسر (٥) من جنده حتى وصل حصنه الابلق .

كان الحصن منيعاً لا يستطيع احد ان يخترقه او يتسلقه فطلب الامير الفساني من السموأل ان يسلمه اسلحة امرىء القيس بأمر من قيصر الروم فأبى السموأل وقال له : لن اسلم الوديعة ولن اخفر (٦) الذمة .

فقال له الفساني : لقد مات امرؤ القيس بديار الروم وقد كلفني الامبراطور ان أرت سلاحه .

فأجاب السموأل أعلم انه مات هنالك ولكني أعلم ان الامبراطور لا حق له في وراثته واعلم انك لست من وراثته .

فاستشاط (٧) الامير الفساني وهدده بتقويض الحصن فرد عليه السموأل في طمأنينة وفي حزم : الحصن امامك فافعل ما تريد اما الاسلحة فلن تناها

(١) الحرب سجالات : يتبادل الفريقان النصر فيها . (٢) ضمناً : اشتعالاً . (٣) تهراً : جلده : المراد تساقط . (٤) قضى نحبه : مات . (٥) منسر : خيالة . (٦) اخفر : اخون . (٧) استشاط : امتلاً غضباً .

لاني لن اخذل ميتاً أو لاني ثقته حياً .

عندئذ كان فتى من ابناء السموأل في طريقه الى الحصن عائداً من الصيد فأمسكه الامير الفساني وشد وثاقه وصاح بالسموأل قائلاً : هذا ابنك سأمر جندي بقتله ان لم تسلم الاسلحة .

يا له من حرج تطير من هوله النفس شعاعاً^(١) ابن يذبح على مرأى من ابيه او ذمة تخفر .

أيهما أقرب الى الطاعة وأولى بالاحتمال .

لقد كان في مقدور السموأل ان يتخفف من الحفاظ على الوديمة لان مودعها مات ولانها لم تعد صالحة لتحقيق ما كان يبتغيه منها ولانه مكره الآن على تسليمها لمن يدعي أنه الاولى بها ولا لوم عليه اذا ما آثر حياة ابنه على وفاء من اليسير ان يتحلل منه .

لكن السموأل لم يجب على التهديد القاتل الا بما يليق بالرجل العظيم قال للامير الفساني : دونك ابني فاذبحه اذا طابت بذبحه نفسك فلن تنال من ذبحه الا ان توصم^(٢) بالوحشية والعتو^(٣) وبشاعة الذكرى ولعنة الله والناس اما انا فساأشترى الوفاء وحسن الاحدوث بأبني على حي له واعزازي وسيتحدث الناس من بعدي وبعذك بأبني :

وفيت بأدرع الكندي . اني اذا ما خانت اقوام وفيت وكأنا كان الامير الفساني يكاد يراجع نفسه وينكفيء عن الحصن ، ويخلي ابن السموأل لولا ان احد اقباعه نخس الفتى بشبابة^(٤) سيفه نخسة المغيظ فصاح الفتى قائلاً : ما هكذا يفعل الشجعان تكنفونني وتتجرأون علي وأنتم ذور عتد وعُدد هلا خليتم بيني وبين سيفي لانا لاكم فأريكم

(١) تطير شعاعاً : تطير متفرقة . (٢) توصم : تعاب . (٣) العتو : الطغيان . (٤) شبابة : طرف .

شجاعة الابطال ؛ لست أدري ألو ص اتم ام طلاب حرب . وتقبط (١)
في وثاقه ليستجمع قواه ثم انفلت ليقبض على سيفه ويسيف (٢) به الامير
الفساني فأدركه احد اتباعه بضربة فصلت عنقه .

كان السموأل يرى بعينه ويسمع باذنيه فيتقطع قلبه قطعاً لكنه
احتسب ابنه وصبر .

وبعد بضعة اشهر جاءه ررثة امرىء القيس فسلم اليهم الدروع والسلاح
راضى النفس بما صنع ذائع الصيت بالوفاء والشهامة والحفاظ على العهد .

احمد محمد الحوفي

(١) تقبض تجمع . (٢) يسيف : يضرب بالسيف .

العالم والقنبلة الذرية

القنبلة الذرية اغرب ما كشفت عنه عقول العلماء من مخترعات في هذا العصر ، ولهذا نسب العصر اليها فقبل (العصر الذري) كما انها اخطر ما عرف من أسلحة الحرب في الفتك والتدمير ، ويكفي في تصور طاقتها على الابداء والتخريب ان تعرف ان قنبلة ذرية واحدة كافية لأن تمحو من الوجود مدينة كاملة فتبيدها :

ويميش العالم اليوم منها على حال سيئة من القلق والفرع ، فلا ينعم بعيش ولا تقر له عين ولا يطيب له مقام ، وانى له ذلك ومصيره في يد القدر لا يدري متى يحين حينه وتوافيه نهايته ، وقد يكون مصيره في كلمة ينبس بها زعيم من زعماء الدول التي تملك القنبلة الذرية في حالة من الاضطراب الدولي يؤذن بها العالم بالحرب ، فاذا الدنيا جميعها نار تلظى وجحيم يستعر : الارض والسماء واليابس والماء والسهل والجبل والقوي والضعيف والشيخ والطفل والعالم والجاهل ويصبحون وليس لهم ملجأ ولا معاذ لا تعصمهم الجبال الصم ولا الحصون الشم ، واذا العالم في مثل هول القيامة الذي صوره القرآن الكريم قال تعالى : (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَئِيسَ لَوْقَعَتِهَا كَآذِيبَةٌ خَآفِضَةٌ رَافِعَةٌ ، إِذَا وَقَعَتِ رَجَاءً وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَآنَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) وقال عز من قائل : (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَآحِدَةً ، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) .

لقد كانت الحرب قبل ذلك سهلة القيادة مخطومة بالزمام محدودة الشر محصورة الاثر ، في الامكان ان تحصر ميادينها ولا يصطلي بنارها الا بعض الشعوب

اما اليوم فالكون كله ميدانها والفضاء نار ذراته عيدانها ، ليس لشعب ان يقول (ما لي بها او ما انا منها) وكيف ؟ وليس للنجاة من طوفانها سبيل .

تلك هي حال العالم اليوم يسي ويصبح في فزع وهول ويتخيل للشر ألونا وللبلاء صوراً وأشكالاً تطير لها النفوس شعاعاً وترجف منها القلوب فزعاً ، وقد فسدت لذلك أعصاب الناس واضطربت افكارهم اذ تتراعى لحياهم صور الدمار والفتناء الذي اصاب هيروشيا وناكازاكي اول مدينتين القيت عليهما القنابل الذرية وتهمس في آذانهم ارواح ضحاياهما فيفرقون ويذهلون وتعاودهم في النوم اطيافها المزعجة فيذبو مقامهم بقظة ومناماً .

والقنبلة الذرية مشكلة العصر يجهد العلماء والساسة والمشفقون على الحضارة انفسهم حلها ووقاية العالم من شرها وصيانة الحضارة من خطرهما ويعقدون لذلك المؤتمرات ويدرسون ما يعرض بشأنها من المقترحات وبرغم مواصلة السعي ومضاعفة الجهد لم توفق الدول حتى اليوم الى قرار يريح العالم ويدفع اخطارها عن اذهان الناس بل ما زالت بعض الدول تتنافس في انتاجها وتقوم بالتجارب المتوالية لتحسين صناعتها ومضاعفة قوتها وزيادة اخطارها وما زالت لذلك سحب الفزع تخيم على الدنيا بأسرها وتنتشر في آفاقها الرعب والقلق .

وكان بعض الناس اليوم وهم يعيشون في ذلك الهول ويستخطون على العلم والعلماء وينعمون على الحضارة والمتحضرين ويتساءلون (اهذه غاية العلم وحظ العالم منه ؟ اهذه ثمرة الحضارة ونصيب الجنس البشري منها ؟) .

ان كان كذلك فقد كان اجدى عليه واجلب لسعادته ان يعود القمقري الى حياة الجهالة الاولى ويساكن الحيوان في الادغال والوحوش في الكهوف ويضرب بين الجبال والرمال ويحيا حياة بدائية اولى حيث

يطمئن به العيش وتقل عنه الاخطار .

ولكننا نقول لهؤلاء المشائمين المنغضين رؤسهم سخرية واستهزاء :
رويدكم ايها الساخرون وارفقوا بالعلماء وانصفوا العلم فإن العلم كالنار
له جانب من الخير كضوئها وجانب من الشر كإحراقها والعلم وان
تخضع عن القنبلة الذرية التي لها قوة الابداء والتدمير فإن الكشوف الذرية
لها جوانب من الخير عظيمة القيمة يقدرها الخبيرون بها الواقفون على
سرهما فالاطباء يعقدون عليها الآمال في شفاء كثير من الامراض لولاها
لاستعصت على العلاج والطب ورجال الاقتصاد يتوقعون من استعمالها عهداً
من الرواج والرخاء سعيداً حيث يكون لطاقتها اكبر الامر في تيسير
وسائل النقل وتخفيض نفقاته لو وجهت وجهة سليمة نافعة عندئذ تقوم
في البواخر والسيارات وسائل الالات مقام الوقود وتغني عنه وتكفي العالم
نفقاته الباهظة التي يكابدها الان والتي يستطيع من بعد ان ينفقها في
شؤون اخري تعود عليه بالخير وتنتشر فوقه من الرخاء والرفاهية ظلاً
وارقاً ظليلاً كما سيكون لهذه الطاقة الذرية اثر كبير في شؤون التغذية
اذ يستحدث بوساطتها مواد غذائية جديدة تفوق المواد المعروفة في قيمتها
وفائدتها كما انها تستخدم في حفظ المواد الغذائية نفسها مدداً طويلاً وحينئذ
يستطيع الناس ان ينتفعوا بمقادير منها كبيرة كانت من قبل يعث بها
التلف ويصيبها التغير والفساد .

للكشوف الذرية اذن جانب من الخير وجانب من الشر كما اسلفنا ،
وبيد رؤساء الدول الذين يتحكمون في مصائرهم ويقررون الحروب وانواع
الأسلحة التي تستخدم فيها توجيه هذه القوى الذرية الى احد الجانبين .
وهم المسؤولون امام التاريخ وامام الضمير الانساني عن سلام العالم وحياته
وحضارته .

الى هؤلاء الرؤساء ينبغي ان تتوجه الشعوب عامة وشعوبهم خاصة .

بالانذار والتحذير لأن الاخطار الذرية ستصيب البعيد والقريب والقوي والضعيف على السواء ولن يكون من بعدها غالب او مغلوب .
فعلى هؤلاء الرؤساء ان يقدرُوا مسؤوليتهم التاريخية في انقاذ البشرية ويعالجوا الموضوعات السياسية باخلاص وحزم وبروح انسانية لا تنصب للأوطان ولا تعرف القوميات ولا تسعى للظفر الدنيء .

ولعل الدول المتعادية تتكافأ امكانياتها الذرية فيكون ذلك سبيلاً للحد من اندفاعها نحو جانب الشر ووسيلة لتفضيلها جانب الخير فتبقي على الناس سلامهم وأمنهم وطمأنينتهم وحياتهم وتتجه وجهة البناء والانشاء لا وجهة الهدم والافناء ، وتستخدم القوى الذرية في الشؤون العمرانية من طبية او اقتصادية او غيرها لتبهيء للناس رخاء ورفاهية يكونان سبباً في عهد أمن وسلام بدلا من هذا النضال والقتال .

والقنبلة الذرية بمد ذلك آية كبرى لمن شك في وجود الله او الحد في دينه ، فقد أوقفنا العلم على ان الله اودع في اصغر مخلوقاته - وهي الذرة اكبر طاقة كهربائية ذات خطر كبير ، فما بالنا بالاسرار الخفية الاخرى في كونه الواسع مما عسى العلم ان يكشف عنه . وهكذا يبدو للانسان جهله وضآلة مداركه بجانب قوة الله العظيم وعلمه وقد صدق الله تعالى حيث يقول : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

نسيبة بنت كعب المازنية

سيدة امتلأت كرماً ونبلاً وفاضت شجاعة وحماسة ، وازدانت بكل ما يزين المرأة من قلب رقيق وحساسة قوية وعطف شديد ، كما تحلت باقدام الرجال وحزمهم .

خرجت هي وزوجها زيد بن عاصم وولداها عبد الله وحبيب في ذلك النيف والسبعين من الانصار يوم العقبة الثانية يريدون رسول الله المصطفى يبايعونه مستخفين لئلا يؤذيه الجاهلون ، فبايعوه والناس نيام في ثلث الليل الاخير في اليوم الاوسط من ايام التشريق من السنة الثالثة عشرة للبعثة ، وعادوا الى المدينة وجوههم تطفح بالبشر بما نالوا من خير ، وقلوبهم ترقص بما نفحهم الحق سبحانه من نوره من نعمة الايمان ونور الهدى .

كان يوم أحد - يوم تلك الغزوة التي كاد ان يقضى فيها على المسلمين - فأظهرت نسيبة - رضوان الله عليها - من رباطة الجأش والاستبسال في القتال ما لم يكن للابطال المداويد من فرسان العرب المغاوير . فقد التحم الجيشان وكانت الدائرة - اول الامر - على المشركين فمال المسلمون على الغنائم وشغلتهم الاسلاب فتجمع المشركون ثانية وزحفوا عليهم زحفة اطارتهم كل مطار ولم يبق حول رسول الله الا نفر قليل فيهم ابو بكر وعمر وعلي وسعد وطلحة والزبير ونسيبة وزوجها وابناها وما ان رأت نسيبة دم المصطفى يسيل على وجهه ، ورباعيته قد كسرت ودخلت حلقة المغفر في رأسه حتى طرحته قربتها التي كانت تسقى منها العطاش وانتضت مهنداً تقاتل دون الرسول ببسالة واقدام فائقين حتى

قال رسول الله ﷺ فيها : « مَا التَّفَتُّ يَمِينًا وَشِمَالًا إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تَقَاتِلُ دُونِي » .

ولقد جرح ابنها عمارة في عضده اليسرى ضربه رجل كأذنه الرقل (النخلة) ومضى عنه فجعل الدم ينزف فتمال رسول الله : اعصب جرحك ، فأقبلت امه ومعهما حقائب في حقوبها قد اعدتها للجراح ، والنبي واقف ينظر ، فضمدت جرحه وقالت : انض بني فضارب القوم فجعل النبي يقول : « ومن يطيق ما تطيقين يا ام عمارة » واذا بضارب ابنها يظهر ، فقال المصطفى : « هذا ضارب ابنك » فاعترضت له وضربت ساقه فبرك ، فابتسم الرسول وقال : « استقدت يا ام عمارة » ثم اخذت تعد الرجل بالسلاح حتى أتت عليه فقال رسول الله ص : « الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدرك وأراك تارك بعينك » وقد جرحت اثني عشر جرحاً وهي لا تعي حتى ضربها ابن قعنة ضربة غائرة في عنقها ، فنادى رسول الله : « عمارة امك امك » اعصب جرحها بارك الله عليكم من اهل بيت ، مقام امك خير من مقام فلان وفلان ، فلما سمعته قالت : « ادع الله ان ترافقك في الجنة » فقال . « اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة فقالت : « ما ابالي ما اصابني في الدنيا » .

وللستمع اليها تحدثنا هي عن بلائها في ذلك اليوم « قالت : خرجت اول النهار وأنا انظر ما يصنع الناس ومعني سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت ابشر القتال عنه بالسيف وأرمي من القوس حتى خلصت الجراح الي » قالت راوية الحديث فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت من اصابك بهذا ؟ قالت ابن قعنة أقماه الله لما ولي الناس عن رسول الله صلى

نسخة ممانيا

الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له انا ومصعب بن عمير واناس ممن ثبت مع رسول الله فضربني بهذه الضربة ولقد ضربته ضربات ولكن عذر الله كانت عليه درعان .

وهناك موقف آخر من مواقف بطولتها الخالدة يوم خرج خالد بن الوليد في جيش فيه ولداها لقتال مسيلة الحنفي ، فأسر مسيلة ابنها حبیباً فعذبه وأراد فتنه عن دينه ولكن انى لهذا الشهم الكريم سليل تلك السيدة الكريمة الباسلة التي غرست فيه الشمم وقوة الايمان يوم ان أرضعته ، انى له ان يفتن في دينه او يصبأ عن عقيدته .

روى ابن هشام في السيرة ما نصه « وابنها حبيب الذي أخذه مسيلة صاحب اليامة فجعل يقول له : اتشهد ان محمداً رسول الله فيقول : نعم . فيقول : افتشهد انى رسول الله فيقول له : اسمع فجعل يقطع منه عضواً عضواً حتى مات في يده لا يزيد على ذلك ، اذا ذكر رسول الله آمن به وصلى عليه واذا ذكر مسيلة قال له : اسمع فلما بلغها هذا خرجت الى اليامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلة ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً ما بين طعنة وضربة . »

هذه هي نسيبة بنت كعب التي كانت مثلاً عالياً في التضحية والإقدام والباسالة والنبيل ، على انها ما كانت لتقصر على هذا فقد كان لها نصيب وافر من العلم فقد روت عن النبي ﷺ وحدثت كما في الاصابة .

الاستاذ محمد اسعد

(بتصرف)

ايام العرب

(حرب البسوس)

كانت العرب العدنانية بدواً أميين قد تأصلت في نفوسهم طبائع البدو من النجدة وحب الغزو والميل الى الانتقام والأخذ بالثأر كان العربي منهم حين يفتح عينيه لا يرى إلا تألق الأسنة ولا يسمع إلا صهيل الخيل وزئير الوحش ولم يكن لهم حمى يلجأون اليه الا ظهور خيلهم ومقابض سيوفهم فرسخت فيهم صفات الفروسية وقوة المراس وكثر الفتك والنهب وما كان لهم مقام بأرض وإنما كانوا يبتغون الماء ويرتادون منابت العشب ليرعوا انعامهم التي عليها بلاغهم في حمولهم وشبعهم وريحهم فنقازعوا على المرعى وتدافعوا على النجدة . نشبت دواعي الخلاف التي كانت كثيراً ما تنتهي بالاحتكام الى السيف فانتشرت بينهم العداوة وفشت فيهم الحروب وتخطف بعضهم بعضاً واحتمت بعض قبائلهم بالحلف وبقيت بعض القبائل الاخرى متجمرة^(١) في نفسها متمزة بعصبيتها وكان هذا أهم الاسباب التي أدت الى هذه الايام او الغارات المشهورة .

ومن هذه الايام « حروب ربيعة » التي اشهرها حروب البسوس وكانت بين بكر وتغلب وهاجها مقتل كليب بن ربيعة . فذكر صاحب العقد الفريد ان كليباً هذا قساد معداً كلها يوم خزاري^(٢) ففض بهم جموع اليمن وهزمهم وخلصت معد من ولاية التباينة يومئذ فاعتزقوا

(١) الجفرة: القبيلة التي تمزج بعصبيتها ولا تحالف غيرها وهي من التجمر بمعنى التجمع وجمرات العرب ثلاث: ضبه . ونمير . وعبس . وبعضهم يزيد رابعة وهي بنو الحارث بن عبد المطلب .
(٢) خزاري - كحبالى : موضع كانوا يوقدون عليه تاراً غداة الغارة .

لكليب بالسيادة عليهم وأعطوه قسم الملك وتاجه وغبر بذلك حيناً من
دهره حتى دخله زهو شديد وبقي على قومه لما هو فيه من عزة ولانقياد
معد له حتى كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، وضربت العرب
بمزته المثل فقالوا : « أعز من كليب » واتفق ان مرت ابل له الى
موردها بناقة البسوس بنت منقذ التميمية وهي خالة جساس بن مرة بن
بكر وكانت جارة له فلما رأت الابل نازعت عقالها حتى قطعته ووردت
الماء معها وراها كليب فرمى ضرعها بسهم وراحت ترغو على صاحبها
فخرجت الى جساس فأحمسته بكلامها حتى خرج كليب وهو غار
فقتله ووقعت الحرب وتشمر عدي بن ربيعة وهو مهلهل للأخذ بشار
أخيه وكرهت قبائل بكر مساعدة بني شيبان رهط جساس وأعظموا قتل
كليب في ناب من الابل وانقبض الحارث بن عباد فارس النعمانية في
أهل بيته (وهو ابو يجير او عمه) وقد مكثت هذه الحرب أربعين
سنة على ما يقول الرواة وكانت فيها الغارة بين الرجلين والثلاثة وكان
أعظم ايام تغلب على بكر يوم الذنائب ^(١) الذي ذكره مهلهل في قصيدته
التي مطلعها :

البلتنا بندي حسم انسيري

اذا انت انقضيت فلا تحوري

ويقول فيها :

فان يك بالذنائب طال ليلى

فقد ابكي من الليل القصير

فلو نبش المقابر عن كليب

لأخبر بالذنائب أي زير

كأنا غدوة وبني ابينا

يجنب عنيزة رحياً مدير

واني قد تركت بواردات

يجيراً في دم مثل العبير

(١) موضع بنجد على يسار طريق مكة كانت به رقعة بين بكر وتغلب .

هتكت به بيوت بني عباد وبعض القتل اشفى للصدور
على ان ليس عدلاً من كليب اذا برزت نخبأة الخدور
ولولا الريح اسمع من مججر^(١) صليل البيض تقرع بالذكور

قالوا : ولما بلغ الحارث بن عباد قتل ابنه يجير قال : « نعم القتييل
قتيلاً اصلح الله به بين ابني وائل ، فقييل له ان مهلهلاً حين قتله
قال : « بؤبشع نعل كليب ، فغضب الحارث واحمسته بكر لذلك
ولإسراف مهلهل في قتلهم فتولى الحارث امر بكر وأوقع بتغلب في يوم
قضه وهو يوم تحلاق اللهم وأمر مهلهلاً وهو لا يعرفه ثم اطلقه وفي
ذلك يقول الحارث حين تجهز لهم ابياته المشهورة التي أولها :

قربا مربط النعامه مني لقتت حرب وائل عن حبال^(٢)
لم اكن من جناتهما علم الله وإنى بجرها اليوم صال
لا يجير أغنى قتيلاً ولا رهط كليب تزاوجوا عن ضلال
يا يجير الخيرات لاصلح حتى املاً السهل من رؤوس الرجال

روى صاحب الاغاني عن رواته :

قالوا لما قتل كليب اجتمع نساء الحي للماتم ، فقلن لاخت كليب :
رحلي جليلة عن ماتمنا فان قيامها فيه شماتة ، وعار علينا عند العرب ،
فقلت هذه جليلة اخرجني عن ماتمنا فانت اخت واترنا وشقيقة قاتلنا ،
فخرجت وهي تجر أعطافها فلقمها ابوها مرة فقال لها : ما وراءك يا
جليلة ؟ قالت : ثكل العدد وحزن الابد وفقد خليل وقتل اخ عن قليل
وبين ذين غرس الاحقاد وتفتت الاكباد ، فقال لها ابوها : او يكف
ذلك كرم الصفح واغلاء الديات ؟ فقلت : امنية مخدوع ورب الكعبة
ابا لبدن تدع لك تغلب دم ربهها ؟؟

(١) قصة اليامة . (٢) الحبال بكسر اوله : امتناع الحمل .

قالوا : ولما رحلت جليمة ، قالت اخت كليب : رحلة المعتدي وفراق الشامت ، وبل غداً لآل مرة من الكرة بعد الكرة . فبلغ قولها جليمة فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء ، ثم انشأت تقول ... (هو من أروع ما قيل في معناه) :

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا
فاذا انت تينت السذي
ان تكن اخت امرىء ليت على
جل عندي فعل جسام فيا
فعل جسام على وجددي به
يا قتيلاً قوض الدهر به
هدم البيت الذي استحدثته
يا نسائي دونكن اليوم قد
خصني قتل كليب بلظى
ليس من يبكي ليوميه كمن
يشتهي المدرك بالثار وفي
انني قاتلة مقتولة

تعجلي باللوم حتى تسالي
يوجب اللوم فلومي واعذلي
شفق منها عليه فافعلي
حسرتي عما انجلت او تنجلي
قاصم ظهري ومدن اجلي
سقف بيتي جميعاً من عمل
وانشئ في هدم بيتي الاول
خصني الدهر برزء معضل
من ورائي ولظى من اسفل
انما يبكي ليوم مقبل
درك ثأري ثكل لثكل
ولعل الله ان يرتاح لي

محمد هاشم عطية

عربي في الاندلس

ويع هؤلاء الغوغاء ما أشد ما تكون جلبتهم وما أعنفها حين تثور
ثأرتهم ، لبت شعري ما الذي اهاجهم في مثل هذه الساعة من النهار
ليقضوا مضاجع من جنحوا الى منازلهم مع القياولة ... ثم ما بال الحكم
تخلف عن المنزل على غير عادة منه ، وما كان ليبطيء عن موعد غدائه
قبل اليوم ... ولكن ما بال هذه الجلبة تدنو وتقترب حتى ارتجفت منها
جوانب الحي ... اللهم لطفك يصرف البلاء .

قال ذلك ابو الحكم الغرناطي وهو ينهض من مجلسه في خزانة كتبه
حيث كان منهمكاً في مطالعة كتاب وصله حديثاً من المشرق وهو يجد
أشد العناء في قراءة خطوط هؤلاء المشاركة الذين صرفهم حب المال عن
التجويد والالتقان والتروي فيما ينسخونه من كتب الاعلام عندهم ، ولذا
فهي ما تفتأ ترد زاخرة بالتصحيف والتحريف والبتير .

وما كاد يطأ عتبة الباب ليدلف منه الى الطريق فيستطلع خبر هذه
الجلبة التي ملأت سمعه وهو في مكانه القصي من المنزل حتى وجد نفسه
وجهاً لوجه امام رجل اسباني أطار فؤاده الفرع والرعب كأنما هو يفر
من موت يتعقب خطاه ويقتفي اثره . وكاد الرجل الخائف يصطدم بأبي
الحكم ان لم يكن فعل ذلك على غير وعي منه ، وهو يقذف بنفسه داخل
خوخة الباب (١) التي وجدها تفتح مصادفة بين يديه ، فكانت الفرج
الذي انتشله من هول ما هو فيه . واستدار الأسباني الى باب الخوخة
فنعى عنه يد الشيخ المعروقة وصفقه (٢) في وجوه من توقعهم ان يكونوا

(١) الخوخة هي الباب الصغير في الباب الكبير . (٢) صفقه : اغلقه .

وراءه واسند ظهره اليه وهو يلتقط انفاسه زائغ البصر ثم ما لبث ان استفاق من ذهوله وترامي على قدمي الشيخ وهو يرتعد فرقاً وقال بصوت تخنقه المبرات : انا مستجير بك يا عم ، فان ورائي قوماً من العرب يطالبونني بدم رجل منهم تطاول علي بخصوصته فأغواني الشيطان فصرعته بطعنة خنجر ووليت الأدبار وانا أتوهم ان جميع من في غرناطة قد هموا يعدون في أثري .

وقال الشيخ يهدىء من روعه « لا عليك يا بني فقد وصلت مأمناك ان شاء الله ولن ينالك احد بمكروه ما دمت في جوار ابي الحكم وستجد من ولدي الحكم خير صديق يرعى لك حرمة الجوار ويرد عنك كل اذى . وأمسك بيده ومضى يدله على المكان الذي تخبره له من المنزل ثم تحول الى احد غلمانه فأمره بأن يعد له طعاماً ويوافيه بما قد يحتاج اليه في مخبئه ذاك . وما كاد الشيخ يعود الى مجلسه من خزانة كتبه ، حتى سمع قرعاً متوالياً على الباب فقدر ان يكون القارعون طلاب جاره الاسباني الذين يقتفون أثره فتلكأ في قيامه وبوده ان لا يقوم حتى لا يواجه اولئك القوم وهم في سورة غضبهم وتمنى لو كان ولده الحكم معه يشد ازره وليجد في شبابه الماء الذي اضعفه كرا الاعوام في نفسه .

ومضى الى الباب وقد جمع من حوله ليظاهروه فيما هو مقدم عليه ودنا من الباب والقرع من ورائه لا يزال على اشده وفتح بيدين ترتجفان من وهن الشيخوخة فاذا هو يجد بين يديه جمعاً غفيراً من الناس وهم يحملون جثان رجل غشاه احدهم بطيلسانه^(۱) وكلهم قد نكس رأسه مخافة ان يكون نذير الشؤم وأخيراً دنا منه احدهم وهو يمس بصوت خفيض « تجلد ابا الحكم فان الرزايا خلقت للرجال . . . كل نفس ذائقة

« ۱ » الطيلسان رداء كانوا يلبسونه فوق ملابسهم عند خروجهم من المنازل وكان اول امره وفقاً على الخاصة ورجال العلم ولكنه شاع فيما بعد وكانوا يقلدون به المعجم .

الموت وهذا هو الحكم قد لقي مصرعه على يد اسباني غادر من صفاته كيت وذيت (١) وقد أوشكنا ان نحيط به فيقع بأيدينا لولا ان غيبه منعطف الطريق على مقربة من دارك ثم اختفى على حين غرة ، كأنما ابتلغته الارض او طار به طائر الى عنان السماء . . .

وأدخل القوم جثمان الحكم وأبوه يمشي بين يديه وقد صدعت الفاجعة أركان عزيمته وأوهنت جلده وحطمت فؤاده وزاد من بلائه انه يعرف مكان غريمه في منزله وانه عاجز عن الاخذ بثأره منه لأنه متحرم بجواره ممتنع بعهدده وحاشا لله ان يخفر ابو الحكم عهداً أو يخون جواراً ولم يجد الشيخ المفجوع بولده الوحيد الا البكاء متنفساً فبكى بكاءً خاشعاً صامتاً مخافة ان يشمت به حاسدوه وما اكثرهم لمن كان في مثل مكانته . وانصرف ذوو قرابته يعدون الشهيد لمثواه الاخير وعلا في المنزل بكاء النسوة من اخواته وقربياته حتى تنامى ذلك الى سمع الاسباني في اقصى المنزل ، وتحين دنو احد الغلمان من نافذة حجرته ، فناداه اليه وسأله عن سبب هذا العويل الذي امتلأ به المنزل ، فأنبأه ان الحكم وحيد رب البيت قد جيء به صريعاً بيد اسباني أثيم وهم من اجل ذلك يبكونه .

وخارت عزيمة الرجل وأيقن بالموت وشيكاً ، وجعل يترقب دخول القوم عليه بين لحظة واخرى يقطعونه ارباً ارباً ليأخذوا بثأرهم منه وليس له مفر من ذلك من مهرب .

وعاد ابو الحكم من دفن ولده ليلتقى في مجلسه العزاء ممن ترامى اليهم نبأ فاجعته لولده من أهل غرناطة ، حتى ما تراخى به الليل وانصرف من حوله المعزون دخل على جاره الاسباني وبيده صرة من الدنانير ، وفاجأه بقوله : « لقد علمت ما كتب الله علينا من البلاء على يدك ،

«١» يقال كيت وكيت او كيت وذيت وكلاهما بمعنى كذا وكذا .

وما يسعنا الا الصبر ، ولن نخفر لك عهداً ولا ذمة ، وهذه دنانير قد
تحتاج اليها قبل ان تبلغ مأمناك وتصل الى أهلك .. فاخرج عنا آمناً ولا
ضير عليك مخافة ان ينتهي خبرك الى أبناء عم الحكم فينالك منهم شر
فدسبني العرب بذلك .

وخرج الاسباني من المنزل وهو لا يكاد يصدق ما تسمعه اذناه ،
ومضى يحدث قومه عن شهامة العربي وحفظه للجوار حتى مع قاتل ولده .
بمثل هذه الاخلاق الحميدة استطاع العرب في الاندلس وسواها ان
يكتبوا تاريخاً وان يذشثوا حضارة وان يكونوا أمجاداً ما تزال جميعها
حديث الدهر منذ كان العرب في عهدهم البعيد حتى يوم الناس هذا .

محمد سليم رشدان

غزوة بدر

- « ماء بدر - قلب ماء عديدة بالوادي ، بينها قليب
امامه كتيب - ابو سفيان بن حرب ينزل بالماء حذراً »
ابو سفيان : (لأحد الرعاة) هل أحسست أحداً ؟
الراعي : ما رأيت احداً انكره الا اني قد رأيت رجلاً ثلاثاً
قد اتاخوا الى هذا التل ثم انطلقوا مع غلامين من
سقاء الماء .
ابو سفيان : أرني مناخهم ؟
الراعي : (يشير له الى مكان بالوادي) هنا كان مناخ بعيرهم .
ابو سفيان : (ينحني ويلتقط بعراً من ابعار الابل ويفته باصبعه فيجد فيه
نوى) علائف يثرب .
الراعي : رأيت فيها نوى نخيلها ؟
ابو سفيان : (كالمخاطب لنفسه) نعم هذه واللوات عيون محمد .
« يرجع الى عيره سريعاً ويرتحل من فوره
مع اصحابه بعيداً عن الطريق المألوف »
الراعي : (لنفسه) ما هذا الرجل قد ضرب وجوه عيره عن الطريق
وانطلق سريعاً ؟

نسخة بحانية

« ينصرف »

« محمد واصحابه يقومون »

محمد : هنا فانزلوا .

« الحباب بن المنذر يسرع الى محمد »

الحباب : تنزل هذا المكان ؟

محمد : نعم .

الحباب : يا رسول الله أرأيت هذا المكان أمزلا انزلك الله ليس لنا ان

نتقدمه ولا نتأخر عنه ام هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

محمد : بل هو الرأي والحرب والمكيدة .

الحباب : يا رسول الله ان هذا ليس بمنزل فسر بالناس حتى تأتي ادنى

ماء من القوم فتنزله فاني عالم بها وبقلبها بها قليب قد عرفت

عذربة مائة لا ينزح فنفور ما سواه من القلب ثم نبني عليه

حوضاً ثم نقاتل اليوم فنشرب ولا يشربون .

محمد : لقد اشرت بالرأي .

الحباب : (يسير بالقوم الى القليب) هو ذا القليب هنا فلتنزل .

« محمد ينزل وينزل معه الناس »

عمر : (للحباب) خذ بعض القوم وابنوا الحوض .

« الحباب يسير ببعض الناس ليفعل ما أشار به »

ابو بكر : (لعمر) الا فلنجعل الرجال في صفوف

« سعد بن معاذ يدنو من محمد »

سعد : يا نبي الله الا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك

ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك
ما احببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت
بمن وراةنا من قومنا بالمدينة ؟

محمد : جزاك الله خيراً يا سعد .

ابوبكر : (لسعد) انطلق ببعض الرجال وابنوا العريش .

« سعد يسير ببعض الناس ويبنون عريشاً من جريد »

محمد : استووا صفاً صفاً .

« يصفف رجاله »

ابوبكر : (للرجال) افعلوا كما امركم رسول الله .

محمد : (في يده عود يشير به لبعض الرجال كي يعدل الصف)

انت تقدم احد الرجال : انا ؟

محمد : نعم (لرجل آخر) وانت تأخر .

سواد بن غزية : (وهو مستنصل عن الصف) يا رسول الله .

محمد : يطعن بالعود في بطن سواد) يا سواد .

سواد : يا رسول الله اوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل .

محمد : استو .

سواد : اصبرني يا رسول الله ومكنني من نفسك لأقتص منك .

محمد . اصبر .

سواد : ان عليك قميصاً وليس علي قميص .

« محمد يرفع قميصه فيعتنقه سواد ويقبل بطنه »

محمد : ما حملك على هذا يا سواد ؟

سواد : يا رسول الله حضر ما ترى فأردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك .

محمد : (باسم) جزاك الله خيراً يا سواد .

الحباب : (يقدم وقد بنى الحوض) لقد بنينا الحوض وقذفنا فيه الآنية فوالله ما يشرب منه رجل من القوم الا قتلناه .

علي : (يصيح انظروا الى الكئيب لقد أتوا) .

ابو بكر : (يلتفت) نعم هذا الكئيب انهم يجيئون منه الى الوادي .

محمد : (وجهه الى السماء) اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولاك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة .

« قريش تظهر على الكئيب وتصوب انظارها في الوادي »

ابو جهل : (يرى محمداً وجيشه) هذا محمد وأصحابه .

امية بن خلف : (يلتفت الى عمير بن وهب) يا عمير احزر لنا اصحاب محمد .

عمير : (يصوب في الوادي) ثلاثا رجل يزبدون قليلا او

ينقصون ولكن امهلوني حتى انظر اللقوم كمين او مدد ؟

« يذهب فيضرب في الوادي »

عتبة بن ربيعة : اما سمعتم بما يقول جهيم بن عبد المطلب ؟

امية : ماذا يقول ؟

عتبة : رؤيا قد رآها .

ابو جهل : رؤيا ؟

عتبة : (ينادي) يا جهيم اقبل وقص علينا رؤياك .
جهيم : (يقبل) اني رأيت فيما يرى النائم واني لبين النائم واليقظان
اذ نظرت الى رجل قد اقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير
له ثم قال « قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو
الحكم بن هشام وأميه بن خلف ثم رأيت ضرب في لبة
بعيره ثم ارسله في العسكر فما بقي خباء من اخبية العسكر
الا اصابه نضح من دمه » .

ابو جهل : وهذا ايضاً نبي آخر من بني عبد المطلب .
جهيم : والله لقد ذكرت ما رأيت .
ابو جهل : ستعلم اليوم من المقتول ان نحن التقينا
« عمير يعود »

أميه : ماذا وجدت يا عمير ؟

عمير : ما وجدت شيئاً ولكني رأيت يا معشر قريش البلايا تحصل
الموت الناقع قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم اما
ترونهام خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعي والله ما أرى
ان يقتل منهم رجل حتى يقتل منا رجل فاذا أصابوا منكم
عددهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم .

شيبة : (يتقدم اليهم) لقد جاء نبا من أبي سفيان انه احرز غيره
ونجاها .

أميه : او بعث احداً ؟

شيبة : (يشير الى فارس خلفه) نعم هذا هو رسوله .

الفارس : (يتقدم) لقد ارسلني اليكم ابو سفيان اقول لكم انكم انما خرجتم لتنموا غيركم ورجالكم واموالكم فقد نجا بها فارجعوا .

ابو جهل : نرجع واللات لا نرجع حتى نرد سواد بدر فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابونا ابداً بعدها .
امية : واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً واصحابه بالجمال فامضوا .

عمير : (يلتهت الى جيش محمد) كيف نضي ؟ ان محمداً واصحابه قد جعلوا لأنفسهم حوضاً على هذا القليب يذودون عنه ولا ماء لدينا وقد غوروا ما سواه من القلب .

ابو جهل : فلنحمل اليه .

عمير : واللات لو فعلنا لرمونا بالنبل .

« يخرج الاسود المخزومي »

المخزومي : (يصيح) اعاهد اللات لأشربن من حرصهم او لأهدمنه او لأموتن دونه .

« يخرج صائحاً منطلقاً الى القليب فيراه حمزة »

ابن عبد المطلب في صفوف النبي فيتبعه ،

حمزة : (صائحاً) خذها يا عدو الله .

« ثم يضربه بسيفه ضربة تطن قدمه بنصف ساقه »

وهو دون الحوض فيقع المخزومي على ظهره .

وتشخب رجله دماً فيحبو الى الحوض ويقتحمه

فيلتبعه حمزة ويضربه حتى يقتله في الحوض «

عتبة : (يبرز ويصبح) الى المبارزة الى المبارزة .

« يخرج من صفوف النبي ثلاثة من الانصار للمبارزة »

الانصار : (صائحين) الى المبارزة .

عتبة : (صائحاً) من انتم ؟

الانصار : رهط من الانصار .

قريش : (تصيح) مالنا بكم من حاجة .

عتبة : (ينادي) يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا .

محمد : (على باب عريشه ينادي) قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة

ابن الحارث .

« ينهض الثلاثة ويتقدمون للمبارزة »

عتبة : من انتم ؟

حمزة : انا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

عتبة : كفء كريم وانا اسد الحلفاء . من هذان معك ؟

حمزة : علي بن ابي طالب وعبيدة بن الحارث .

عتبة : كفئان كريمان وهذان معي الوليد ابني وشيبة اخي قم يا وليد

قم يا شيبة .

يبارز علي الوليد فيختلفان ضربتين ويقتله علي

ويبارز حمزة عتبة فيمختلفان ضربتين ويقتله حمزة
ثم يبارز عبدة شيبه فيضرب شيبه رجل عبدة
وهو امن اصحاب النبي بذباب السيف فيصيب
عضلة ساقه فيقطعها فيكر حمزة وعلي على شيبه
فيقتلانه ويحتملان صاحبهما عبدة الى صفوفهم.

ابو جهل : (يصيح في قومه) احموا عليهم .
محمد : (لأصحابه) لا تحملوا حتى آمركم ان اکتفکم القوم فانضحوم
عنکم بالنبل .

« يدنو الفريقان احدهما من الآخر
وتقذف صفوف النبي بالنبل على قریش »

ابو بكر : (صائحاً) ايها المسلمون اجعلوا شعاركم أحد أحد .
محمد : (يدخل العريش ويرفع رأسه الى السماء في قلق وفرق) يا حي
يا قيوم يا حي يا قيوم .

ابو بكر : (يتبع محمداً) يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز
لك ما وعدك .

محمد : (ناظر الى السماء) اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم
لا تعبد .

عمر : (يدنو من العريش شاهراً السيف ويخاطب سعد بن معاذ) قم
يا سعد على باب العريش مع نفر من الانصار تحرسون رسول
الله بسيوفكم فاني اخاف عليه كرة العدو .

ابو بكر : (لعمر في اطراق وحزن) ان العدو كثير .
عمر : (في كآبة) ثلاثة امثالنا ويزيدون .
محمد : (في العريش يبتهل) يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم يا حي
يا قيوم .

« ارتفع بين صفوف النبي صيحة »

عمر : (يلتفت) من هذا ؟
ابو بكر : (يلتفت) هذا مولاك مهجع قد رمى بسهم فقتل
عمر : رحمة الله عليك يا مهجع .

« صيحة اخرى ترتفع »

ابو بكر : انظر هـ—ذا حارثة بن سراقة رمى ايضاً وهو يشرب من
الحوض .

عمر : (ينظر) نعم لقد اصاب السهم نحره .
ابو بكر : رحمتك اللهم رحمتك اللهم .
عمر : (في قلق) اخشى ان تكون علينا الدائرة .
محمد : « يبتهل وقد تصيب عرقاً » يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم
يا حي يا قيوم .

« يجلس النبي ويخفق قلبه »

عمر : (جزعاً) ما برسول الله انظر .
ابو بكر : (همساً في قلق) صه .
عمر : (في صوت خافت) ان رسول الله قد خفق .

- ابو بكر : (في اطراق) نعم .
عمر : اخاف ان يدب الخور في اصحابنا .
ابو بكر : (كالمخاطب نفسه) اللهم عونك .
عمر : انظر اليس هذا ابن الحمام قد ترك القتال وانتحي وفي يده
تمرات يا كلهن .
ابو بكر : (ناظراً الى السماء) اللهم عونك اللهم عونك .
محمد : (ينتبه ويصيح) يا ابا بكر يا ابا بكر .
ابو بكر : لبيك يا رسول الله .
محمد : ابشر يا ابا بكر اناك نصر الله هذا جبريل آخذاً بعنان فرسه
يقوده على ثنايا النقع .
ابو بكر : (في فرح) اجاءك الوحي في هذه الحففة يا رسول الله ؟
محمد : نعم .
ابو بكر : (لعمر) ابشر ابشروا ايها المسلمون .
محمد : (يخرج للقوم صائحاً) يا معشر المسلمين شدوا .
المسلمون : (يحملون على العدو صائحين) أحد أحد .
محمد : (صائحاً) والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل
صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر الا ادخله الله الجنة .
ابن الحمام : (وفي يده التمرات يا كلهن) بخ بخ فما بيني وبين ان ادخل
الجنة الا ان يقتلني هؤلاء .

« يشير الى الاعداء ثم يقذف التمرات

من يده ويأخذ سيفه ويقاتل العدو »

محمد : (يصيح في اصحابه) شدوا شدوا .

- المسلمون : (يقاتلون في حماسة وهم يصيحون) احد احد .
- محمد : (يأخذ حفنة من الحصباء فيستقبل قريشاً بها) شامت الوجوه شامت الوجوه .
- عمر : (لمعوذ بن عفراء وعبد الرحمن بن عوف) يا ابن عفراء عليك بأبي جهل اجعله من شأنك وانت يا ابن عوف عليك بأمية بن خلف .
- محمد : (لاصحابه) من لقي منكم العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنه انما اخرج مستكرهاً .
- ابو حذيفة بن عتبة : (لاحد الانصار) العباس .
- الانصاري : نعم عم رسول الله .
- ابو حذيفة : (لأصحابه) نقتل آباءنا وابناءنا واخواتنا وعشيرتنا ونترك العباس ؟ والله لان لقيته لألجمه بالسيف .
- محمد : (لعمر) أسمعت ؟
- « عمر يتميز غيظاً »
- محمد : (لعمر) يا ابا حفص أ يضرب وجه عم رسول الله بالسيف .
- عمر : (غير متالك) يا رسول الله دعني فلاضرب عنق ابي حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق .
- محمد : (بمسك بعمر) رفقا به ، لقد رأى اياه يقتل امام عينه اليوم .
- ابوبكر : (لعمر) صدق رسول الله يا عمر .
- محمد : (يلتفت الى المسلمين ويصيح) شدوا شدوا .

المسلمون : (في حماسة) أحد أحد .

« يحمى وطيس القتال ويشخن المسلمون اعداءهم
قتلاً واسراً وسلباً ويستلب عبد الرحمن بن عوف
أدراع أحد القتلى ويأسر أمية بن خلف وابنه ،

عبد الرحمن بن عوف : (رافعاً السيف) ها انت يا أمية بن خلف .
أمية بن خلف : (لعبد الرحمن) يا عبد الإله لا تقتلني ان من اسرني
افتديت منه بإبل كثيرة اللين .

عبد الرحمن : (يرى ابن أمية يجواره) وهذا ابنك ؟
أمية : (في تضرع) لا تقتله .

عبد الرحمن : (يأخذ بيده ويبيد ابنه) اتبعاني ولا تخشياً شيئاً .
أمية بن خلف : (ينظر الى حمزة في المسلمين يطيح رؤوس الاعداء)
يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟
عبد الرحمن : (ينظر) ذاك حمزة بن عبد المطلب .
أمية بن خلف : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل .

« بلال يرى أمية بن خلف بن عبد الله »

بلال : (يصيح) رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا .
عبد الرحمن : (يشير اليه بالصمت) اي بلال اسيري .
بلال : (يصيح) لا نجوت ان نجا .
عبد الرحمن : (يحول بين بلال وبين اسيريه) اتسمع يا ابن السوداء ؟
بلال : (يصيح) لا نجوت ان نجا (ثم يصرخ بأعلى صوته)

يا انصار الله رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا .

« يأتي رهط من المسلمين

ويحيطون بالأسيرين ويضرب

ابن امية بن خلف بالسيف فيقع »

امية بن خلف : (يصيح صيحة منكرة) ولداه .

عبد الرحمن : (لامية بن خلف) انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما

ما اغني عنك شيئاً (ثم يبحث عن ادراعه فيجدها قد

ضاعت في الموقعة) ادراعي ابن ذهبت ادراعي ؟

أحد المهاجرين : (يهر امية بسيفه حتى يفرغ منه كذلك) خذها

يا عدو الله .

بلال : (صائحاً في فرح) الحمد لله مات عدو الله احد احد .

عبد الرحمن : (لبال) لك الله يا بلال ذهبت ادراعي وفجعتني

بأسيري .

بلال : (يصيح في حماسة) أحد أحد .

معوذ : (باحثاً عن أبي جهل في الصفوف) ابن اللعين

ابو جهل ؟

بلال : (يصيح) ما هو ذا قد انفرد وشغل عنه القوم بأنفسهم .

معوذ : (يتجه نحو ابي جهل ويضربه فيقع) خذها يا لعين .

ابو جهل : الي يا عكرمة .

يسرع اليه ابنه عكرمة فيضرب معوذاً على عاتقه

فيطرح يده فتتعلق بجلده من جنبه فيتركها ويقاوم

وهو يسحبها خلفه حتى تؤذيه فيضع قدمه عليها
ثم يمتطي بها عليها حتى يطرحها ويذهب الى ابي
جهل وبه رمق

معوذ : هل اخزاك الله يا عدو الله ؟
ابو جهل : (في حشرجة الموت) وبماذا اخزاني ؟ أعار على رجل قتلتموه
اخبراني لمن الدائرة اليوم ؟
معوذ : لله والرسوله .

« ابو جهل يلفظ النفس الاخير فيجتز معوذ رأسه »

محمد : (عند عريشه ينظر الى أصحابه وقد اسروا عدداً كبيراً من
قريش) ان الغلبة للمسلمين .

سعد : انهم يأسرون .

محمد : (في فرح) مرحى مرحى .

سعد : والله اني .

محمد : والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم .

سعد : اجل والله يا رسول الله كانت اول وقعة اوقعها الله باهل الشرك

فكان الاثخان في القتل باهل الشرك أحب الي من استبقاء
الرجال .

محمد : انظر لقد فر المشركون .

معوذ : (يقدم حاملاً رأس ابي جهل) يا رسول الله هذا عدو الله
ابو جهل .

محمد : (مهلاً) الله اكبر ذو الملكوت والجبروت .

معوذ : نعم الله ذو الملكوت والجبروت .

« ثم يلقي الرأس من يده »

محمد : (في فرح) الله الذي لا إله غيره الله الذي لا إله غيره .

عمر : لقد تم النصر يا رسول الله .

معوذ : وفر من بقي من المشركين قافلين .

سعد : الا نلقى يحث القتلى من المشركين في القليب يا رسول الله

محمد : نعم .

يجمع سعد ورهط من المسلمين جثث قتلى المشركين

ويلقون بها في القليب »

سعد : (يقذف بالجثث) هذه جثة امية بن خلف وقد انتفخ في درعه

فملأها وهذه فيما ارى جثة ابي جهل بلا رأس .

معوذ : (يلقي اليه رأسه) تلك رأسه .

سعد : وهذه جثة عتبة .

« ابو حذيفة بن عتبة يقف ينظر الى جثة ابيه وهو كئيب قد تغير »

محمد : (يلحظ ذلك منه) يا ابا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن

ابيك شيء .

ابو حذيفة : (يرفع رأسه) لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في

مصرعه ولكنني كنت اعرف من ابي رأياً وحماً وفضلاً فكنيت

أرجو ان يهديه ذلك الى الاسلام فلما رأيت ما أصابه

وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت ارجو

لسخة مجانية

له أحزنني ذلك .

محمد : (في تأثر) جزاك الله يا أبا حذيفة .

عمر : يا رسول الله الا نبعث أحداً الى المدينة يبشر الناس بنصر الله .

محمد : نعم .

ابوبكر : (لعمر) فليذهب زيد بن حارثة بشيراً الى المدينة يخبرهم بسلامة رسول الله والمسلمين .

محمد (يتجه الى القليب) يا اهل القليب بنس عشيرة نبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس واخرجتموني واوانني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً .

سعد : (متعجباً) يا رسول الله اتنادي قوماً قد جيفوا ؟

محمد : ما انتم باسمع لما اقول منهم .

من كتاب « محمد رسول البشر »
لتوفيق الحكيم

فهرست

٦٨	الرفق بالخدم	٣	المقدمة
٧٢	الدئب	٥	من القرآن الكريم
٧٥	المعنى السياسي في العيد	٩	القراءة وكيف نستفيد منها
٧٨	أول لقاء	١٣	القرآن
٨٢	الحضارة والشرق	١٦	الاذاعة
٨٥	التعاون	١٩	النهضة الصناعية
٩٠	الخضر	٢٣	فلسطين والضمير الانساني
٩٧	العنكبوت	٢٥	لبيك يا ارض الجزيرة
١٠١	أم عربية	٢٨	ابن تيمية
١٠٦	الأمام ابو حنيفة النعمان	٣٤	التسامح وعلو الهمة
١١٣	يقولون	٣٦	الايمان بالقضاء والقدر
١١٦	الجرائم والانسان	٣٩	نوادير اشعب
١١٩	عاشقة السلام	٤١	قصة العقاقير
١٢٨	واجب الشباب	٤٤	قصة يتيم
١٣٦	الحرية	٤٨	شجاعة وذكاء
١٣٩	عمر وجبله	٥٠	معن بن زائدة و ابو جعفر المنصور
١٤٥	وصايا الآباء للابناء	٥٢	نجد
١٤٩	طير الصيد	٥٦	الادخار عند الحيوان
١٥٤	مثل عليا اسلامية عربية	٥٨	بين الفصحى والعامية
١٦٢	بطولة ووفاء	٦١	واجبنا تجاه المواهب والكفاءات
١٦٦	لغة الاشارة	٦٦	الحياة في قاع البحار

۲۵۵	المربد	۱۷۱	الربيع
۲۶۰	حاكم زاهد	۱۷۴	دمشق
۲۶۶	مروءة ووفاء	۱۸۰	في غار حراء
۲۶۹	العلم والغذاء	۱۸۵	خولة بنت الازور
۲۷۴	الحطيئة والزبرقان بن بدر	۱۹۱	الذبابه أخطر من القنبلة الذرية
۲۷۹	صاحب النقب	۱۹۵	ابن بطوطة
۲۸۳	من معجزات الهجرة	۱۹۹	وفاء نادر
۲۸۸	من امثال العرب	۲۰۳	لا حر بوادي عوف
۲۹۴	الملايا	۲۱۱	الراعي
۲۹۹	هل الحروب تطوي الحضارات	۲۱۴	في ملعب الكرة
۳۰۵	اعظم الوفاء	۲۱۷	حديث ليلى الاخيلية مع الحجاج
۳۱۲	العالم والقنبلة الذرية	۲۲۳	مصرع الزباء
۳۱۶	نسبية بنت كعب المازنية	۲۲۸	عكاظ
۳۱۹	ايام العرب (حرب البسوس)	۲۳۳	في صحن الجامع الاموي
۳۲۳	عربي في الاندلس	۲۳۷	وفود العرب على كسرى
۳۲۷	غزوة بدر	۲۴۴	سفينة الصحراء
۳۴۳	فهرست	۲۴۹	عروة وعفراء





135

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

قامت وزارة المعارف بطبعه وقررت تدريس في المدارس الثانوية

المطالعة الثانوية

الجزء الأول



تأليف

جميل احمد بوسليمان

محسن احمد باروم

احمد الرفاعي حسين

احمد عبدالله براهيم

الطبعة الثالثة

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

يوزع مجاناً
وأية نسخة تباع تُعتبر مسروقة